
www.kotobarabia.com
القيم السياسية
في الإسلام
د.إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
www.kotobarabia.com

القيم السياسية

في الإسلام

بقلم

د/ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

إهداء

إلى روح والدي طيب ا ثراه

الذي غرس في نفسي أسمى القيم

منذ نعومة أظافري

أُهدي لروحه الطاهرة ثواب هذا العمل

إسماعيل



الفصل الثاني

العدالة: القيمة السياسية العليا في الإسلام

الفصل الثالث

القيم السياسية الرئيسية في الإسلام

مُقَدِّمَة

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام علـى أشـرف الأنبياء والرسل والخلق أجمعين سيدنا ونبينا محمد صلى ا عليه وسلم... وبعد...

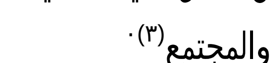
تعتبر القـيم عنصـراً رئيسـياً فـي تشـكيل ثقافـة أي مجتمع...

فالقيم هي المثاليات العليا للأفراد وللمجتمع، كما أن القيم تلعب درواً كبيراً في إدراك الأفراد للأمور حـولهم وكـذلك تصورهم للعالم المحيط بهم، فهي تُعبر عن البيئـة أحسـن تعبير[1].

كما أن القيم تعتبر مرتكزات أساسية تقوم عليهـا عمليـة التفاعل الاجتماعي، فهي تعتبر جانباً هاماً من جوانب البنيـة الفوقية للمجتمع.

ولذلك، نجد أنه مع كل تغييـر فـي التركيـب البنـائي للمجتمع لابد أن تتغير القيم لتواكب التركيب البنائي الجديـد للمجتمع، وينشأ صراع قيمي بين القيم الجديدة أو المسـتهدفة من التغيير والقيم السائدة بالفعل في المجتمع.[2].

وإذا نظرنا لجوهر القيم، فنجد أنها تتضمن عنصر الانتقاء والتفضيل مما يجعلها تختلف من مجتمع لآخر، بل تختلـف عند الشخص الواحد تبعاً لرغباته واحتياجاته وتنشئته، وبذلك يتكون ترتيب هرمي للقيم مما يترتب علي ذلـك أن تتشـكل بعض القيم من خلال القيمة العليا للمجتمع و من خلال النسق القيمي للفرد والمجتمع[٣].



والقيم أيضاً هي المثاليات والغايـات للفـرد وللمجتمـع، وأصبحت القيم السياسية الآن أحد عناصر التقدم الحضـاري والتنموي في عالمنا المعاصر. ولذلك، فسوف نتناول في هذا الفصل دراسة القيم بصورة عامة ثم القيم السياسية بصـفة خاصة لنتعرف على المفهوم الشامل لها.

الفصل الأول

القيم السياسية

تنبع القيم من نسيج الخبرة الإنسانية، فالأشياء لا تـرتبط بالقيم لسر كامن فيها ولذلك فأنها جزء لا يتجزأ من كيانهـا، فالأشياء بالنسبة لوجهة النظر الطبيعية التجريبية حياديـة أي ليست قَيمة أو عديمة القيمة. فالإنسان حيوان مقـوم، كمـا يقول"كلابد كلا كون" (٤)، فهو دائما أبدا، وفى كـل زمـان ومكان، يقَوم الأشياء، أي يصدر أحكاما قيمية عليها، فهذا له قيمة وذاك ليس له قيمة، وهذا طيـب وذاك خبيـث، وهـذا أحسن من ذلك، وعملية التقويم هذه لا تتضح فحسـب، فـي مجال التعبير اللفظي بالاستحسان والاستهجان، بل أن مجالها أساسا هو مجال السلوك، والأفعال والتفضيل والاختيار.

وإذا كانت الثقافة في أحد مفاهيمها العامة هي: الرؤيـة الشاملة للحياة، فهي تتألف في ناحية مـن مجموعـة القـيم المستمرة والمستمدة من مصادر أربعة هي: الدين ـ الأدب ـ اللغة ـ البيئة، ومن ناحية أخري، تتألف هذه القـيم مـن

مجموعة أفكار عامة مثل الحرية والوطنيـة والديمقراطيـة والعدالة والجمال والفضيلة، ولذلك تعتبر هذه القيم والأفكـار بالغة التأثير في توجيه السلوك وفي رسم صورة مثلي لحياة الإنسان. إذن، فإنه كلما كان التزام المجتمع ومكوناته بقـيم معينة أكبر، كلما كانت الروح الحضارية في ذلك المجتمـع أرقي وأسمي، فالقيم هي قبل كل شيء:" علاقة تقـوم بـين الذات الإنسانية وبين الواقـع ومـا بـه مـن موضـوعات وأحداث"[5].

كما أن سقوط أو انعدام القيم يعني سقوط الذات الفاعلـة للثقافة، وانحدار فاعلية الذات المبدعة، وبالتالي الافتقار إلـي رابط يشد الذات إلي موضوعها[6]. وعلي ذلك فإن دراسة ما هي القيم تتضمن:

١) أهمية وضرورة دراسة القيم.

٢) التعريف بالقيم.

٣) التعريف بالقيم الاجتماعية.

٤) خصائص القيم.

٥) التفرقة بين القيم والمعايير والاتجاهات الاجتماعية.

٦) تصنيف القيم.

١- أهمية دراسة القيم:

تواجهنا عند دراسة مفهوم القيم الكثير مـن الصـعوبات أهمها أن الاهتمام بهذا المفهوم حديث جـداً إذا مـا قـورن بدراسة مفاهيم أخري مثل الاتجاهـات والمعتقـدات والآراء والسلوكيات[٧]. ومع ذلك فإن الفلاسفة القدامى والمحـدثين عرفوا مفهوم القيمة منذ عهد بعيد ولكنهم عبروا عنه بأسماء" الخير" و" الخير الأسمى" و" الكمال"، ولذلك فإذا تمعنا فـي فلسفة أفلاطون – في جوهرها ومضمونها – نجدها فلسفة قيم وكذلك آراء الفلاسفة كلهم إذا ما نفذنا إلي أعماقها وجـدناها فلسفة قيميه في صيغة مستترة[٨].

ورغم أهمية تناول الفلسفة لمفهوم القـيم، إلا أن أهميـة دراسة القيم لا تقف داخل نطاق الفكر الفلسفي وحـده، بـل تتعداه، فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحيـاة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهي تمـس العلاقـات الإنسـانية بكافـة صـورها، ذلـك لأن القـيم" ضـرورة اجتماعية"[٩]، ولأنها معايير وأهداف لابد أن نجدها في كـل المجتمعات المنظمة سواء أكان متـأخراً أم متقـدماً، فهـي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهـات ودوافـع وتطلعـات،

وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري، وفـي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد بعضهم الـبعض، فالقيم تعبر عن نفسها في قوانين ولوائح وبـرامج التنظـيم الاجتماعي والنظم الاجتماعي.

وتتضح أهمية القيم وتحديد مفهومها من جـوهر تفاعـل الفرد مع بيئته الاجتماعية، فإذا كان تعلم الفرد للقيم يتم مـن خلال تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعيـة فـي العديـد مـن المواقف، فمما لا شك فيه أن هناك مصادر تُستَمد منها القيم مثل: الدين والمعتقدات والتـراث والعلاقـات الاجتماعيـة والثقافية، كما تُعتبر القيم جزءاً هاماً في الإطـار المرجعـي للسلوك في الحياة العامة وفي مجالاتها المختلفة دينياً وعلمياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وفنياً. كما تلعـب القـيم دوراً هاماً في حياة الفرد، وبالتالي يجب علينا الاهتمام بما نقدمـه من قيم من خلال وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري.

ونجد أن القيم ولدراستها ضرورة وأهمية علي المستويين الفردي والجماعي[١٠]: فعلي المستوي الفـردي: نجـد أن المرء في حاجة ماسة في تعامله مع الأشـخاص والمواقـف والأشياء إلي نسق أو نظام للمعايير والقيم، ويكون هذا النظام

بمثابة: موجهات لسلوكه، وطاقات ودوافع لنشاطه، وبديهي أنه إذا غابت القيم أو تضاربت، فإن الإنسان يغتـرب عـن ذاته.. وعن مجتمعه، بل ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجـه ويضطرب. وعلي المستوي الجمـاعي: فـإن أي تنظـيم اجتماعي في حاجة إلي نسق للقيم يشابه تلك الأنساق القيمية الموجودة لدي الأفراد، فيضمنه أهدافه، ومثله العليـا التـي عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته، فإذا ما تضاربت القـيم أو لم تتضح فإنه سـرعان مـا يحـدث الصـراع القيمـي الاجتماعي الذي يدفع بـالتنظيم الاجتمـاعي إلـي التفكـك والانهيار.

إذن فأهمية دراسة القيم تتبع من جـوهر القـيم كنظـرة تقويمية دائمة إلي الواقع والمحيط الاجتماعي العام الذي فيـه يعيش الإنسان وتمارس الذات فاعليتها من خلالـه، فالقيمـة دائماً وأبداً بحث متواصل عن المثْل في الواقـع، ومحاولـة تشكيل أو إعادة تشكيل هذا الواقع وفقاً للمثل التي نُعبر عنها بالقيم(١١).. فالقيم تشكل باعثاً علي السلوك الخلاق كمـا أن القيم تزرع نحو المستقبل الدائم، فهي دائماً واعدة إلـي غـد

أفضل من اليوم والأمس، كما أن الحضارة لا تقوم إلا علـي القيم والمثل قبل أي شئ آخر.

إن للقيم أهمية خاصة في حياة الفـرد والمجتمـع، فبهـا تتشكل الثقافة، وعن طريقها يبدو طريق النمو والتقدم، ومـن وخلالها تتأكد الروابط والعلاقات الاجتماعية، فأهميتها ترجع إلى أنها لا تقف عند مستوى الفكر الفلسفي بل تتعداه لأنهـا تتغلغل في حياة الناس أفرادا وجماعـات، وتـرتبط عنـدهم بمعنى الحياة ذاتها، لأن القيم ترتبط بدوافع السلوك وبالآمال والأهداف(١٢).

٢- التعريف بالقيم:

تتنوع وتتعدد تعريفات القيم تبعا للإطار المرجعي الذي يخضع له الباحث، ولذا فان هناك العديـد مـن التعريفـات الخاصة بالقيم والتي تنبع من اعتبارها موجهات السـلوك أو العمل، ومعنى ذلك أن مجموعة القيم التي يعتنقها شخص من الأشخاص هي التي تحركه نحو العمل، وتدفعه إلى السـلوك بطريقة خاصة، بل وتتخذ القيم مرجعا للحكم على السـلوك

سواء أكان مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه[١٣] ونستعرض بعض هذه التعريفات:

أولا: يؤكد بارسونز Parsons على أن القيم عنصـر لنسـق رمزي مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بـين بدائل التوجيه التي تظهر في المواقف المختلفة، فـالقيم عند بارسونز تمثل محورا من محاور واقعية السـلوك [١٤]. كما وصف بارسونز القيم بأنها أنمـاط ثقافيـة شاملة ذات جذور في التقاليد الدينية وهي بذلك تظـل محافظة على استقرارها[١٥].

ثانياً: يعرف روكيش Rokeach القيم بأنها عبارة عن" اعتقاد دائم بأن نمطاً معيناً من السلوك أو حالة غائيـة مـن الوجود متصل شخصياً واجتماعيا[١٦]، فالقيم في نظره هي معايير مثالية توجه السلوك من داخل الفـرد أي أنها في جوهرها شخصـية فـي حـين أن المعـايير الاجتماعية تُمثل قواعد أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاه معـين، أي أن مصـدرها جماعـة ولـيس الفرد[١٧].

ثالثاً: وتعرف القيم بأنها مجموعة من الأحكـام المعياريـة المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد مـن خـلال انفعاله وتفاعله مع المواقـف والخبـرات المختلفـة، ويشترط أن تنال هذه الأحكـام قبـولاً مـن جماعـة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته(١٨). فالقيم ما هـي إلا محصـلة تفاعل الإنسان، بإمكانياته الشخصية، مع متغيـرات اجتماعية وثقافية معينة،لذلك فإنها محدد أساسي من المحددات الثقافية للمجتمع.

فالقيم هي تصورات عامة لما هو مرغـوب فيـه علـي مستوي أكثر عمومية، كما تشير إلي ذلك، فالمثل الأعلـى لا يتحقق إلا بالقدرة علي العمل والعطاء ونقاوة النفس وسماحة القلب والإرادة الخيرة(١٩). فالقيم تتناول سلوك الأفراد،وهـي بهذا المعني من الوسائل الهامة في التمييز بين أنماط حيـاة الأفراد والجماعات(٢٠).

فالقيم، بصورة مطلقة، يراد بهال المثل العليا التي ينشدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لغرض يبتغيه مـن ورائهـا، لأن

الأشياء التي يطلبها الإنسان لتحقيق أغراض معينـة تعتبـر نسبية ومتغيرة[٢١].

رابعاً: يعرفها وليم روبن Robin في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية بأنها إدراكاً للمرغوب فيه وسلوك تـأثيري مختار"، ويرجع مصطلح القيم إلي الفوائد والأفضليات والواجبات والالتزامات الأخلاقية والاحتياجات، فالقيم توجد في نواحي متنوعة من السلوك. فمصطلح القـيم يستخدم في معنيين منفصلين، فقد يشير للتقييم المحـدد لأي شيء أو موضوع يتم تقديره أو تقييمه، والمعنـي الثاني يعود بالقيمة إلي المعايير أو المستويات التي يتم عن طريقها التقييم، فالقيمة كمعيار للتقييم تصبح هامة جـداً فـي الأغـراض المختلفـة للتحليـل العلمـي والاجتماعي[٢٢].

خامساً: تعرفها فوزية دياب[٢٣] بأننا يمكـن أن ننظـر إلـي القيمة علي أنها الحكم الذي يصدره الإنسان علي شئ ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغـوب فيـه وغير المرغوب. وتورد التعريفات[٢٤] التي تـرددت

علي مفهوم القيم، فبعض الناس يتحدثون عـن القـيم بمعني الفائدة أو المنفعة أو السلوك، وفي رأي بعـض العلماء أن اصطلاح القيم مرادف للاصطلاح"نـافع أو لائق" ومن العلماء من يعرف القيمة بأنهـا الخيـر أو الشر، ويري آخرون أن كلمة قيمة مرادفة أو صـورة لصفة اللذة أو الاهتمـام وأن القـيم الإيجابيـة منهـا والسلبية تكمن في اللذة والألم الذي يشعر به الإنسـان فإذا كان حدوث شئ لا يؤثر مطلقاً علي لذة أو ألم لأي فرد كان حالياً أو مستقبلاً، فإنه يكون عديم القيمة علي الإطلاق. كما أن هناك من يرون أن القيم ما هـي إلا عنصر التفضيل للاختيار بين الأشياء، أو هـي علـم السلوك التفضيلي. وهناك من يتحـدث عـن القـيم كتقديرات لمعاني وأهمية الأشياء والأعمال والعلاقات اللازمـة لإشـباع احتياجـات الفـرد الفسـيولوجية والاجتماعية، كما أنها اتجاهـات تقويميـة أو تقويمـاً لاتجاهات متقاربة، وأخيراً فإن القيم تمثل الأمور التي تتجه نحوها رغباتنا واتجاهاتنا.

سادساً: القيم مجموعة من المعايير التي تُحقـق الاطمئنـان للحاجات الإنسانية ويحكم عليها الناس بأنهـا حسـنة، ويكافحون لتقديمها إلي الأجيال القادمـة ويحرصـون علي الإبقاء عليها[٢٥]. كما أن القيمة يمكـن تعريفهـا بأنها فعل اجتماعي نمطي مقبول اجتماعيـاً وثابـت نسبياً، ذو صفة معيارية في توجيـه سـلوك الأفـراد والجماعات نحو إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية[٢٦].

سابعاً: ويعرفها د. محمد عاطف غيث بأنها: تعتبر حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي وفي علم الاجتمـاع وهي لذلك تعالج من وجهة النظر السوسيولوجية علي أنها عناصر بنائية تشتق أساساً من التفاعل الاجتماعي وتعد في السنوات الأخيرة مـن الموضـوعات التـي تحظى بأهميـة واضـحة فـي النظريـة أو البحـث السوسيولوجي، كما أن التوجيه القيمي يرتبط به الفرد ويؤثر علي سلوكه فالفرق بين التوجيه القيمي والقيمة يكون علي أساس أن الأول:التوجيه القيمي يركز علي الفرد، بينما تشير القيمة إلي جماعة[٢٧].

وتعدد تعريفات القيم يأتي من النظـرة المعاصـرة إلـي المثاليات.. وتنبع أيضاً مـن أن القـيم عمليـة اجتماعيـة وفردية، ولذلك فالقيم إجمالا هي المثاليات التي تسـود فـي الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان.

٣- القيم الاجتماعية:

يحدد كلاكهون Klukhohn0 C0 الصفة الاجتماعية للقيمة فيعلن أن القيمة هي تصور واضح أو مضمر يميز الفـرد أو الجماعة، ويحدد ما هو مرغوب فيـه بحيـث يسـمح لهـا بالاختيار من بين الأسـباب المتغيـرة للسـلوك والوسـائل والأهداف الخاصة بالفعل[٢٨].. وهذا المفهوم يحدد القيمـة الاجتماعية.فإذا كان هناك قيم فردية، فإن القيم الاجتماعيـة هي التي تعطي للمجتمع كله شكلاً ومضموناً يسهل ـ بعـد التعرف عليه ـ إمكانية إعادة بـث مجموعـة مـن القـيم الاجتماعية الأخرى لتُناسب عمليات النمو والتطور.

فالقيم الاجتماعية، هي في بساطة، الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس، مجتمعين أو مـوزعين.

وتَنْبت القيم الاجتماعية عادة عن طريق الرأي الجمعي لهـذه الجماعة، أي أن هذه القيم لا يمكن أن تفرض مـن الخـارج علي الجماعة فرضاً، ولكنها تتولد من الظـروف المعيشـية التي تحياها وتكون مقبولة ومعترفاً بهـا عنـدها. كمـا أن ظواهر الوعي الاجتماعي، التي تتمثل في الأفكار والقيم، عن طريقها يعبر الناس عن اهتمامهم في أسلوب أيدلوجي معين، فأفكار الكفاية والعدل والوسائل التي تحققهـا تتضـمن فـي الواقع اهتمامات فئات من أعضاء الشـعب، كمـا تتضـمن أعمالهم ورغباتهم وإرادتهم، فضلاً عن الأهـداف العمليـة للمؤسسات السياسية أو الاجتماعية التي تضمهم، ومن ثـم، نجد أن هذه الأفكار كهدف لهذه الفئات من أعضاء المجتمع، أو كموضوع لآمالهم أو كحلم يهدي أعمـالهم، أي أن هـذه الأفكار هي في الواقع مثل علياً أو قيم من القيم المعنوية[٢٩].

وتقوم مؤسسات عديدة منها مؤسسـات التربيـة بعمليـة تمشيط للأفعال الاجتماعية سواء السائدة أو المستهدفة بغرض توجيه تلك العمليات والأفعال في اتجاهات المرغوبة بواسطة ثلاثة عمليات[٣٠]:

أولاً: توجيه اتجاهات سلبية نحو القيم المستهدفة للتعديل، حتى تهوى على السلم القيمي للمجتمع، وتفقد وظائفها الاجتماعية، وتتحول إلي مجرد أهداف جزئية قد تتبناها قوي القصور الذاتي في المجتمع.

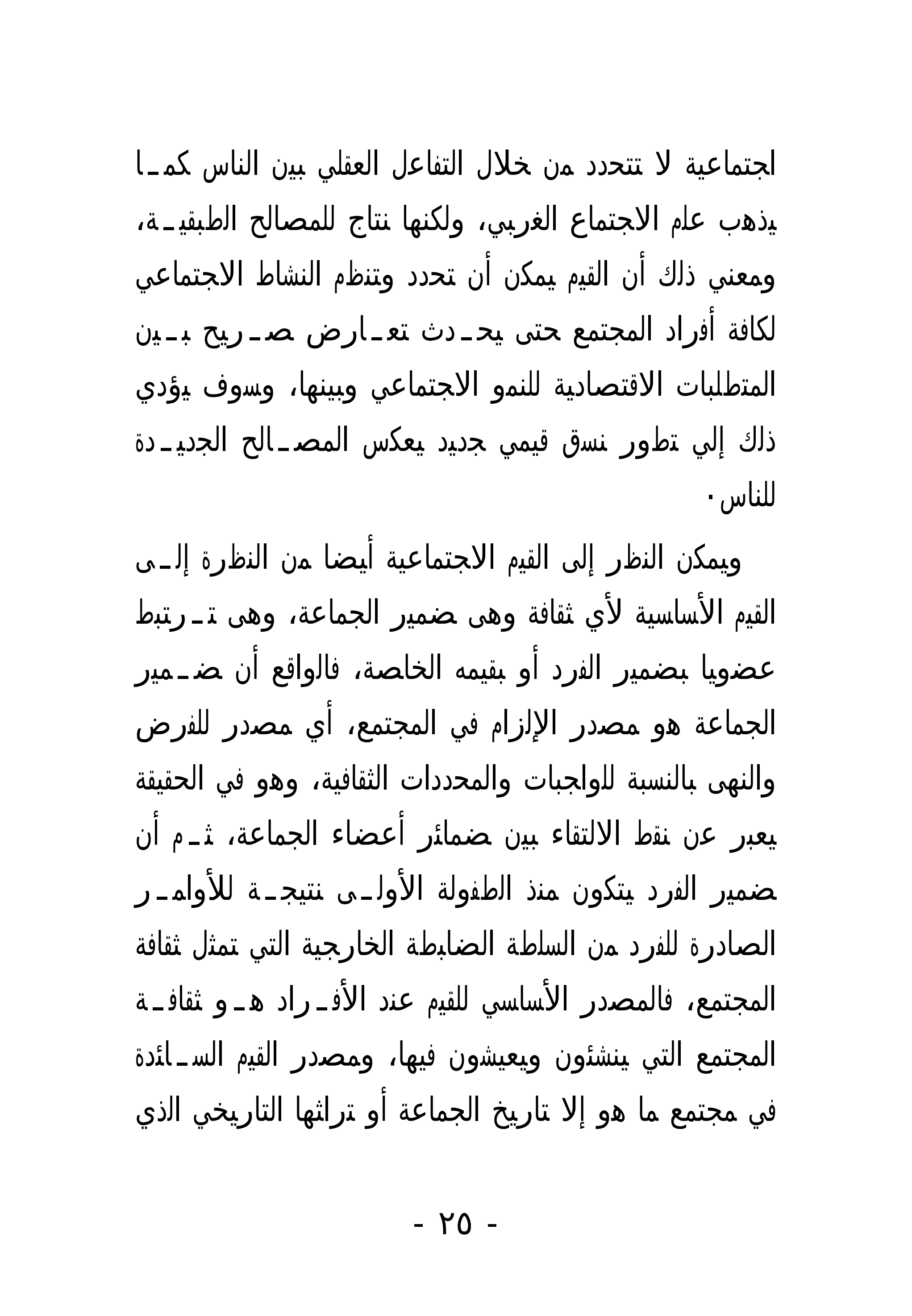
ثانياً: تكوين اتجاهات إيجابية نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية، فتصعد علي السلم القيمي.

ثالثاً: زيادة شدة الاتجاهات الإيجابية نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد، وفقاً للنظام الجديد والعمل علي تدرجها في السلم القيمي وفقاً لمكانتها بين القيم المختلفة.

إذن، فالقيم كنظرة مستقبلية، تجعل من الفرد والجماعة دائماً وأبداً كيانات تريد تحقيق شئ ما وتعمل علي تحقيق أفكار وقيم تحملها لا مجرد كيانات فردية بل كيانات مجتمعيه[٣١]. فالقيم هي تلك التي تكون تحقيقاً لإنسانية الإنسان ككائن مبدع خلاق وسط جماعة من الناس. فالقيم حتى الفردية فيها لابد وأن تكون اجتماعية تتقبلها الجماعات حتى تكون قيماً عامةً. فالقيم في مضمونها وجوهرها لابد وأن تكون اجتماعية عامة. فهي دائماً وأبداً (التشكيل أو

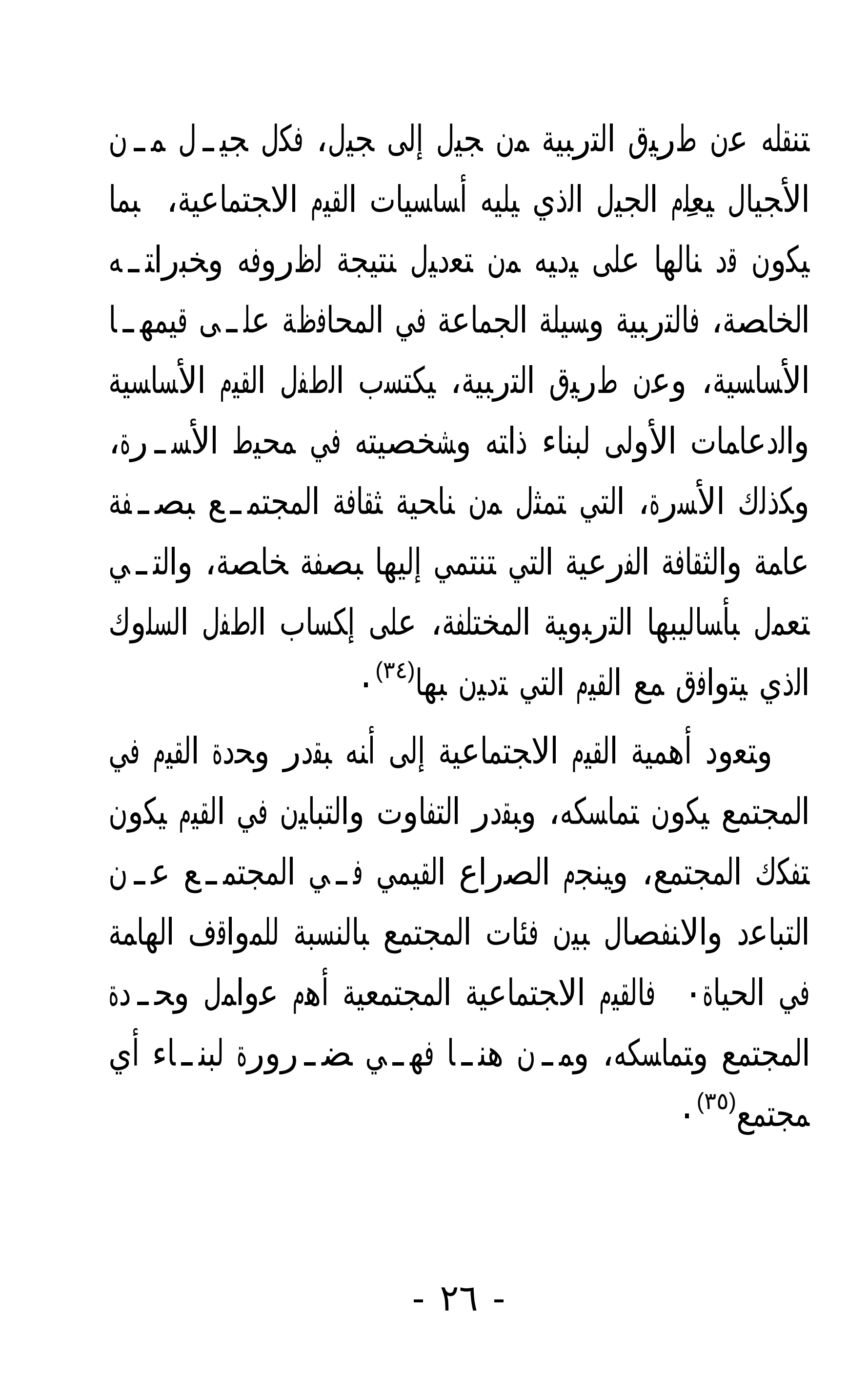
التكوين الاجتماعي للفرد حسب حاجات المجتمـع)، أو هـي عبارة عن مجموعة من القيم التي تُلائم الوضع الاجتمـاعي وأنواع السلوك الاجتماعي داخل الجماعة، فالقيم هنا عمليـة تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية التي تطبع في الشـخص أو تغرس فيه قيماً اجتماعية جديدة علي الدوام[٣٢].

إذن، يشير مفهوم القيم بالمعني الاجتمـاعي إلـي تلـك الأحكام المعيارية التي توجه السلوك الإنساني الانتقـائي أو التي تحسم الاختيار الإنساني في مواقف بعينها، والقيم بهـذا المعني قد تنطوي علي المصـالح أو المنـافع والالتزامـات والواجبات الأخلاقية وغير ذلك من أنماط التوجيـه، وأكثـر التعريفات قبولاً في التراث الاجتماعي العربي" أن القيم هي تصورات للمرغوب تؤثر في السلوك الانتقـائي للإنسـان"، ولكن القيمة بالمعني الواسع لا تشير إلي الأمور الطيبـة أو المرغوب فيها فقط، بل السيئة والمرغوب عنهـا أيضـا[٣٣] وذلك ينبع من أن القيم تمثل جانباً رئيسـياً مـن ثقافـة أي مجتمع، بل يمكن القول أنها تمثل لُب الثقافة وجوهرهـا، إلا أن تصور القيم في علم الاجتماع الغربـي يتجاهـل بعـض الخصائص الرئيسية لها، فالقيم وما ترتبط بها من حاجـات



اجتماعية لا تتحدد من خلال التفاعل العقلي بين الناس كما يذهب علم الاجتماع الغربي، ولكنها نتاج للمصالح الطبقية، ومعني ذلك أن القيم يمكن أن تحدد وتنظم النشاط الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع حتى يحدث تعارض صريح بين المتطلبات الاقتصادية للنمو الاجتماعي وبينها، وسوف يؤدي ذلك إلي تطور نسق قيمي جديد يعكس المصالح الجديدة للناس.

ويمكن النظر إلى القيم الاجتماعية أيضا من النظرة إلى القيم الأساسية لأي ثقافة وهى ضمير الجماعة، وهى ترتبط عضويا بضمير الفرد أو بقيمه الخاصة، فالواقع أن ضمير الجماعة هو مصدر الإلزام في المجتمع، أي مصدر للفرض والنهى بالنسبة للواجبات والمحددات الثقافية، وهو في الحقيقة يعبر عن نقط الالتقاء بين ضمائر أعضاء الجماعة، ثم أن ضمير الفرد يتكون منذ الطفولة الأولى نتيجة للأوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية التي تمثل ثقافة المجتمع، فالمصدر الأساسي للقيم عند الأفراد هو ثقافة المجتمع التي ينشئون ويعيشون فيها، ومصدر القيم السائدة في مجتمع ما هو إلا تاريخ الجماعة أو تراثها التاريخي الذي



تنقله عن طريق التربية من جيل إلى جيل، فكل جيل من الأجيال يعلِم الجيل الذي يليه أساسيات القيم الاجتماعية، بما يكون قد نالها على يديه من تعديل نتيجة لظروفه وخبراته الخاصة، فالتربية وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية، وعن طريق التربية، يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى لبناء ذاته وشخصيته في محيط الأسرة، وكذلك الأسرة، التي تمثل من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة والثقافة الفرعية التي تنتمي إليها بصفة خاصة، والتي تعمل بأساليبها التربوية المختلفة، على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها(٣٤).

وتعود أهمية القيم الاجتماعية إلى أنه بقدر وحدة القيم في المجتمع يكون تماسكه، وبقدر التفاوت والتباين في القيم يكون تفكك المجتمع، وينجم الصراع القيمي في المجتمع عن التباعد والانفصال بين فئات المجتمع بالنسبة للمواقف الهامة في الحياة. فالقيم الاجتماعية المجتمعية أهم عوامل وحدة المجتمع وتماسكه، ومن هنا فهي ضرورة لبناء أي مجتمع(٣٥).

٤- خصائص القيم:

القيم كانت مثُلاً عالية، ولكـن تحولـت النظـرة إليهـا فأصبحت حاجات تفرزهـا أوضـاع الحيـاة الاجتماعيـة، وتطورت النظرة إلى القيم من التجريد إلي الواقعية، فصارت القيم استشفافا مـن خـلال احتكاكـات القـانون بالحقيقـة الاجتماعية، فتطور النظر إلى القيم عما اتصـفت بـه فـي الماضي بأنها" تطلعات ميتافيزيقية" فَفُهمت على أنها" معـانٍ يحكم بها على المسالك والأشياء تبعا لجدواها أو عدم جدواها في إشباع غايات إنسانية متصورة ومسـتهدفة علـى أنهـا حاجات واجبة الإيفاء بها" (٣٦)

ولذلك٠٠ فلقد أصبح الآن أن مجرد نسبة قيمة معينة إلى مجموعة من الأفراد، إنما يعنى أن لديهم اتجاهـات إيجابيـة تجاه بعض جوانب الحياة وأخرى سلبية تجاه بعض مختلف، وبمعنى آخر أن الأفراد بحكم ما لديهم مـن قـيم محتضـنه يكونون مهيأين لعمل اختبارات معينـة دون غيرهـا، ذلـك التهيؤ الذي تلعب فيه القيم دوراً هاما (٣٧)

وتنبع القيم من التفاعل الاجتماعي فـي المجتمـع وفـق تصرفات أفراده التي تحمل عناصر ثقافتهم الخاصة٠ وهـذه

القيم تتصف بالثبات والاستمرار، غير أن ذلك نسبي وليس مطلق، كما أنه قد يحدث انحراف عن مسار القيم السائدة بدرجات متفاوتة، إذ تعتبر القيم هدف يسعى الأفراد إلى تحقيقه في أنفسهم وفيمن حولهم، وهى تنشأ وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان، وقد يعبر عنها بشكل مباشر، وقد تكون ضمنية تختفي في طيات السلوك والتصرفات وهى تترتب وفق أفضليتها ومستوى أهميتها وتقديرها. فكلما كان الإطار القيمى لمجتمع من المجتمعات يضم مجموعة من القيم الخلقية التي لها وزنها واعتبارها، فان مسار الحياة في ذلك المجتمع يرقى وينهض [٣٨].

وللقيم.. خصائص متعددة ومتنوعة، تتعدد من حيث الزمان والمكان ومن حيث المضمون ومن حيث الأهمية النسبية لها. ومن أهم الخصائص التي تتميز بها القيم:

أولا: تتميز القيم بأنها ذاتية: Subjective ويقصد بذاتية القيم أنها تتعلق بالطبيعة الإنسانية والسيكولوجية للإنسان التي تشمل الرغبات والميول والعواطف وغيرها من عوامل نفسية، فالقيمة باعتبارها أحكاما نصدرها على الأشياء تتضمن معاني كثيرة مثل

الاهتمام والاعتقاد والرغبة وكل هذه المعاني تُعبر عن عناصر شخصية ذاتية وتتضمن القيمة عنصرا عاطفيا إلى جانب العنصر المعرفي والسلوكي.(٣٩)

ثانيا: تتميز القـيم بأنهـا موضـوعيةObjective، ونعنـى بموضوعية القيم أنها خارجة عن ذوات الأفراد وعـن تجسداتهم الفردية وأن ذاتية القيم ونسبيتها لا تتعارض مع ضرورتها. لأن هناك بعض القـيم الموضـوعية التي يجمع عليها أغلب الناس داخل المجتمـع. فـلا يجب أن ننظر إلي هذه القيم" نظرة ذاتية" بل" نظـرة موضوعية"، إذ لا يمكن للنظرة الذاتية للقيم أن تولـد قاعدة عامة، وإنما الذي تولده هو باعث على تصرف ما، لأن القيمة في النظـرة الذاتيـة تتلـون وتتشـكل بالاعتبارات المتعلقة بالشخص لا بالموضوع في حـد ذاته.

ولذلك يجب طرح النظرة الذاتية للقيمة، والاعتداد بدلالتها الموضوعية، أي بالقيمة المعتبرة، كصفة لصيقة بالموضـوع ذاته، وموجودة فيه ولأجله، لا من أجل الشخص الذي يمسه الموضوع، فالقيمـة فـي النظـرة الموضـوعية لا تتـأثر

بالشخص، بل هي التي تؤثر في الشـخص، وهـذه الحالـة التأثيرية ليست سبب القيمة بل هي نتيجـة المترتبـة عليهـا [٤٠].

ثالثا: تتميز القيم بالنسبيةRelativily ، وتعنى نسبية القـيم بأنها تختلف من شخص لآخر، ومن مجتمـع لآخـر، ومن ثقافة لأخرى ومن زمن لآخر، بل أنها تختلـف عن الشخص الواحد حسب رغباته وحاجاته وميولـه، وكذلك لا يمكن أن نفهم القيمة إلا في مجال السـلوكي وفى الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد.

فما دامت القيمة إنسانية شخصية تتوقف على الاعتقـاد، فلابد إذن أن تكون نسبية، بمعنى أنها تختلف عند الشـخص بالنسبة لحاجاته ورغباته وتربيته وظروفـه، كمـا لابـد أن تختلف أيضا من شخص إلي شـخص ومـن زمـن إلـي زمن[٤١].

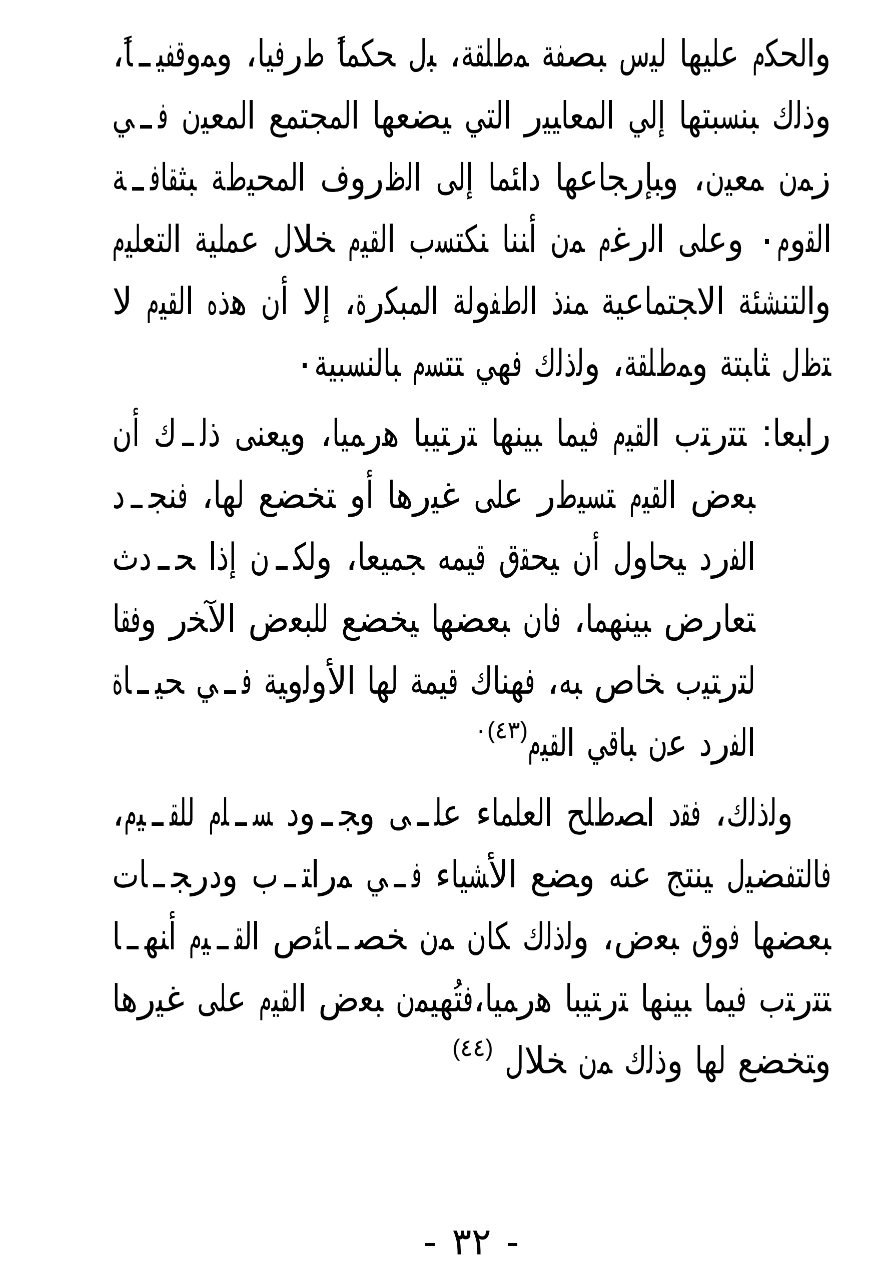
ا) فبالنسبة للنسبية المكانية للقيم: فلكل ثقافة معاييرها الخاصة بها وأن القيم ليسـت واحـدة أو عامـة فـي جميـع المجتمعات البشرية وانما هي نسبية تختلف بـاختلاف الجماعات الإنسانية ونماذجهـا الثقافيـة والسياسـية

والدينية والذوقية٠٠ الخ، كما أنها تختلف في الثقافـة الواحدة في المجتمع الواحد باختلاف أقاليمة المحليـة، أي باختلاف ثقافاته الفرعية والطبقـات والجماعـات المهنية٠

ب) وبالنسبة" للنسبية الزمانية للقيم": كمـا أن القـيم نسـبية الزمان أي أنها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير، وهى في تطورهـا وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ، كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه٠

ج) كما أن القيم والأصول التحديثية يمكن أن تنتقل من نخبة مجتمع إلى نخبة مجتمع آخر نقلا عـن أيـدلوجيا أو ثقافيا أو تربويا أو إعلاميا أو تكنولوجيـا أو تـدريبيا يتيح للنخبة القيادية أن تسبق المجتمع الذي تنتمي إليه سـبقا هـائلا فـي استسـاغة القـيم والأصـول التحديثية(٤٢)٠

إن القيم نسبية يعنى أن معناها لا يتحدد ولا يتضـح في النظر إليها والحكم عليها في حد ذاتها، مجردة عن كـل شئ، بل لابد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه



والحكم عليها ليس بصفة مطلقة، بل حكماً طرفيا، وموقفيـاً، وذلك بنسبتها إلي المعايير التي يضعها المجتمع المعين فـي زمن معين، وبإرجاعها دائما إلى الظروف المحيطة بثقافـة القوم. وعلى الرغم من أننا نكتسب القيم خلال عملية التعليم والتنشئة الاجتماعية منذ الطفولة المبكرة، إلا أن هذه القيم لا تظل ثابتة ومطلقة، ولذلك فهي تتسم بالنسبية.

رابعا: تترتب القيم فيما بينها ترتيبا هرميا، ويعنى ذلـك أن بعض القيم تسيطر على غيرها أو تخضع لها، فنجـد الفرد يحاول أن يحقق قيمه جميعا، ولكـن إذا حـدث تعارض بينهما، فان بعضها يخضع للبعض الآخر وفقا لترتيب خاص به، فهناك قيمة لها الأولوية فـي حيـاة الفرد عن باقي القيم[٤٣].

ولذلك، فقد اصطلح العلماء علـى وجـود سـلم للقـيم، فالتفضيل ينتج عنه وضع الأشياء فـي مراتـب ودرجـات بعضها فوق بعض، ولذلك كان من خصـائص القـيم أنهـا تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا،فتُهيمن بعض القيم على غيرها وتخضع لها وذلك من خلال [٤٤]

أ) أن فكرة ترتيب القيم – سواء أكانت قيم فردية أو جماعية – ترتيبا هرميا في سلم القيم فكرة مبسطة كل التبسيط بالنسبة للحقيقة والواقع.

ب) أن القيم في" سلم القيم" لا تتخذ مرتبة ثابتة جامدة لا تتغير، بل ترتفع وتنخفض، وتعلو وتهبط وتتبادل المراتب والدرجات فيما بينهما تبعا لظروف الفرد وأحواله ورغباته واتجاهاته.

وهكذا، فان هناك قيم عليا وقيم أخرى.. القيم تتشكل وفقا للقيم العليا..

خامسا: تتصف القيم بالثبات النسبي، أي المحافظة Consistancy لأنها من موجهات السلوك الكبرى، ومما يضمن الثبات النسبي لكثير من القيم أن عددا من القيم يمتصها الفرد شعوريا ولا شعوريا منذ طفولته، ويرتبط بها وجدانيا وتأثرا باحترام الناس لها، فيصعب عليه أن يتحرر منها.

على أن خاصية الثبات والاستقرار في القيم ليست بدرجة واحدة، فالقيم السائدة في مجتمع ما تتفاوت في قدرتها على مقاومة التغير الاجتماعي. والجدير بالذكر أن ما تتسم به

القيم من نسبية لا يتعارض مع كونها ثابتة، في نفس الوقت، فهذا الثبات ليس مطلقا، وهذه النسبية ليست فردية وجزئيـة، والمجتمع له دور كبير في تثبيت القيم وتطورها.

سادسا: تتصف القيم بالدينامية، أي القابلية للتغير الاجتماعي، ولكن قد يكون التغير سريعا، كما في الدول الصناعية المتقدمة التي تعتبر الرغبة في التغيير قيمة اجتماعية، وقد يكون بطيئا جدا كما فـي المجتمعـات البدائيـة. والثبات النسبي للقيم لا يعنى عدم قابليتها للتغير.

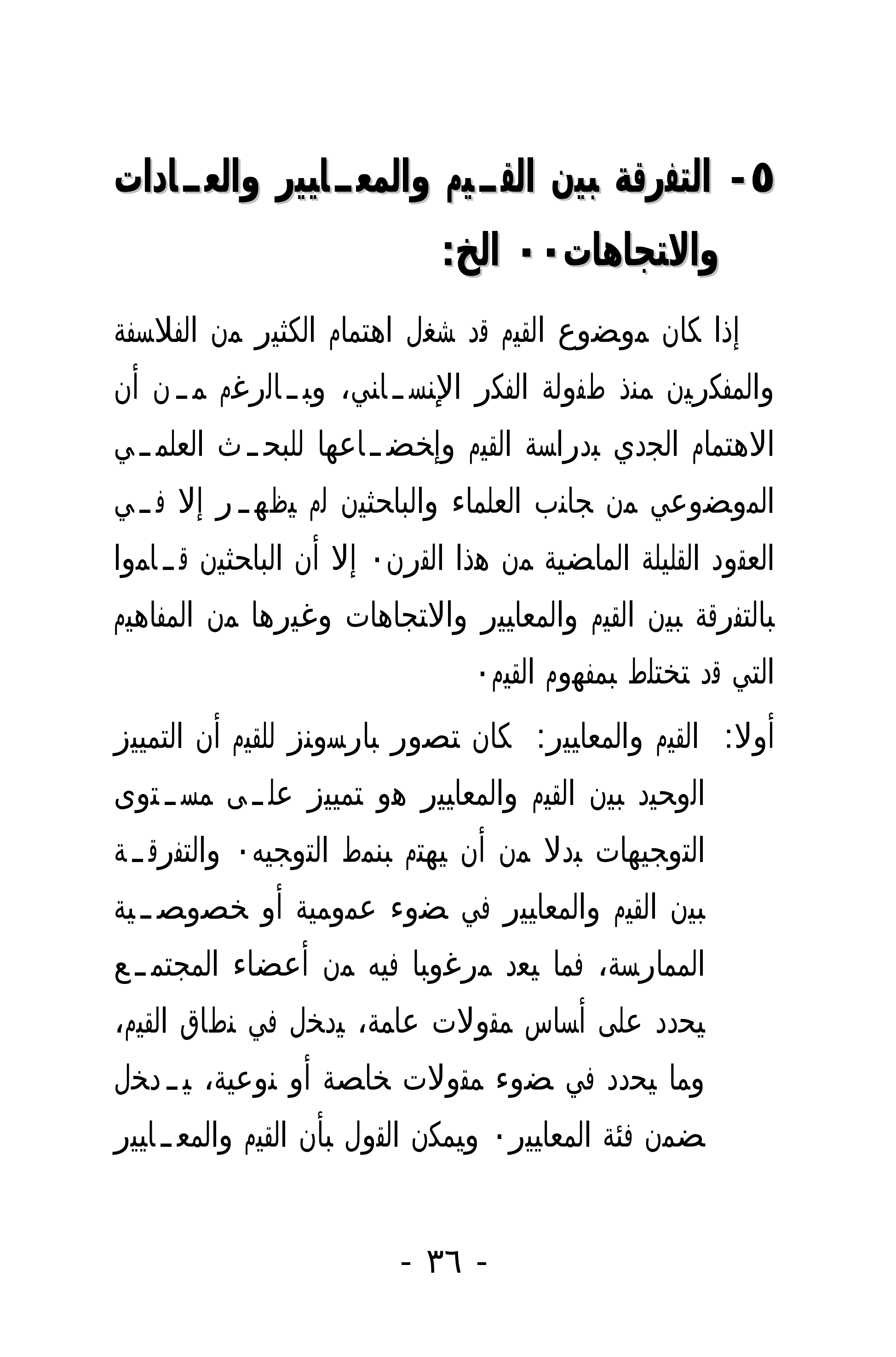
سابعا: ويمكن النظر إلى القـيم(٤٥): علـى أنهـا ظـاهرة اجتماعية لها صفة الظواهر الاجتماعية وتـؤدى إلـى تحقيق وظائف معينة في المجتمع،ويمكن قياس القـيم ودراستها باسـتخدام أسـاليب عديـدة منهـا تحليـل المضمون.

والخلاصة أن القيمة تتضمن معاني كثيرة ولها خصائص عديدة تؤكد ما للقيمة من دور هام في حيـاة الفـرد وقـوة المجتمع.

ثامنا: ويمكن النظر إلى خصائص القيم من خلال أنها عملية قابلة للترشيد فترشيد القيم يتطلـب تفهـم ومعايشـة

وممارسة هذه القيم والرجوع بها إلى جذورها الثقافية والوقوف على وظائفها الاجتماعية، فإذا تَبين أن هـذه القيمة أصبحت غير متلائمة، كان من الضروري على رجال الإعلام ورجال التربية، أن يستبدلوها بغيرهـا، بعيدا، عن محاولة إلغائها. فالقيم جزء مـن التـراث الاجتماعي، وبالتالي فإن الإبقاء عليها مع تحييدها أمر مقبول، ومحاولة إلغائها والقضاء عليها أمر مسـتحيل[٤٦]، ومن هنا فان البحث عن بديل حضاري لها هـو الذي يؤدى إلى نسيان الناس، وإن لم تنمح من الذاكرة الاجتماعية. وتأتى عملية ترشيد القيم الاجتماعية كأحد الوظائف الأساسية للإعـلام والتربيـة، لأن الهـدف الرئيسي للعملية الإعلامية هو العمـل علـى تغييـر اتجاهات الأفراد والجماعـات بالإضـافة إلـى نقـل اتجاهات وأفكار جديدة إليهم.

ومما سبق يتضح أن للقيم عدة خصائص تتكامل لتُشـكل الإطار الأمثل للقيم.



٥- التفرقة بين القيم والمعايير والعادات والاتجاهات.. الخ:

إذا كان موضوع القيم قد شغل اهتمام الكثير من الفلاسفة والمفكرين منذ طفولة الفكر الإنساني، وبالرغم من أن الاهتمام الجدي بدراسة القيم وإخضاعها للبحث العلمي الموضوعي من جانب العلماء والباحثين لم يظهر إلا في العقود القليلة الماضية من هذا القرن. إلا أن الباحثين قاموا بالتفرقة بين القيم والمعايير والاتجاهات وغيرها من المفاهيم التي قد تختلط بمفهوم القيم.

أولا: القيم والمعايير: كان تصور بارسونز للقيم أن التمييز الوحيد بين القيم والمعايير هو تمييز على مستوى التوجيهات بدلا من أن يهتم بنمط التوجيه. والتفرقة بين القيم والمعايير في ضوء عمومية أو خصوصية الممارسة، فما يعد مرغوبا فيه من أعضاء المجتمع يحدد على أساس مقولات عامة، يدخل في نطاق القيم، وما يحدد في ضوء مقولات خاصة أو نوعية، يدخل ضمن فئة المعايير. ويمكن القول بأن القيم والمعايير

هما نموذجين مختلفين من الموجهات الرمزية، فـالقيم تُحدد التفصيلات الاجتماعية والمعايير تعين القواعـد والالتزامات الاجتماعية [٤٧]، إذن فالقيم هي تصورات لما هو مرغوب فيه على مستوى أكثر عـمومية في حين أن المعايير تصورات حول نفس الشيء على مستوى الخصوصية[٤٨].

ولكن الشيء الذي نُشير إليه أنه بينما يلاحظ أن كلا مـن القيم والمعايير يختلطان على المستوى الواقعي، فانـه مـن الضروري على المستوى النظري أن نكـون علـى وعـى بالفارق التحليلي بينهما. فالقيم تُشير إلـى تلـك الأسـاليب المفضلة لتوجيه الناس نحو فئات محددة للخبـرة الإنسـانية، والمعايير هي قواعد للسلوك في مواقف معينه أي تتضـمن تصورات إنسانية عن الواجبات والالتزامات وكـل منهمـا خاضع للتغيير من خلال التحديث.

ونخلص إلى التفرقة بين القيم والمعايير من ثـلاث أوجه [٤٩]:

أ- القيم معايير مثالية، توجه السلوك من داخل الفرد، أي أنها في جوهرها شخصية في حين أن المعايير تمثل قواعد

أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاه معين، أي أن مصدرها جماعة خارج الفرد.

ب- تعمل القيم على إرشاد السلوك إلـى الغايـات النهائيـة للحياة، على حين أن المعـايير الاجتماعيـة، تُرشـد الشخص إلى أنواع من السلوك في المواقف النوعيـة المحددة في الزمان والمكان والأشخاص.(٥٠)

ج – تُحدد المعايير الاجتماعية ما هو مقبول من الجماعة في موقف معين وما هو غير مقبول، على حين أن أهم ما يميز نسق القيم لدى الفرد أنه يرتب فئـات السـلوك المقبول حسب أفضليتها.

ثانيا: القيم والاتجاهات: الاتجاهات تنشأ في ظل القيم، وتكون نحو الموضوعات والمواقف التي تبرز أفعال الشخص واتجاهاته، نحو الآخرين، كما تُدعم هذه القيم الأحكـام الأخلاقية التي تتصل بأفعال الشخص نفسـه وأفعـال الآخرين(٥١). ولذلك فالقيم تتمثل في أنهـا محـددات للاتجاه وليست مجرد كونها أحد مكونات الاتجاه، لأن القيم توجه السلوك والأحكام والاتجاهات، كما أن القيم قد تتجاوز الأهداف المباشرة للسـلوك إلـي تحديـد

الغايات المثلى للحياة، ويشكل نظام القيم لـدى الفـرد اتجاهاته بطريقة تبرز منها مركزية القـيم أي كونهـا المركز الذي يدور حوله عدد كبير من الاتجاهات، وقد يكون لدى كل شخص آلافـا مـن الاتجاهـات نحـو موضوعات مختلفة، إلا أنه لا يكون لديه إلا عدد قليل من القيم لا يتعدى العشرات [٥٢]، إذن فالقيم أكثر عمقا وشمولا من الاتجاهات لأنها تمثل معيارا لمـا ينبغـي وما لا ينبغي أن يكون في عدد من مجالات السـلوك، فالاتجاه أقل تجريدا، وأقل ثباتا، فهو سـهل التغييـر، ويتكون بسرعة، ولا يحتاج لموافقة جماعيـة، وهـو مجرد ميل لفعل ما ويمثل وعيا فرديا. أما القيم فهـي أكثر تجريدا ورمزيةً وأكثر ثباتا لأنهـا لا تتغيـر إلا ببطء كما تتكون ببطء لحاجتها لاتجاهـات وخبـرات ومعارف كثيرة، ولها صفة العمومية وتتطلب موافقـة اجتماعية لاقرارها، كما أنها تمثل وعيا جماعيا لأنهـا ترسـم الأحكـام والمعـايير المتصـلة بنشـاطاتهم وتفاعلاتهم. [٥٣]

ثالثا: القيم والأيدلوجية: إذا كانت القيم مهمتها توجيه الفعـل الاجتماعي، والمعايير تتولى ضبط هذا السلوك، فـان الأيدلوجية عليها أن توجد المحرك للفعل الاجتمـاعي عن طريق تعريف الموقف الاجتماعي تعريفا مثاليـا [٥٤]، ولذلك فان القيم والمعايير والأيدلوجيات يحكمهـا سياق واحد وقد يكون دينيا أو ثقافيـا أو اقتصـاديا أو سياسيا أو اجتماعيا. والأيدلوجية عبارة عـن أفكـار ومنهج يقوم على فكر معين يهدف إلى إضعاف نفـوذ الكنيسة، ولذلك فقد نجحت الأيدلوجية في تطبيق البنية أو السمة الفكرية للمجتمع، حتى أن عمر الأيدلوجية لا يتجاوز الثورة الفرنسية بأي حال مـن الأحوال،بينمـا القـيم وجـدت منـذ وجـود الإنسـان فـي الكـرة الأرضية[٥٥].

والاختلاف الرئيسي بين القيم والأيدلوجية يرجع إلـى أن القيم أكثر ثباتا وتعمقا في نفوس النـاس بينمـا الأيدلوجيـة سريعة التغير ويرفضها الناس عادة وتختلف من طبقة إلـى أخرى في المجتمع، بل وفى داخل كل طبقة حسـب نوعيـة التعليم والثقافة، بينما تكون القيم أكثر انتشارا وأكثر ثباتا[٥٦].

رابعا: القيم والأعراف والتقاليد: الأعراف نوع من العـادات التقليدية يشبه التقاليد من ناحية أنه تقليـدي وعريـق ومتوارث وملزم، إلا انه يختلف عنها في درجة إلزامه وانتشاره وشموله وعموميته، فالتقاليـد عـادات تهـم جماعة أو فئة أو طبقة، فهي عادات ضـيقة النطـاق نسبيا. أما العرف يهدف إلى حفظ كيانات الجماعات كلها متمثلا في وحدة واحدة هي وحدة المجتمـع [٥٧]، ولأنه انبثق في الثقافة ليسهم في سعادة المجتمع كلـه وفى استقراره وأمنه ومصلحته العامة وهـو يتوافـق بدوره مع القانون والقانون يتوافق بدوره مع العـرف، ولذلك فالعرف يختلف عن التقاليد، ويختلف عن القـيم في أنها قد لا تكون معايير مثالية، وهى تختلـف مـن منطقة إلى أخرى وسريعة التشكيل بخلاف القيم، فالقيم قد ترتبط بالعرف والتقاليد، لأن العرف والتقاليد عادات اجتماعية تتعلق بالماضي وكثيرا ما تمتد جذورها إلى أغوارها البعيدة، ولذلك فان القيم المرتبطة بها لها في غالب الأحيان صفة القداسة والإلزام.

خامسا:القيم والسمات والميول: الخلط بين القـيم والسـمات والميول أمرا شائعا حتى بين علماء النفس ذاته فكثيرا ما ينظرون إلى بعض السمات أو الصفات كالشـجاعة والصراحة والأمانة باعتبارها سمة وباعتبارها قيمـة في نفس الوقت[٥٨]. والميل عبارة عن اتجـاه نحـو موضوع أو نشاط معين يهتم به الشخص سـواء مـن حيث قيمته في ذاته أو من حيث علاقاته بهدف أخـر، وبمعنى أخر فالميول لا تُمثل إلا نوعاً من الاتجاهـات إذا نظرنا إلى كل منهما على حدة، وتبرز أهمية ابتكار أسلوب يكشف عن تنوع أنساق القيم من خلال تنـوع الميول والاهتمامات داخل هذه الجماعات التي تمثـل فئات اجتماعية واقتصادية وثقافية وعصرية مختلفـة، تتولى فيهـا الأولويـة والصـدارة والتـدريج فـي الأهمية[٥٩]، فالقيم هي حكم تفضيلي يعتبـر إطـارا مرجعياً يحكم تصرفات الإنسان في حياتـه الخاصـة والعامة وهى تختلف عن الصفات أو السـمات التـي تُميز الإنسان فعلا، كما تختلف عن أوجه النشـاط أو ضروب السلوك، فالقيمة تتعالى على الأشياء والمواقف

المحددة، كما أن القيمة تمثل معياراً للسـلوك، بينمـا الميل أو السمة ليست كذلك، ولذلك فإن عدد القيم يقدر بالعشرات بينما الاتجاهات والميـول يقـدر عـددها بالمئات والآلاف. أذن مفهوم الميـل Interest لـيس سوى أحد المظاهر العديدة للقيمة فهو أضيق نطاقاً من القيمة كما لا يمكن أن يصنف باعتباره شـكلا مثاليـاً للسلوك أو غاية نهائية للوجود الإنساني كالقيم، كما أنه لا يمكن أن يمثل معياراً أو أن له طابعاً إلزاميا بالنسبة للسلوك الإنساني.

فالقيم هي التي تحدد الاتجاهات والميول والسمات مثلمـا تحدد السلوك كله وكما قال"البورت"[٦٠]: أن الاتجاهات نفسها تعتمد على ما هو موجود من قبل من قيم اجتماعية.

٦- تصنيف القيم:

لما كانت كل قيمة تُولد منطقيا قواعد تتكيف بتلك القيمـة وطبيعتها، فلقد وجد الباحثون العديد من المقاييس التي تتحدث عن تصنيف القيم وإرجاعها إلي طبيعتها أو طبيعة مجـالات العلوم الاجتماعية. والواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من القيم،

ولكنها شديدة الاتصال بعضها بالبعض الآخـر فـي كافـة مجالات العلوم الاجتماعية، وشديدة التداخل إلـي درجـة أن الحكم علي إحداها قد يتضمن أحكاماً علي الأخرى، كما أنـه من المحتمل أن تكون الطريقة للوصول إلي أحكام صـحيحة متشابهة في جميع الحالات. كما تـري جماعـة"كورنيـل" لدراسة القيم أن مفهوم القيم أصبح نقلة تقابل مختلف العلـوم الاجتماعية المحدودة التخصص، كما أصبح أيضـاً مفتاحـاً لمفهوم التكامل في الدراسات الإنسانية، فمفهوم القيم يعمـل كقنطرة أو حلقة اتصال تربط كثير من مختلـف الدراسـات المتخصصة بعضها ببعض، فهو يربط دراسة علـم الـنفس التجريبي عن الإدراك بدراسة تحليل الأيدلوجية السياسـية، كما يربط دراسة الميزانية في الاقتصاد بالنظريـة الجماليـة وفلسفة اللغة، وكذلك يربط أدب اللغة بثورات الشعوب(٦١).

وبالرغم من تعدد تفسيرات القيم فإنه يمكن أن يـتم تقسيمها علي النحو التالي:

أولاً: من حيث نوعية القيم:هنـاك نوعـان مـن القواعـد الإنسانية المثالية فهناك القواعد المبنيـة علـي القـيم الفردية، وهذه هي قواعد الأخلاق، والقواعد المبنيـة

علي القيم الاجتماعية، وهذه هي قواعد القـانون، وإذا كان لبعض الأفعال والأشياء قيمة فردية بحتة، ولبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية بحتة، فإنـه لـبعض الأفعال والأشياء قيمة اجتماعية وفردية معـاً، ولهـذا اتفقت قواعد القانون وقواعد الأخـلاق فـي بعـض الأحيان(٦٢).

ثانياً: قيم الشباب وقيم الكبار: غالبـاً مـا يقتـرن التغيـر الاجتماعي بظهور فجوات ثقافية بين الأجيال المختلفة، فالجيل القديم يظل محافظاً علي القيم القديمة، بينما يجد الجيل الجديد نفسه واقعاً تحت تأثير قـوي وعوامـل اجتماعية، فيقاوم القيم السابقة ويجنح إلي تقبـل القـيم الجديدة، ويقضي ذلك، طبعاً إلي نشوء اختلاف بين قيم الكبار والشـباب(٦٣). وجميـع المجتمعـات تعـرف بدرجات متفاوتة، ظـاهرة الاخـتلاف القيمـي بـين الأجيال، وتعاني غالبية الدول حديثة الاسـتقلال مـن انقطاع ثقافي حاد بين الأجيال، فمنذ الاستقلال شهدت هذه الدول تحولاً اجتماعياً، ومحاولات ترمـي إلـي إحلال ثقافة جديدة، محل الثقافة التقليدية، وفي العـادة

يميل كبار السن إلي رفض القيم الجديدة لتعارضها مع القيم المتأصلة، في نفوسهم، التي تري فيها سبيلاً إلـي الخروج من إطار قيم الكبار[٦٤]. والصراع القيمي بين الشباب والكبار تستهدف التنشئة إدارته وتوجيـه دفـة الصراع لصالح المجتمع لسيادة وحدة الوعي السياسي والاجتماعي بين أفراد المجتمع وبالتالي تحقيق القـيم المستهدفة[٦٥].

ثالثاً: كذلك يمكن التفرقة بين القيم السلبية والقيم الإيجابيـة فنري أن التقويم السلبي والتقويم الإيجابي يتحدد علـي أساس إطار المرجع الذي يكونه الفرد، كما أن التربية هي التي تؤدي إلي تكوين إطار مرجعي معين، فـإذا نشأ الفرد في بيئة محافظة، كان له إطـار مرجعـي يختلف عن الإطار المرجعي للفرد الذي ينشأ في بيئـة متحررة، بل أن هذا الإطار يختلف من مجتمـع إلـي آخر ومن طبقة إلى أخري، ولهذا تختلف النظرة إلـي الأشياء وتختلف أسس ومقاييس التقويم[٦٦]. ونلاحـظ أن البيئة والمجتمع والثقافة السائدة هي مصادر تعلـم الفرد من مبدأ حياته، فيتعلم منها: كيف يقَوم الأشـياء

وكيف يصدر الأحكام علي الأعمال والسلوك، وكيـف يتجه في تقويمه إلي النواحي والأوضـاع التـي تهـم الجماعة؟، وأننا لو تدبرنا الأمر ملياً لوجدنا أن الهيئـة الاجتماعية في الواقع، تفرض علي الشخص انتباهـاً معيناً، وتضع قيوداً لرغباتـه ولميولـه، وأن نجـاح الشخص في حياته متوقف علي تكيف سلوكه حسـب هذا الفهم لنوعية القيم. والقيم السلبية يمكن أن تكـون كذلك في نظر المجتمع، ولكنها في نظـر الأسـرة أو الجماعة أو الفرد قد لا تكون كذلك، وكذلك قد تكـون قيم في مرحلة معينة إيجابية. وقد تكون سـلبية فـي مرحلة أو زمن آخر تبعاً لنسبية القيم.

رابعاً: يفرق بعض الباحثين بين القيم بالنظر إلـي محتواهـا وطبيعتها وشدتها وعموميتها ووضـوحها ودوامهـا، ومقصدها، فيضعون تصنيفاً للقيم يشمل: [٦٧]

أ) بعد المحتوي:

- قيم اقتصادية وتشير إلي اهتمام الفرد إلي ما هو نافع.
- قيم جمالية وتشير إلي اهتمام الفرد إلي ما هو جميل من ناحية الشكل.

- قيم اجتماعية وتشير إلي اهتمام الفرد إلـي غيـره مـن الناس.
- قيم سياسية وتشير إلي اهتمام الفرد للحصول علي القوة فهو شخص يسعي للسيطرة والتحكم في الأشياء
- قيم دينية وتشير إلي اهتمام الفرد وميله إلي معرفة مـا وراء العالم الظاهري.
- قيم نظرية وتشير إلي اهتمام الفرد وميله إلي الاكتشـاف الحقيقة.

ب) بعد المقصد:

- قيم وسائلية Intermental وهي تلك القيم التي ينظر إليهـا الأفراد والجماعات علي أنها وسائل لغايات أبعد
- قيم هدفيـه أو غائيـة: Goal Value، وهـي الأهـداف والوسائل التي تضعها الجماعات والأفراد لنفسها.

ج) بعد الشدة:

- القيم الملزمة Musts and Must notes: القـيم الملزمـة أو الآمرة والناهية هي القيم التي تمس كيان المصلحة العامة أو التي تتصل اتصالا وثيقاً بالمبادئ التي تساعد علـي تحقيق الأنماط المرغوب فيها التي تصـطلح الجماعـة

عليها في تنظيم سلوك أفرادها من الناحيـة الاجتماعيـة والخلقية والعقائدية، وتشمل الفرائض والنواهي، وهـي ذات القداسة التي تُلزم الثقافة بها أفرادها.

- القيم التفضيلية Preferences وهي القـيم التـي يشـجع المجتمع أفراده علـى التمسـك بهـا ولكنـه لا يلزمـه بمراعاتها إلزاماً يتطلب عقاباً لمن يخالفها، وليست لهـا صفة القدسية.
- القيم المثالية: Utopian وهي القيم التـي يحـس النـاس باستحالة تحقيقها بصورة كاملة علي الرغم مـن ذلـك، فإنها كثيراً ما تؤثر تأثيراً بالغاً في توجيه سلوك الفرد.

د) بعد العمومية:

- القيم العامة: هي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع كله بغض النظر عن فئاته المختلفة.
- القيم الخاصة: هي القيم المتعلقة بمواقـف أو مناسـبات اجتماعية معينة أو بطبقة محددة أو مناطق محددة

هـ) بعد الوضوح:

- قيم ظاهرة: هي القيم التي يصرح بهـا ويعبـر عنهـا بالكلام.

- قيم ضمنية: هي القيم التي تستخلص ويستدل علي وجودها من ملاحظة الاتجاهات التي تتكرر في سلوك الأفراد.

و) بعد الدوام:

- القيم العابرة: وهي القيم الوقتية العارضة القصيرة الدوام السريعة الزوال، فلا تكون لها صفة القداسة وذلك لأنها تتعلق بالحاضر ولا تلتصق بالماضي.
- القيم الدائمة: وهي تتميز بالدوام النسبي، وهي القيم التي تبقي زمناً طويلاً مستقرة في نفوس الناس يتناقلها جيل عن جيل، كالقيم المرتبطة بالعرف والتقاليد.

فالقيم يمكن تقسيمها لمختلف الأبعاد المتعلقة بالزمن ومدي الوضوح ومدي إلزامها وقوتها وعموميتها.

٧ ـ التعريف بالقيم السياسية:

إذا كانت القيم هي مفاهيم لما يجب أن تكون عليها الحياة المثلي ومن ثم كانت القيم تصورات ترتبط بالواقع في اللحظة الحاضرة وتتضمن تشوقاً إلي ما هو أفضل، وإذا كانت القيم هي معايير يقاس بها ما هو كائن للارتقاء به إلي مستوي

المثل العليا الذي تنطوي عليه٠٠ فالقيم دائماً أهداف تـدعو إلي التحرك نحوها لأنها مثل عليا ومعايير للسلوك في الوقت نفسه[٦٨]، فإن القيم السياسية جزء أساسي ورئيسي من الثقافة السائدة في المجتمع٠ ولذلك، فإن القيم السياسية تُشكل الثقافة السياسية للمجتمع وتُعتبر المحرك الرئيسي لها خلال جميـع فترات النمو والتحول نحـو الغايـات السياسـية المطلوبـة والمأمولة٠

ولذا سنري هنا تعريف القيم السياسية ثم نتناول خصائص القيم السياسية ونسق القيم السياسية٠

أ ـ ما هي القيم السياسية؟:

القيم السياسية يقصد بها اهتمام الفرد وميله للحصول علي القوة، فهو شخص يهدف إلي السيطرة والتحكم في الأشـياء في مختلف نواحي الحياة[٦٩]٠ وإذا تحدثنا عن القيم السياسية فلابد أن نري السمات الرئيسية للثقافة السياسية، فهي أسلوب التوجيه نحو السياسات العامة وذلك لأننا لكي نفهم سياسـات النظام، فإننا يجب أن نعي قضاياه وأفضليات التوزيع التـي تتغير بانتظام، وسوف نجد بعض عناصر الرفاهية والأمـن والحرية كدلائل سياسية استخدمت لتقيـيم المجتمعـات فـي

الماضي والحاضر علي نطاق واسع، ولذلك فإن فهم المجتمع الحالي من منظور قيمي له أهمية للثقافة السياسية، فـإذا مـا خضع المجتمع لمستويات مثالية أو تقديرات معقولة، سـوف يكون هناك سؤال: ما هي المعتقدات الخاصة بمقدرة الفـرد والتي تؤثر في مصيره من خلال العمل السياسي؟ ذلـك أن هناك قوة محركة للسياسات والتي تحقق المنجزات المثاليـة، فإذا كان معظم أفراد المجتمع راضين بنظامه الحالي، فـإن السياسات تسير برفق(٧٠).

ولذلك.. تهتم الحكومات المختلفة بضرورة خلـق ثقافـة سياسية لدي المواطنين، وهذه الثقافة السياسية قـادرة علـي جمع شمل جماهير الشعب وطوائفه المختلفة المتباينة الأفكار والمذاهب، ولكل شعب ثقافته السياسية الخاصة(٧١).

ويري لوسيان باي Lucian Pye أن الثقافة السياسـية مـا هي إلا مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التي تعطي شكلاً ومعناً ونظاماً للعملية السياسية، كما تقدم مجموعة مـن القواعد السياسية والاجتماعية المستقرة التي تحكم تصـرفات أعضاء النظام السياسي(٧٢).

ويري سيدي فيرفا Sidney Verba أن الثقافة ما هـي إلا المعتقدات والرموز التعبيرية والقيم التي تحدد الموقف الـذي يحدث الفعل السياسي في إطاره[٧٣]. فالقيم السياسية اختلـف الفقه السياسي في تحديد مكانهـا مـن النظريـة السياسـية، فالبعض يري أن محور التحليل في النظرية السياسـية هـو عملية التطور السياسي وما يرتبط به من أبعاد مختلفة ابتداء بالموقف وانتهاء بالقرار، بينما يـرى آخـرون أن التطـور السياسي لا يعدو أن يكون حركة وأن الحركة لا تنفصل عن الأهداف، والأهداف ليست إلا تعبيراً عن القيم، وعموماً فالقيم السياسية هي إطار فكري مثالي يغلف الأهـداف المباشـرة للحركة السياسية، ويضفي عليها سمواً معيناً وهو ما يسـمي بأخلاقيات الحركة السياسية، وهي تعبـر عـن خصـائص حضارية مجتمعية[٧٤].

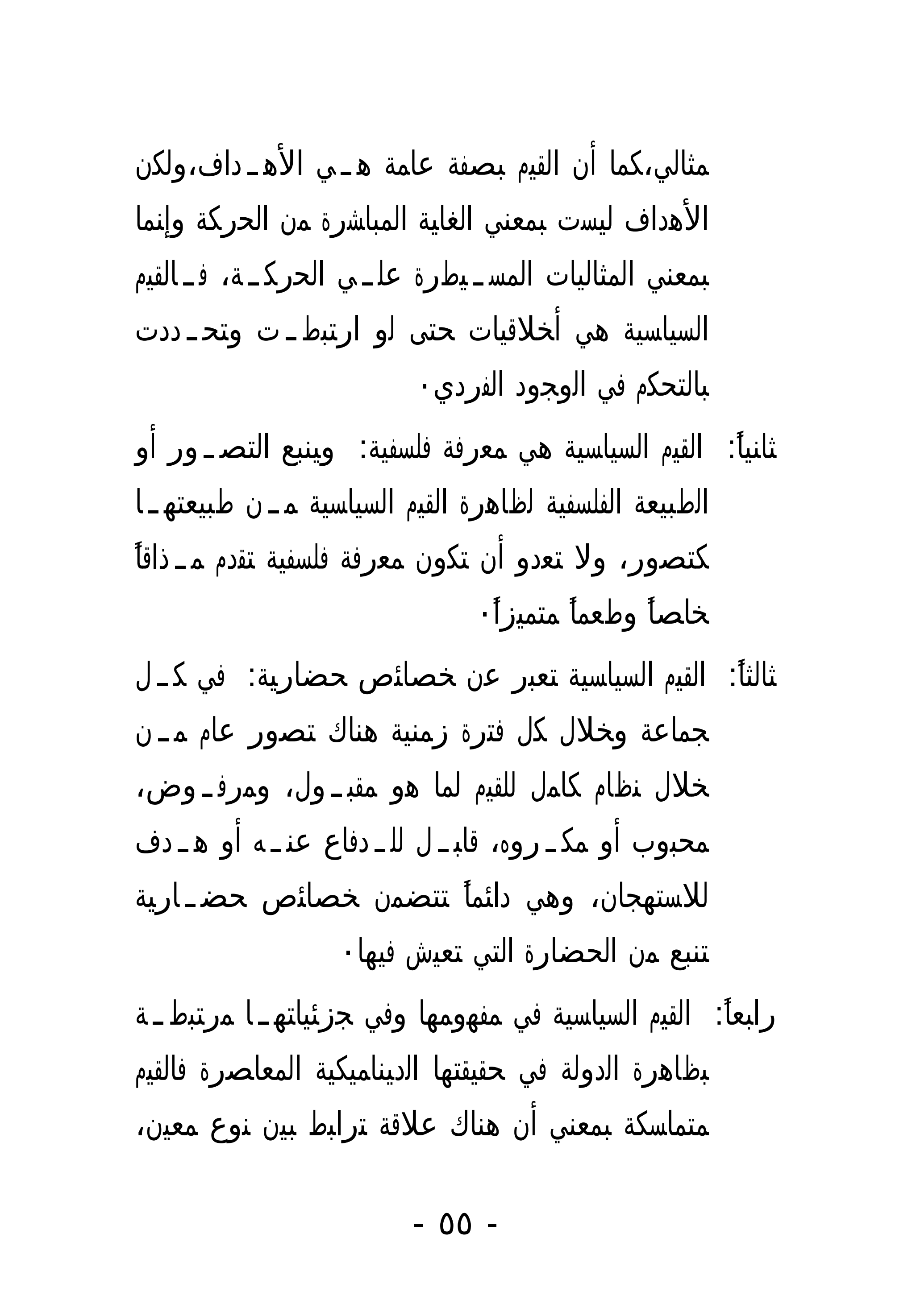
وتعود أهمية القيم السياسية إلي أن علم السياسية بأنماطـه التقليدية يضم قدراً معقولاً من القواعد المعيارية، فالدراسات العلمية للسلوك السياسي جذبت الانتباه للقيم كحقائق مناسـبة، ويجب شرحها بدورها كعوامـل تفسـيرية فـي التحلـيلات السياسية، فهذه التحليلات تتطلب ضرورة مواجهة التحكم في

تأثير القيم علاوة علي نتائج التاريخ[٧٥]. فـالقيم السياسـية أصبحت تغطي مختلف مجالات علم السياسة وخصوصاً في السلوك السياسي والتحليل السياسي. فالقيم السياسية إذن هي مثاليات سياسية تُغَاف الإطار الفكري للإنسان ككائن سياسي يسعي للسلطة ويتعامل مع غيره مـن النـاس علـي قـدم المساواة.

ب ـ خصائص القيم السياسية:

إن القيم السياسية، كإطـار للمعرفـة، لابـد أن تتميـز بخصائص تعكس مذاقها الخاص وطبيعتها المستقلة، طبيعـة مفاهيم القيم كحقيقة مجردة، تتفاعل في داخلها فـي أغلـب الأحيان عناصر غير مرئية من التقاليد والتعاليم الدينية فضلاً عن الخصائص التي يعبر عنها التطور العام لظاهرة القـيم السياسية، ومن الخصائص العامة التي تفرض ذاتهـا علـي نظرية القيم السياسية[٧٦]:

أولاً: القيم السياسية معرفة أخلاقيـة.. فهـي أولاً حقيقـة أخلاقية ونقصد بكلمة خُلقية أنها تعبيـر أو مـرادف لفكرة المثالية، وذلك لأن الثقافة السياسية لابد أن تضع لها أهداف وغايات وهذه الأهداف والغايات ذات طابع

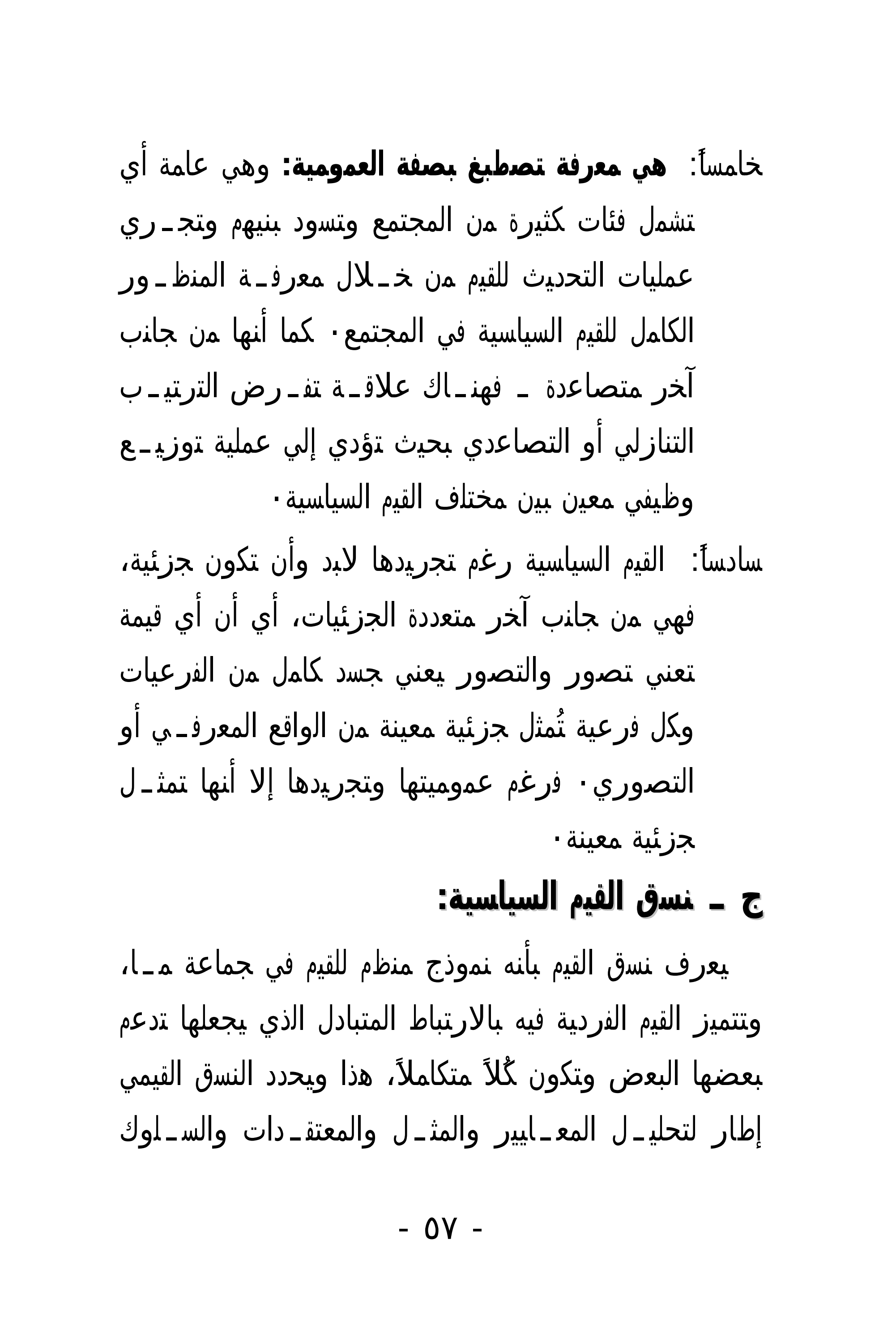

مثالي،كما أن القيم بصفة عامة هـي الأهـداف،ولكن الأهداف ليست بمعني الغاية المباشرة من الحركة وإنما بمعني المثاليات المسـيطرة علـي الحركـة، فـالقيم السياسية هي أخلاقيات حتى لو ارتبطـت وتحـددت بالتحكم في الوجود الفردي.

ثانياً: القيم السياسية هي معرفة فلسفية: وينبع التصـور أو الطبيعة الفلسفية لظاهرة القيم السياسية مـن طبيعتهـا كتصور، ولا تعدو أن تكون معرفة فلسفية تقدم مـذاقاً خاصاً وطعماً متميزاً.

ثالثاً: القيم السياسية تعبر عن خصائص حضارية: في كـل جماعة وخلال كل فترة زمنية هناك تصور عام مـن خلال نظام كامل للقيم لما هو مقبـول، ومرفـوض، محبوب أو مكـروه، قابـل للـدفاع عنـه أو هـدف للاستهجان، وهي دائماً تتضمن خصائص حضـارية تنبع من الحضارة التي تعيش فيها.

رابعاً: القيم السياسية في مفهومها وفي جزئياتهـا مرتبطـة بظاهرة الدولة في حقيقتها الديناميكية المعاصرة فالقيم متماسكة بمعني أن هناك علاقة ترابط بين نوع معين،

لابد وأن تخلق علاقة من الجذب والـرفض لمختلـف القيم، في تعددها وتنوعها، فهناك قيم معينة لابـد وأن تفرض قيم أخري وأن تؤدي إلي التسليم بقيم أخـري، وارتباط القيم السياسية بظـاهرة الدولـة - بنظامهـا السياسي وخطواتها السياسية وتقاليـدها السياسـية - يرجع إلي وضع الدولة معايير العمل السياسي والفكر السياسي من أفلاطون وحتى يومنا هذا. حتى أن هـذا الارتباط يبرز في عملية التحديث البنيوي Structural الذي يواجه قيادات الدول اليوم من خلال مهام رسالتها التحديثية الإنمائية، فالبنيات الحديثـة هـي المتجسـد الحركي والإبداعي للقيم الحديثة التي تلتزم بها القيادة، والمنتظم السياسي هو الإطار الذي يسع حركات سائر بنيات المجتمع وينظمها، والتحدي الحضاري التحديثي يتحدى البيئة السياسية قبل أية بنية أخـرى. فالبنيـة السياسية هي أداة تحديث سائر البنيات وتحدي التحديث والإنماء هو اليوم تحـدي القابليـة للاسـتجابة لهـذا التحدي[٧٧].



خامساً: **هي معرفة تصطبغ بصفة العمومية:** وهي عامة أي تشمل فئات كثيرة من المجتمع وتسود بنيهم وتجـري عمليات التحديث للقيم من خـلال معرفـة المنظـور الكامل للقيم السياسية في المجتمع. كما أنها من جانب آخر متصاعدة ـ فهنـاك علاقـة تفـرض الترتيـب التنازلي أو التصاعدي بحيث تؤدي إلي عملية توزيـع وظيفي معين بين مختلف القيم السياسية.

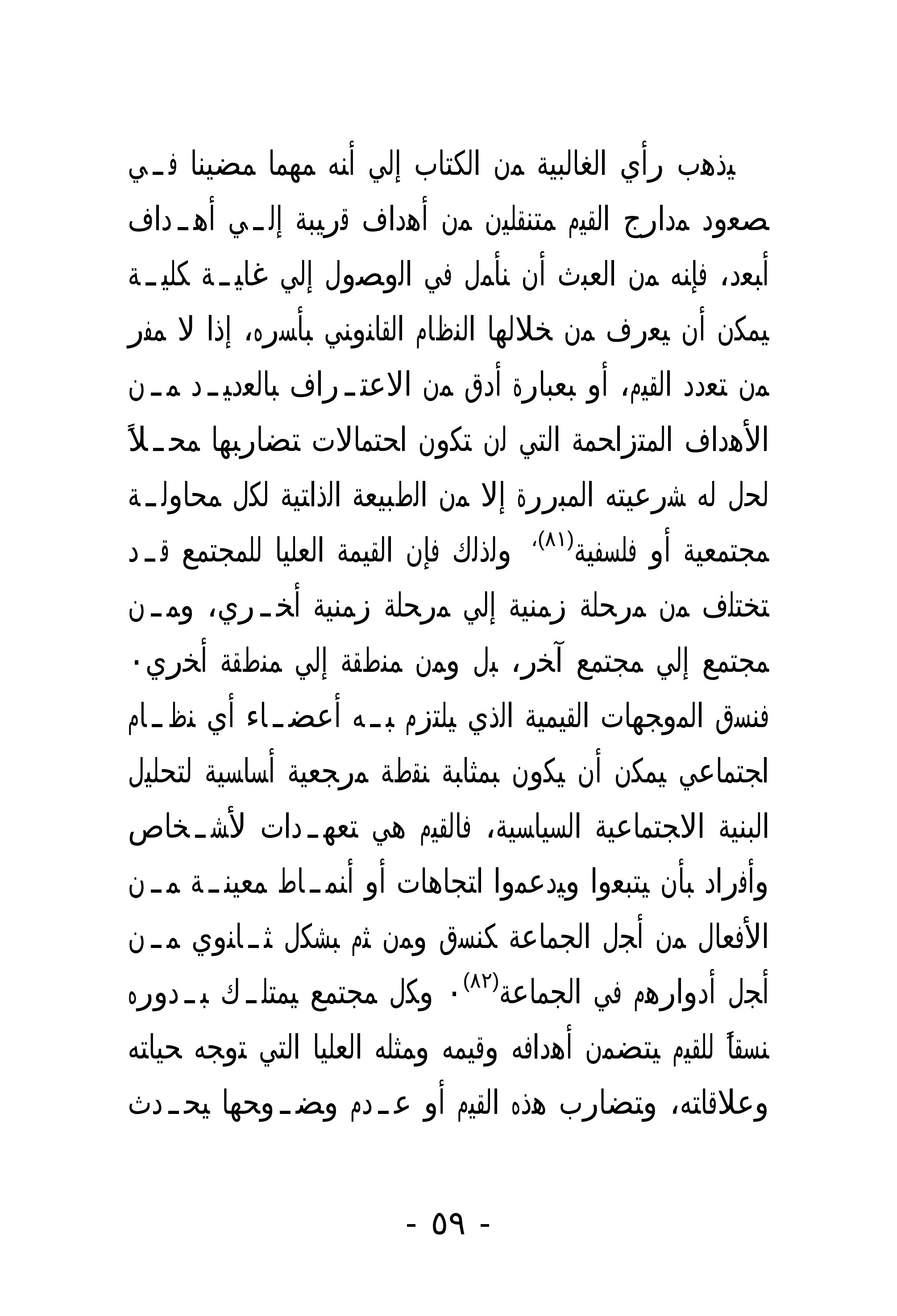
سادساً: القيم السياسية رغم تجريدها لابد وأن تكون جزئية، فهي من جانب آخر متعددة الجزئيات، أي أن أي قيمة تعني تصور والتصور يعني جسد كامل من الفرعيات وكل فرعية تُمثل جزئية معينة من الواقع المعرفـي أو التصوري. فرغم عموميتها وتجريدها إلا أنها تمثـل جزئية معينة.

ج ـ نسق القيم السياسية:

يعرف نسق القيم بأنه نموذج منظم للقيم في جماعة مـا، وتتميز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل الذي يجعلها تدعم بعضها البعض وتكون كُلاً متكاملاً، هذا ويحدد النسق القيمي إطار لتحليـل المعـايير والمثـل والمعتقـدات والسـلوك

الاجتماعي[٧٨]، وتنبع طبيعة نسق القيم من أن لكـل ثقافـة طابعها المميز، وخصائصها الفريدة، ومن ثم يوجد فيها نسق للقيم يحافظ علي هويتها، ويدعم وجودها، وهي تتطور وتنمو بطريقتها الخاصة، وقد تتضارب القيم القريبة فيحتاج الأمـر إلي صعود في مدارج القيم بحثاً عن المعايير التـي تغطـي التضارب بين القيم علي المستوي الأدنى، وعلي ذلك يكـون في"القيمة الأعلى" حلاً للقضاء بين"القيم الأدنى"، ويستند هذا الارتقاء في مدارج القيم علي مبدأ وجود قيم أولي بالإتبـاع من غيرها[٧٩].

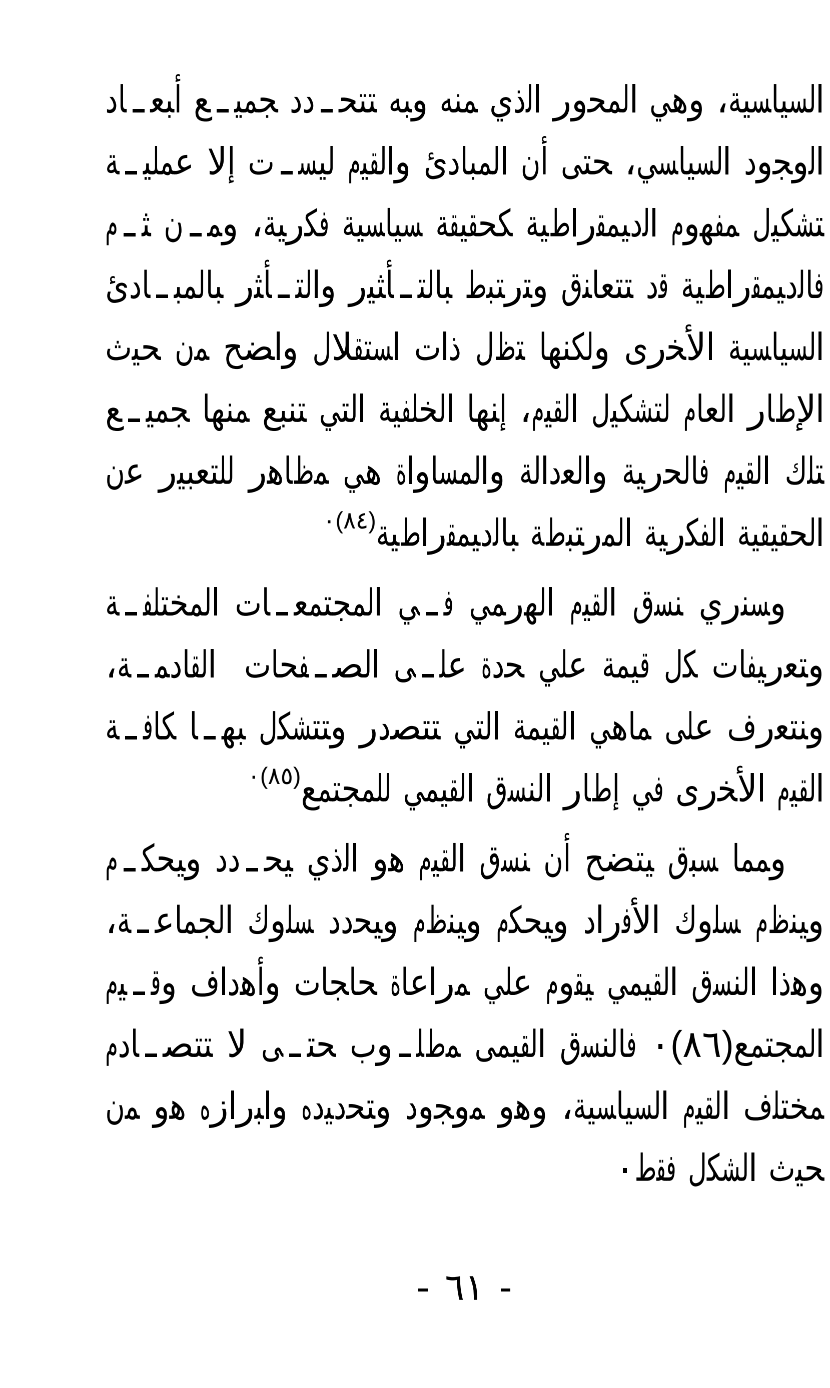
ولذلك تترتب القيم داخل بناء النسق القيمي وهو يتضـمن نوعين من القيم: الأولي نهائية وتطلـب لـذاتها، والثانيـة وسيطة وتتحقق من خلالها القيم الأولي وتوجد القـيم داخـل النسق القيمي للفرد بالتفاعل والديناميكيـة، فهنـاك إمكانيـة التغيير في بناء القيم إذا ما تولدت صورة من صور التفاعل بـين المـرء بإمكانياتـه الشخصـية وبعـض المتغيـرات الخارجية[٨٠]، ولكن.. هل توصلنا"القيمة النهائية أو القيمـة العليا" في النهاية إلي"القيمة الكلية أو الشاملة" أو إلـي"قيمـة القيم"، أو بعبارة أخري"القيمة التي تستوعب كل القيم"؟.



يذهب رأي الغالبية من الكتاب إلي أنه مهما مضينا فـي صعود مدارج القيم متنقلين من أهداف قريبة إلـي أهـداف أبعد، فإنه من العبث أن نأمل في الوصول إلي غايـة كليـة يمكن أن يعرف من خلالها النظام القانوني بأسره، إذا لا مفر من تعدد القيم، أو بعبارة أدق من الاعتـراف بالعديـد مـن الأهداف المتزاحمة التي لن تكون احتمالات تضاربها محـلاً لحل له شرعيته المبررة إلا من الطبيعة الذاتية لكل محاولـة مجتمعية أو فلسفية[٨١]، ولذلك فإن القيمة العليا للمجتمع قـد تختلف من مرحلة زمنية إلي مرحلة زمنية أخـري، ومـن مجتمع إلي مجتمع آخر، بل ومن منطقة إلي منطقة أخري. فنسق الموجهات القيمية الذي يلتزم بـه أعضـاء أي نظـام اجتماعي يمكن أن يكون بمثابة نقطة مرجعية أساسية لتحليل البنية الاجتماعية السياسية، فالقيم هي تعهـدات لأشـخاص وأفراد بأن يتبعوا ويدعموا اتجاهات أو أنمـاط معينـة مـن الأفعال من أجل الجماعة كنسق ومن ثم بشكل ثـانوي مـن أجل أدوارهم في الجماعة[٨٢]. وكل مجتمع يمتلـك بـدوره نسقاً للقيم يتضمن أهدافه وقيمه ومثله العليا التي توجه حياته وعلاقاته، وتضارب هذه القيم أو عـدم وضـوحها يحـدث

صراعاً قيمياً واجتماعياً يؤدي إلي تفكك المجتمع وانهيـاره، وهنا تكمن أهمية وضوح القيم وأهمية وضوح نسق القيم.

ونجد أن نسق القيم داخل كـل مجتمـع يقـوم بوظيفيـة المحافظة علي القيم طالما أنه يقاوم قوي التغيير في المجتمع ويحاول الإبقاء علي الأوضاع القائمة فخاصـية الاسـتقرار والثبات في القيم الاجتماعية والسياسية ليست بدرجة واحدة، فالقيم السائدة في مجتمع ما تتفاوت في قدرتها علي مقاومـة التغير الاجتماعي[٨٣]. إذن، فالقيم العليا هي ذلك المبدأ الثابت المستقر الذي تنبع منه وتتشكل جميع القيم الأخرى أو قسـط معين من القيم الأخرى. وجميع القيم السياسية تتمركز حول التقدم الديمقراطي، وتنبع منه، والمتغير الأصيل الـذي منـه تنبع جميع القيم السياسية، وهو الاقتراب بدرجة أو بـأخرى من ذلك التصور الذي يدور حول حماية الكرامة الإنسـانية، بمعني تعدد الإرادات المكونة لجـوهر العمليـة السياسـية. فالديمقراطية هي محور الوجود الإنساني والديمقراطية كنقطة بداية لا تمثل مجرد مبدأ سياسي، إنها أكثر من ذلـك، إنهـا ليست هدف سياسـي، إنهـا جـوهر الوجـود والحركـة، فالديمقراطية هي حقيقة التطـور، وهـي فلسـفة المعانـاة



السياسية، وهي المحور الذي منه وبه تتحـدد جميـع أبعـاد الوجود السياسي، حتى أن المبادئ والقيم ليسـت إلا عمليـة تشكيل مفهوم الديمقراطية كحقيقة سياسية فكرية، ومـن ثـم فالديمقراطية قد تتعانق وترتبط بالتـأثير والتـأثر بالمبـادئ السياسية الأخرى ولكنها تظل ذات استقلال واضح من حيث الإطار العام لتشكيل القيم، إنها الخلفية التي تنبع منها جميـع تلك القيم فالحرية والعدالة والمساواة هي مظاهر للتعبير عن الحقيقية الفكرية المرتبطة بالديمقراطية[٨٤].

وسنري نسق القيم الهرمي فـي المجتمعـات المختلفـة وتعريفات كل قيمة علي حدة علـى الصـفحات القادمـة، ونتعرف على ماهي القيمة التي تتصدر وتتشكل بهـا كافـة القيم الأخرى في إطار النسق القيمي للمجتمع[٨٥].

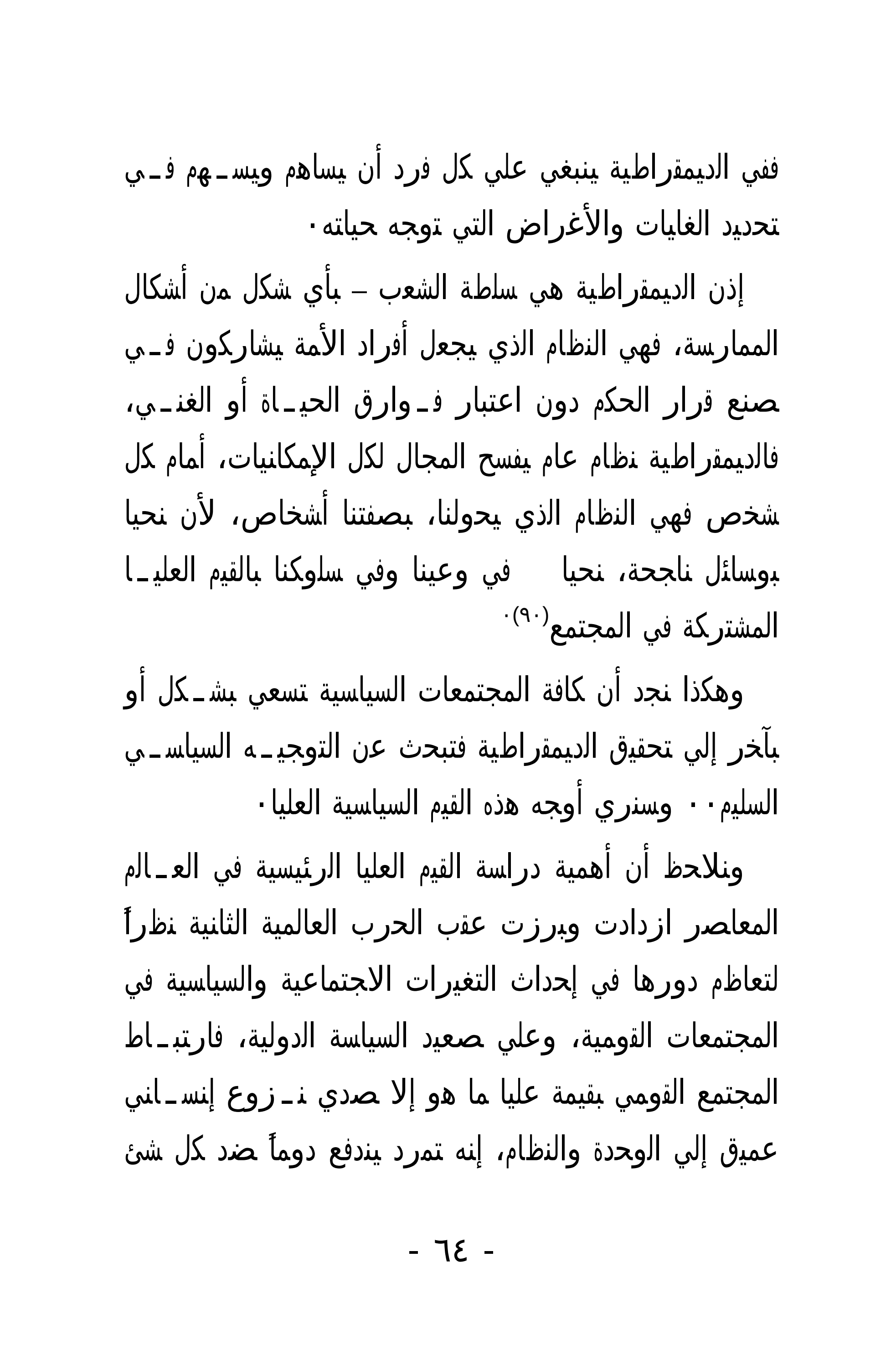
ومما سبق يتضح أن نسق القيم هو الذي يحـدد ويحكـم وينظم سلوك الأفراد ويحكم وينظم ويحدد سلوك الجماعـة، وهذا النسق القيمي يقوم علي مراعاة حاجات وأهداف وقـيم المجتمع(٨٦). فالنسق القيمى مطلـوب حتـى لا تتصـادم مختلف القيم السياسية، وهو موجود وتحديده وابرازه هو من حيث الشكل فقط.

٨- القيم السياسية العليا بين الشرق والغرب:

تحدثنا عن القيم السياسية التي تتغير مـن مجتمـع إلـى مجتمع آخر حسب الأهداف السياسية التي تريدها الدولـة أو النظام السياسـي مـن وراء مختلـف العمليـات السياسـية والاجتماعية التي تقوم بهـا وحسـب فلسـفة هـذا النظـام وأولوياته. وبالطبع فان القيمة العليا للمجتمع تختلـف مـن مجتمع إلي آخر حسب اختلاف الثقافة السياسية لهذا المجتمع، وإذا كانت القيمة هي فعل اجتماعي نمطي مقبول اجتماعيـا وثابت نسبيا، وذو صفة معيارية في توجيه السلوك للأفـراد والجماعات نحو إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية [٨٧]، فـان القيم تنبع من ثقافة المجتمع، التي تعتبر مظهرا أساسيا مـن مظاهر الحضارة الإنسانية في عالمنـا المعاصـر، ترقـى بالإنسان وتسمو به فوق ماديات الحياة التي تسـود واقعنـا، ولقد أثبتت دراسات علم الاجتماع أن الثقافة ذات أثر كبيـر في تشكيل الاتجاهات النفسية للرأي العام، تشكيلا يتفق مـع عادات الجماعة وقيمها وتقاليدها، فتشكل الإنسان بالأسـلوب الذي يساعد على التكيف مع المجتمع الذي يحيا فيـه، ومـع

بيئته، يجد فيها القدرة على التفكير والمشاركة فـي العمـل السياسي والاجتماعي بصورة إيجابية[88].

وجميع القيم السياسية التي تسود عالمنا المعاصر لا تهدف إلا إلي تعميق المفهوم الديمقراطي داخل المجتمـع بالشـكل الذي يتناسب مع أيدلوجية المجتمع وأهدافه ومبادئه وأفكـار وشكل نظامه السياسي. فالديمقراطية ليست مجـرد شـكل للحكم أو نظام سياسي بقدر كونها طريقة للحياة، يتعامل فـي مجالها أفراد مجتمع معين، ويشاركون عن وعى في تكـوين محيط صنع القرارات الصادرة منه، بحيث يرضـون عنهـا ويتوافقون عليها، أي أن يكون تكيف المواطنين صادراً عـن اقتناع وثقة بإدارة الحاكمين المنتخبين من بينهم، فهي كمفهوم تقترب كثيراً من دعوة الإسلام إلي الشورى حسب الحاجات الضرورية للعصر الذي نعيش فيه[89]. كما أن الديمقراطيـة بالنسبة لأي فرد تحتل نفس المكانة التي يحتلها المأوي الذي نأوي إليه والصدر الحنون الذي نرتمي بين أحضانه، فهـي العلامة المميزة المقدسة لأي نظام سياسي في البلاد المختلفة، فينظر إليها علي أنها أسلوب حياة تـدعو كـل مـن يتـأثر بالقرارات من الشعب إلي المشاركة في اتخاذ هذه القرارات،



ففي الديمقراطية ينبغي علي كل فرد أن يساهم ويسـهم فـي تحديد الغايات والأغراض التي توجه حياته.

إذن الديمقراطية هي سلطة الشعب – بأي شكل من أشكال الممارسة، فهي النظام الذي يجعل أفراد الأمة يشاركون فـي صنع قرار الحكم دون اعتبار فـوارق الحيـاة أو الغنـي، فالديمقراطية نظام عام يفسح المجال لكل الإمكانيات، أمام كل شخص فهي النظام الذي يحولنا، بصفتنا أشخاص، لأن نحيا بوسائل ناجحة، نحيا في وعينا وفي سلوكنا بالقيم العليـا المشتركة في المجتمع(٩٠).

وهكذا نجد أن كافة المجتمعات السياسية تسعي بشـكل أو بآخر إلي تحقيق الديمقراطية فتبحث عن التوجيـه السياسـي السليم.. وسنري أوجه هذه القيم السياسية العليا.

ونلاحظ أن أهمية دراسة القيم العليا الرئيسية في العـالم المعاصر ازدادت وبرزت عقب الحرب العالمية الثانية نظراً لتعاظم دورها في إحداث التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمعات القومية، وعلي صعيد السياسة الدولية، فارتبـاط المجتمع القومي بقيمة عليا ما هو إلا صدي نـزوع إنسـاني عميق إلي الوحدة والنظام، إنه تمرد يندفع دوماً ضد كل شئ

في الكون، فهو يمثل محور فلسفة حياة مجتمعية شاملة، ولقد شهد القرن العشرين نماذج جديدة من القيم العليا التي أثـرت في مسارات السياسة الدولية، وقد تبلورت هـذه القـيم مـن مصادر مختلفة، ولكنها كانت دائماً ذات الأثر الغلاب سـواء علـي صـعيد الحركـة القوميـة أو الدوليـة مثـل القـيم الدينية:الديمقراطية- القومية - العسكرية، الشيوعية والفاشية، ويتميز التاريخ المعاصر بسيطرة قيمة عليا بثلاث مسـارات مختلفة،وتؤثر علي مسار الحركة القوميـة علـي الصـعيد الدولي[٩١]،وسنتناول هذه القيم وهي:

- قيم الحربية بصفتها القيمة العليـا فـي المجتمعـات الرأسمالية الغربية.
- قيمة المساواة كقيمة عليا موجودة فـي المجتمعـات الشيوعية والاشتراكية.
- قيمة العدالة كمفهوم أساسي للفكر الإسلامي.

وهذا لا يمنع من أن هناك دولاً عديدة وخصوصـاً فـي العالم الثالث تُعلي من قيمة الانتماء الوطني وتُغلق الباب علي نفسها وتبني ذاتها بذاتها دون النظـر إلـي أيـة شـكليات ديمقراطية فتُعمق الانتماء المحلي أو الديني فقط.

أ ـ الحرية كقيمة عليا في المجتمعات الليبرالية:

الحرية، كلمة تسود الفلسفة الليبرالية الغربية، كما تُعتَبـر الأساس الفلسفي للحضارة الغربية، ولذلك جعلت هذه الفلسفة قيمة الحرية هي القيمة العليا السياسية التـي تتشـكل علـي أساسها كافة القيم الفردية والجماعية في الجماعة السياسـية، وتجد هذه القيمة أساسها في أغوار التاريخ الأوربي.

فالحرية، بالنسبة للحضارة الغربية تُمثـل نظـرة شـاملة للوجود الإنساني بأسره، والحرية كقيمة سياسـية تفتـرض وجود نظام سياسي يسمح بالمشاركة الفعلية من جانب الطبقة المحكومة في تسيير دفة الحكم، وأن سلطة الأمة أو السـيادة الشعبية في النهاية هي سلطة المواطن. فالحريـة السياسـية تمثل محور الحركة القومية السياسية وفي صورة متنوعة من القيم السلوكية أهمها الحرية الاقتصادية – الانتخاب كوسـيلة لاختيار الطبقة الحاكمة – التنوع الوظيفي للسلطة – سـيادة القانون – تعدد الأحزاب السياسية – حرية الصحافة والحرية الإعلامية – الحرية الثقافية – الحريـة الاجتماعيـة – حـق تكوين الأحزاب وحق الإضراب.. الـخ...[٩٢]. وتـنعكس قيمة الحركة كقيمة سياسية عليا علـي الحركـة السياسـية

الدولية، فتنادي الدولة بقدسية الاستقلال السياسي وعدم التبعية لدولة أخري، كما تنعكس هذه القيمة العليا علي جميع القيم الأخرى فتجعل منها قيما تابعة تتشكل وتصارع علي هدي من الحرية كقيمة عليا سياسية تحكم الحركة القومية.

وكلمة الحرية في أوسع معانيها تعني اختفاء القيود علي النشاط الفردي أو الجماعي، والحرية بهذا المعني هي مرادف للقدرة علي الحركة دون ضوابط، إنها بمعني آخر تعني عدم التبعية.

كما أن المفهوم السياسي للحرية يعني أن كل نظام سياسي يسمح بالمشاركة الفعلية من جانب الطبقة المحكومة في تسيير دفة الحكم، وبغض النظر لكلمة المشاركة، والمشاركة بهذا المعني تفترض عناصر معينة[٩٣]، فهي تفترض اتساع نطاق الممارسة السياسية بحيث أن المحكوم في أوسع قسط ممكن، يستطيع في لحظة معينة، ولو في بعض صور محدودة من التصويت، أن يصف نفسه بأنه حاكم ومحكوم في آن واحد، كما أنها تفترض حق المناقشة، لأن المناقشة دون إمكانية التقييم لا قيمة لها، فالمشاركة ليست إجراء صورياً، وإنما يقصد بها المساهمة الفعلية في عملية التقييم

والاختيار، وتفترض حق الرقابة الذي يفرض إمكانية الضبط والتوجيه للمسئولية إزاء صـاحب الحـق فـي الممارسـة السياسية.

كما أن مفهوم الحرية يشير إلي التحرر من القيود التـي يفرضها شخص معين علي شخص آخر، ويؤكد الـبعض أن الحرية تشير إلي أسلوب للحياة يتمثل في القيام بالأفعال التي تتطابق مع القانون الأخلاقي أو المنطقي، فالحرية لا تتضـح من انعدام القيود، وإنما تتجلى في توافر فرص الحياة المتاحة للمشاركة والنشاط الواعي النابع من الذات، والـذي يـدخل السرور عليها، وبهذا تكون الحرية ضـمير للفـرد وفائـدة للمجتمع، ولما كانت قوانين المجتمع المتحضر سياسياً ناتجة عن الإرادة الواعية فيه، فإن تمتع الفرد بالحريـة يتناسـب طردياً مع درجة طاعة هذه القوانين. هكذا يكـون مفهـوم الحرية: انطلاق من قيود الماديات قبل التفكير في اللحـاق بموكب السابحين في عالم القيم والمثاليـات والمـذاهب(٩٤)، فالحرية السياسية ما هي إلا تتويج لكل ما يمكن أن يتمتع به الفرد من مشاعر الحرية والإحساس بها في كافـة مجـالات الحياة وضروب نشاطها.

وبتحليل عميق لقيمة الحرية بصـفتها أهـم القـيم الحقيقية للحياة نجدها[٩٥]:

أولاً: لا توجد حرية بصفة مطلقة مجردة، ونقصد أن الحرية الحق لا تكون لازمة، بل أن كل حرية تكون متعديـة وإلا بقيت بدون محتوى.

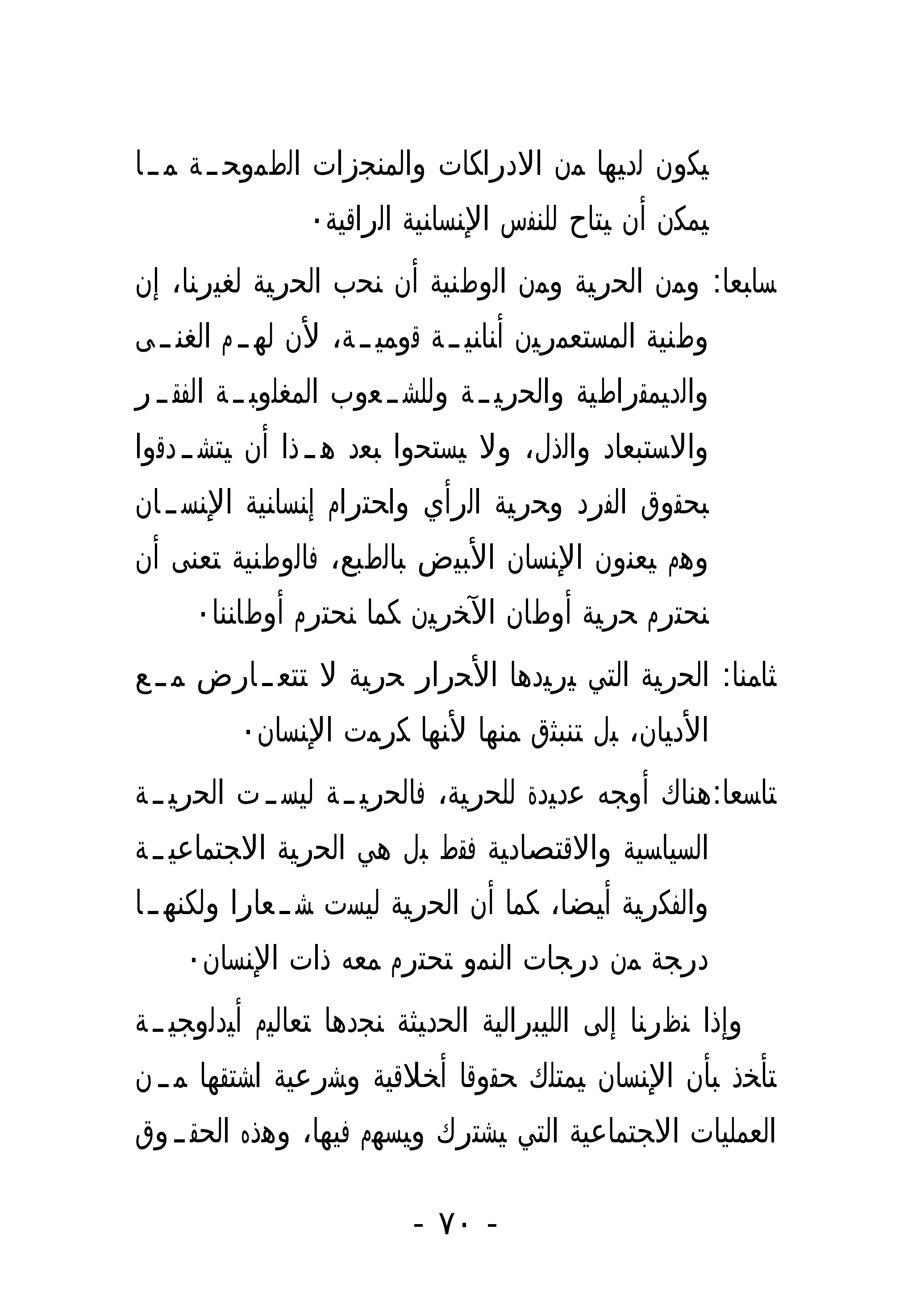
ثانيا: لابد للحرية من تكاملية بين الحريات المختلفـة، أي أن كل حرية تستلزم حريات أخرى، نعنى أنه لا حقيقـة لأية حرية إلا في مجموعة من الحريات تتكامل معهـا تكتمل بها.

ثالثا: لا تُفهم أية حرية إلا إذا ارتكزت على معايير اجتماعية وقانونية.

رابعا: الحرية لا تتسق مع الأسر ولا تتفق معـه أيـا كـان نوعه.

خامسا: كما أن الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطرار يتحقق هذا المعنى في الإنسان بل في كل شئ.

سادسا: الحرية نمو على المستوى الفردي، والمجموع، بل أن الثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف والعقد، بحيث



يكون لديها من الادراكات والمنجزات الطموحـة مـا يمكن أن يتاح للنفس الإنسانية الراقية.

سابعا: ومن الحرية ومن الوطنية أن نحب الحرية لغيرنا، إن وطنية المستعمرين أنانيـة قوميـة، لأن لهـم الغنـى والديمقراطية والحريـة وللشـعوب المغلوبـة الفقـر والاستبعاد والذل، ولا يستحوا بعد هـذا أن يتشـدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام إنسانية الإنسـان وهم يعنون الإنسان الأبيض بالطبع، فالوطنية تعنى أن نحترم حرية أوطان الآخرين كما نحترم أوطاننا.

ثامنا: الحرية التي يريدها الأحرار حرية لا تتعـارض مـع الأديان، بل تنبثق منها لأنها كرمت الإنسان.

تاسعا:هناك أوجه عديدة للحرية، فالحريـة ليسـت الحريـة السياسية والاقتصادية فقط بل هي الحرية الاجتماعيـة والفكرية أيضا، كما أن الحرية ليست شـعارا ولكنهـا درجة من درجات النمو تحترم معه ذات الإنسان.

وإذا نظرنا إلى الليبرالية الحديثة نجدها تعاليم أيدلوجيـة تأخذ بأن الإنسان يمتلك حقوقا أخلاقية وشرعية اشتقها مـن العمليات الاجتماعية التي يشترك ويسهم فيها، وهذه الحقـوق

نسبية وليست مطلقة، وما وجـدت الحكومـة إلا لتحسـين وتشجيع وتعزيز الرفاهية العامة. وتأخذ الليبراليـة الحديثـة بأن الحرية هي القدرة علي الأداء، فالحرية متسقة ومنسجمة مع مذهب المناداة بالمساواة.

فالليبرالية الكلاسيكية هي ذلك المذهب الذي تأخذ تعاليمه بأن الإنسان يمتلك حقوقا طبيعية أكثرها وأعظمها أهمية هي" حقه في الحرية" وحقه في الاستقلال، وتعتمد الليبرالية علـي الحكومة لتقوم علي حماية هذه الحقوق ولتحافظ علي النظام، بينما ينبغي أن تتولى الأغلبية الحكم، ألا أن الأقلية لها حقوق فطرية، وقوي الحكومة محدودة فعليا وجوهريا، وأن الحرية والمساواة متضادتان ومتناقضتان وأن أحد وظائف الحكومـة هي الإبقاء علي التوازن المرغوب فيه بينهما بـين الحريـة والمساواة.

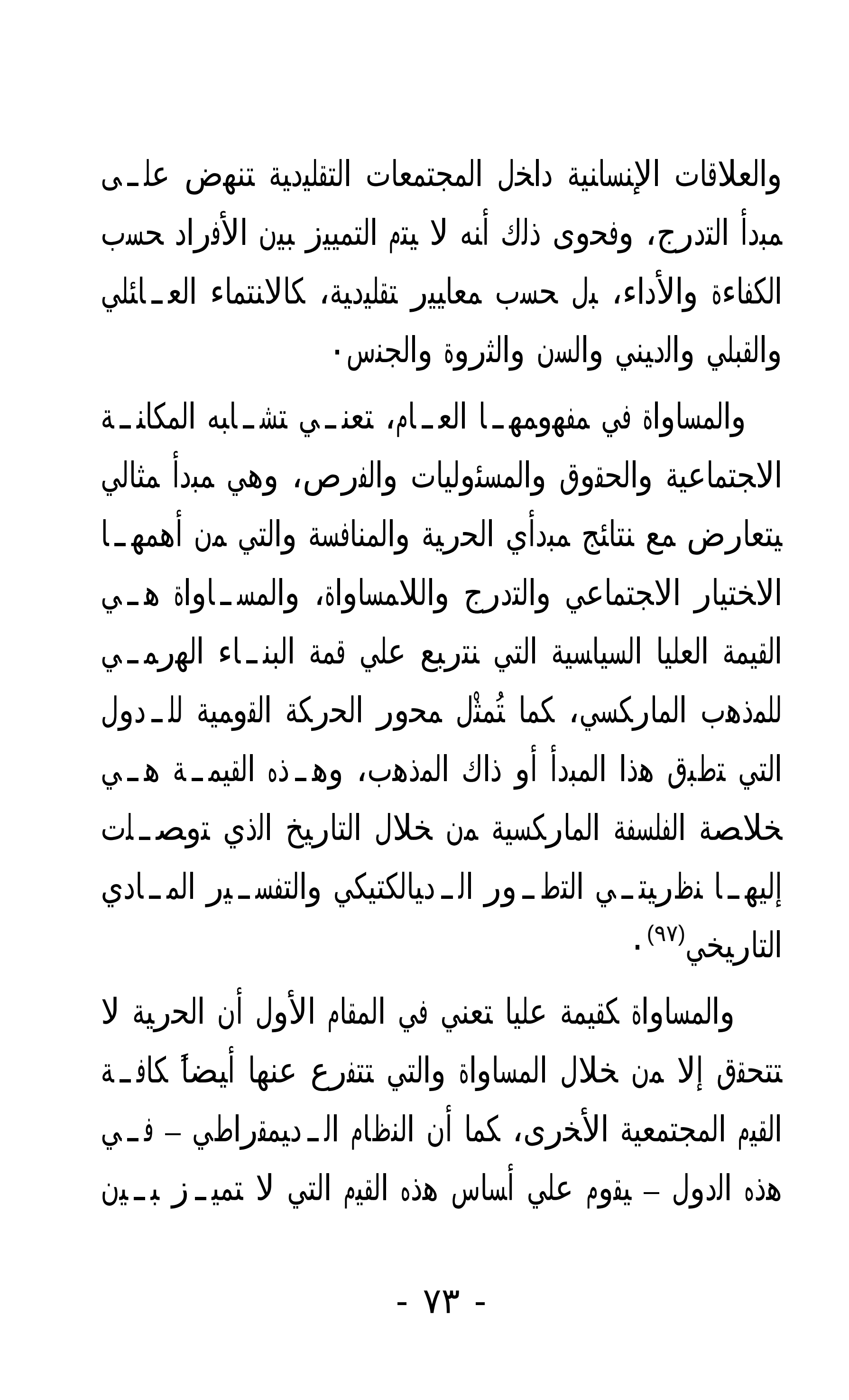
ومما سبق يتضح أن الثقافة السياسية الديمقراطية تُركـز وتؤكد علي الحرية كقيمة أساسية وكقيمة عليا، وتكون إطاعة أوامر السلطة في هذه الحالة مرجعها الإقناع وليس الخوف، كما يتوافر إيمان عام بضرورة وأهمية المشاركة السياسـية الإيجابية، وكذلك يتوفر في إطار الحرية أن يكون لدى أغلب

الأفراد إحساس بالقدرة على التأثير فـي مجريـات الحيـاة السياسية (٩٦)٠ولذلك، فان الفرد غالبا ما يتمتع بدرجة عالية من روح المبادرة وبمعنـى الاسـتعداد والـتحمس للقيـام بمشروعات ذات نفع عام علـى طريـق العمـل التعـاوني المشترك دون اعتماد على الحاكمين٠

فالحرية قيمه عليا أصيلة تتفرع عنها كافة القيم الأخـرى في المجتمعات الرأسمالية الغربية٠

ب - المساواة كقيمة عليا في المجتمعات الشيوعية والاشتراكية:

قد تؤكد الثقافة السياسية للمجتمع إما على المساواة بـين الأفراد أو على التفرقة التحكمية بينهم، وفى هـذه المسـاواة يتوقع أن تكون درجة المشاركة الجماهيريـة فـي العمليـة السياسية أكبر منها في التفرقة٠ وتتبنى أغلـب المجتمعـات الحديثة قيمة المساواة في اعتبارها، كإحدى القـيم الأساسـية التي تحكم العلاقات بين الأفراد، في هذه المجتمعـات يكـاد يختفي التمييز التحكمى بين الأفراد في الحقوق والالتزامات، أن التمييز الذي يرتد إلى عوامل طبقية أو إقليمية أو عرقيـة أو جنسية، وتتم المفاضلة بينهم على أساس الكفاءة والإنجاز،



والعلاقات الإنسانية داخل المجتمعات التقليدية تنهض على مبدأ التدرج، وفحوى ذلك أنه لا يتم التمييز بين الأفراد حسب الكفاءة والأداء، بل حسب معايير تقليدية، كالانتماء العائلي والقبلي والديني والسن والثروة والجنس.

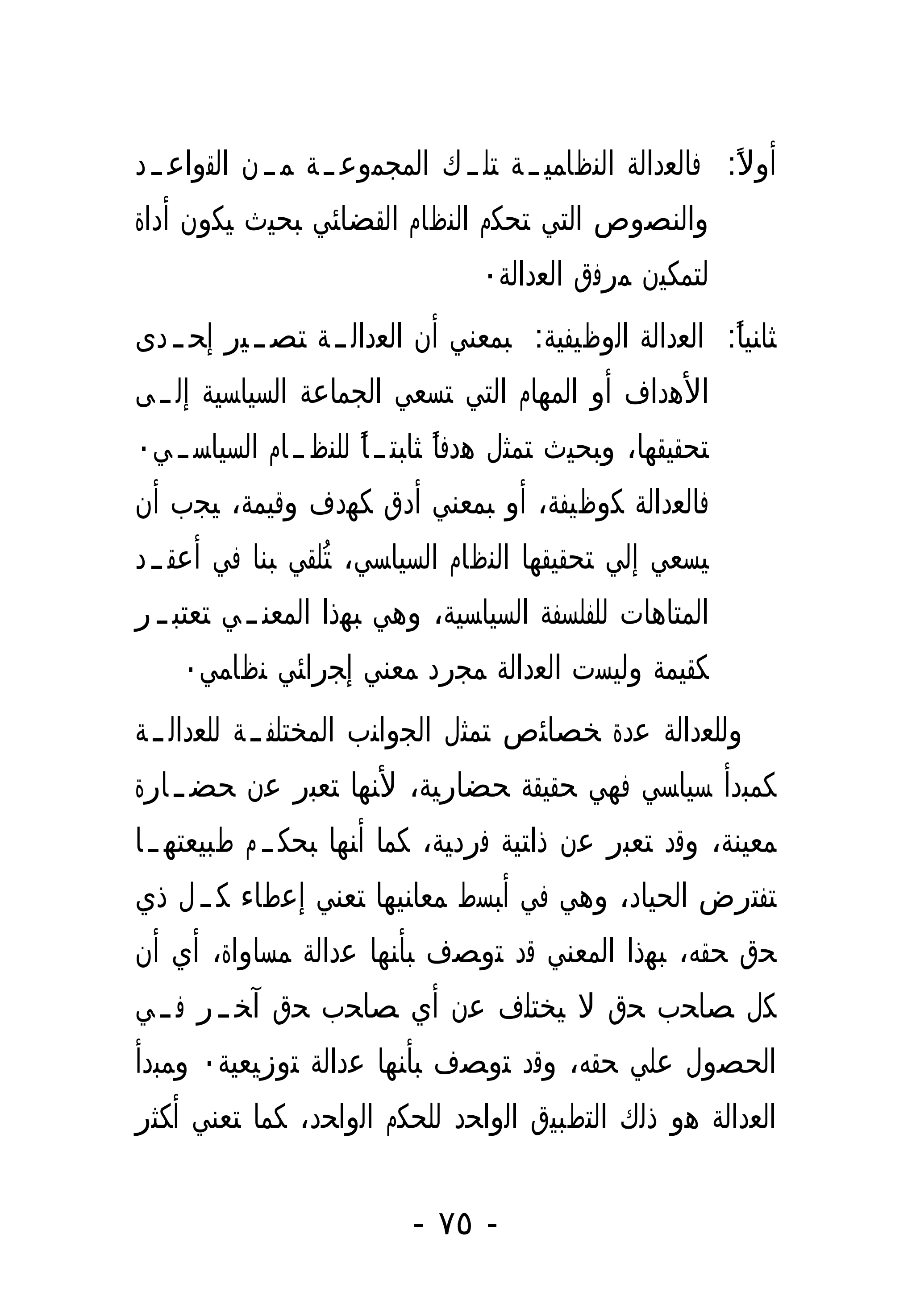
والمساواة في مفهومها العام، تعني تشابه المكانة الاجتماعية والحقوق والمسئوليات والفرص، وهي مبدأ مثالي يتعارض مع نتائج مبدأي الحرية والمنافسة والتي من أهمها الاختيار الاجتماعي والتدرج واللامساواة، والمساواة هي القيمة العليا السياسية التي تتربع علي قمة البناء الهرمي للمذهب الماركسي، كما تُمثْل محور الحركة القومية للدول التي تطبق هذا المبدأ أو ذاك المذهب، وهذه القيمة هي خلاصة الفلسفة الماركسية من خلال التاريخ الذي توصلت إليها نظريتي التطور الديالكتيكي والتفسير المادي التاريخي[97].

والمساواة كقيمة عليا تعني في المقام الأول أن الحرية لا تتحقق إلا من خلال المساواة والتي تتفرع عنها أيضاً كافة القيم المجتمعية الأخرى، كما أن النظام الديمقراطي – في هذه الدول – يقوم علي أساس هذه القيم التي لا تميز بين

الأفراد بحسب لـونهم أو جنسـهم أو أمـوالهم، ولا حتـى بأعمالهم. وأن المشاركة السياسية الجماهيرية لدي أعضاء المجتمع في نظامهم السياسي وفي اتخاذ القرارات تتم وفقـاً للمساواة. فالدول الشيوعية تنظر للحرية علـي أسـاس أن الهدف الأول هو وقاية النظام الاجتماعي والفكر الشـيوعي السائد ويضع الفرد في خدمة المجموع ويحدد الحقوق وهـذه الحريات الفردية بما لا يتعارض مع تعاليمه الاشتراكية كمـا لا يسمح للأفراد بالخروج عن هذه التقاليـد والـنظم بحجـة الحرية وخلافه(٩٨). فالمساواة كمبدأ، وكقيمة عليـا، تشـكل البناء القيمي والهرمي للمجتمع، وعنها تتفـرع كافـة القـيم الأخرى في هذه المجتمعات الشيوعية والاشتراكية.

ج ـ العدالة: كقيمة عليا في الفكر الإسلامي:

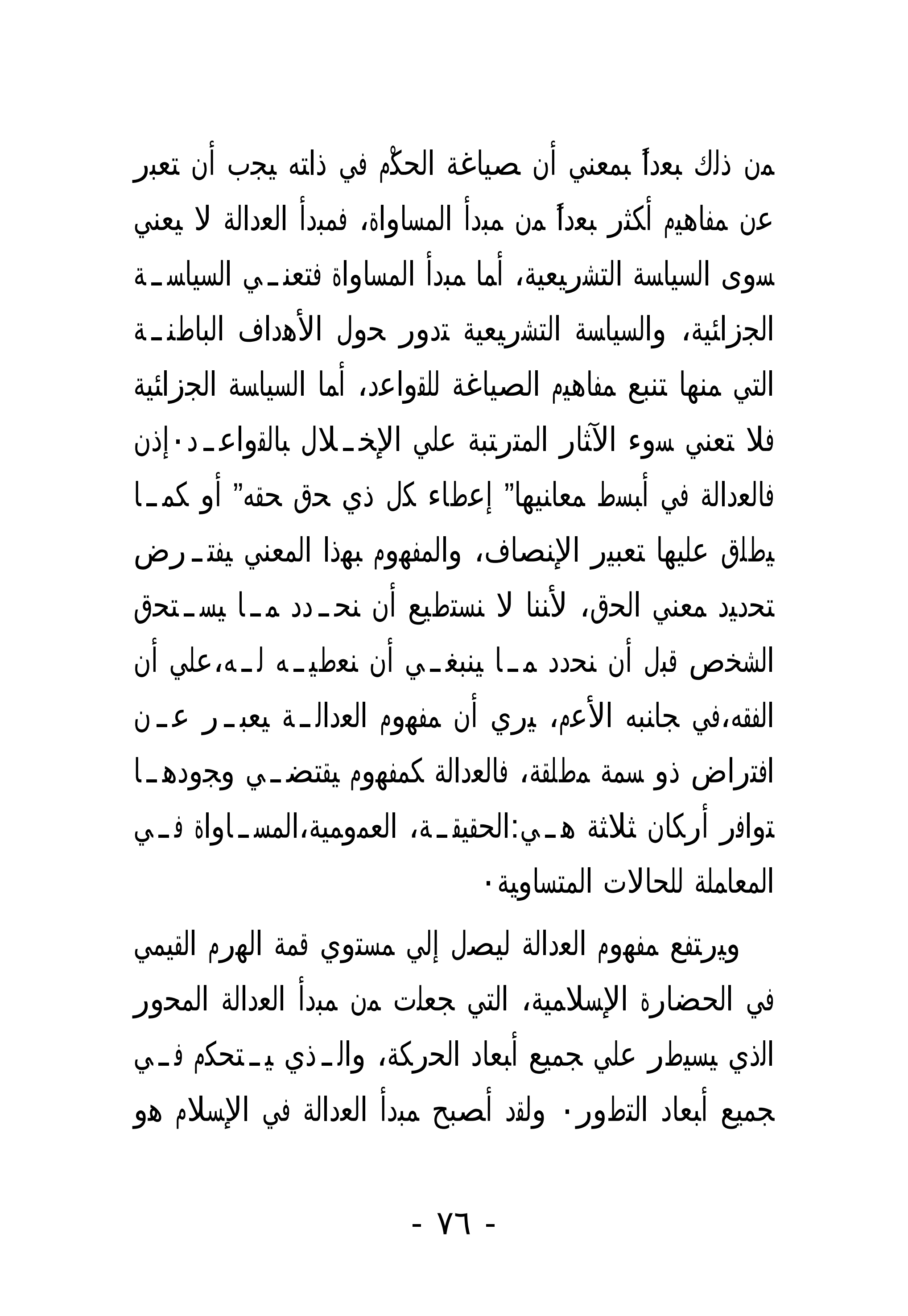
العدالة في أبسط مفاهيمها تعني العدل في إصدار الأحكام وعدم المحاباة والتحيز لشيء معين. وكلمة عدالة اصـطلاح ساد في الفقه السياسي في مختلف مراحلـه، وهـي بمعنـي وظيفي ومعني نظامي:



أولاً: فالعدالة النظامية تلك المجموعة من القواعد والنصوص التي تحكم النظام القضائي بحيث يكون أداة لتمكين مرفق العدالة.

ثانياً: العدالة الوظيفية: بمعني أن العدالة تصير إحدى الأهداف أو المهام التي تسعي الجماعة السياسية إلى تحقيقها، وبحيث تمثل هدفاً ثابتاً للنظام السياسي. فالعدالة كوظيفة، أو بمعني أدق كهدف وقيمة، يجب أن يسعي إلي تحقيقها النظام السياسي، تُلقي بنا في أعقد المتاهات للفلسفة السياسية، وهي بهذا المعني تعتبر كقيمة وليست العدالة مجرد معني إجرائي نظامي.

وللعدالة عدة خصائص تمثل الجوانب المختلفة للعدالة كمبدأ سياسي فهي حقيقة حضارية، لأنها تعبر عن حضارة معينة، وقد تعبر عن ذاتية فردية، كما أنها بحكم طبيعتها تفترض الحياد، وهي في أبسط معانيها تعني إعطاء كل ذي حق حقه، بهذا المعني قد توصف بأنها عدالة مساواة، أي أن كل صاحب حق لا يختلف عن أي صاحب حق آخر في الحصول علي حقه، وقد توصف بأنها عدالة توزيعية. ومبدأ العدالة هو ذلك التطبيق الواحد للحكم الواحد، كما تعني أكثر



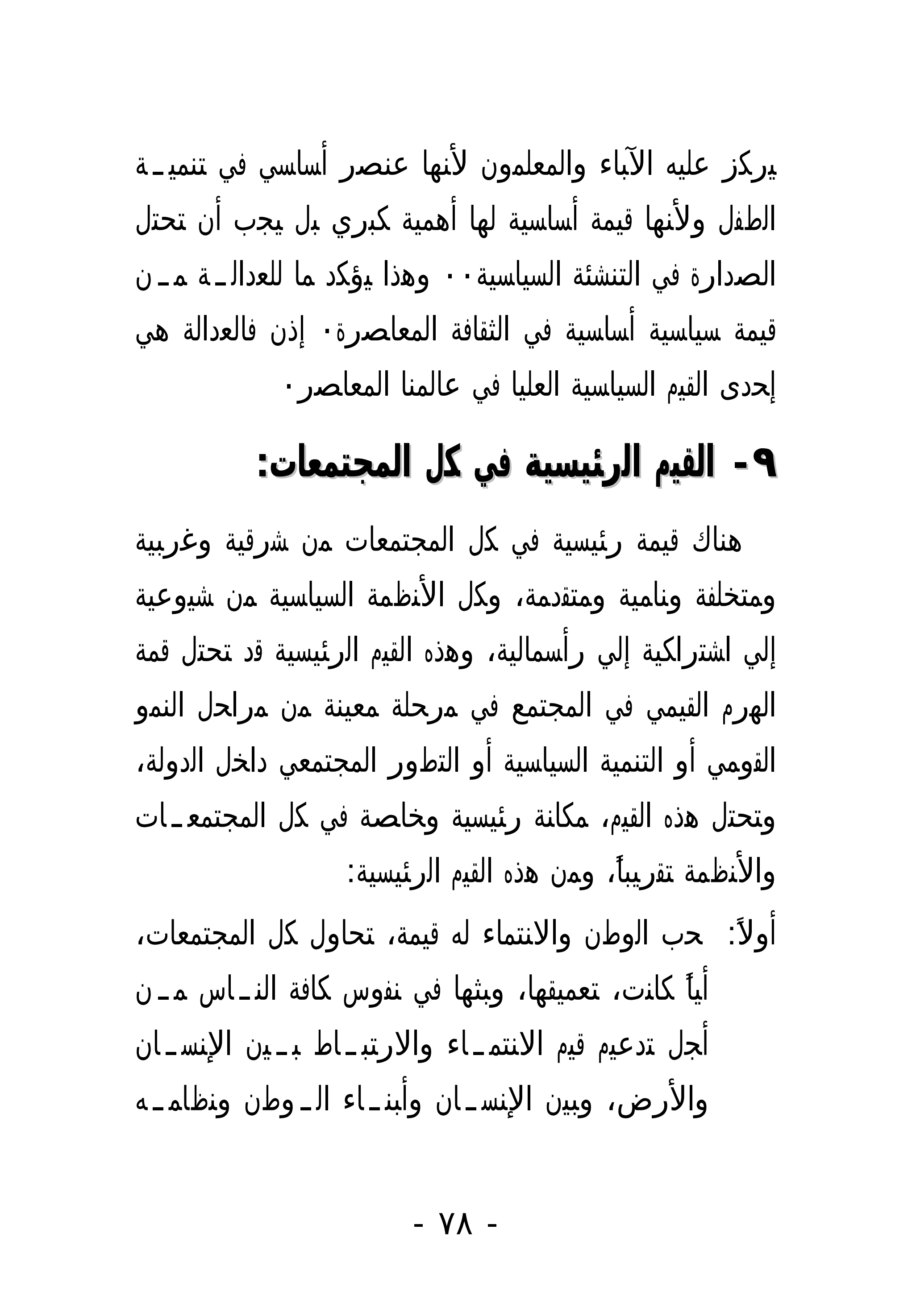
من ذلك بعداً بمعني أن صياغة الحكم في ذاته يجب أن تعبر عن مفاهيم أكثر بعداً من مبدأ المساواة، فمبدأ العدالة لا يعني سوى السياسة التشريعية، أما مبدأ المساواة فتعنـي السياسـة الجزائية، والسياسة التشريعية تدور حول الأهداف الباطنـة التي منها تنبع مفاهيم الصياغة للقواعد، أما السياسة الجزائية فلا تعني سوء الآثار المترتبة علي الإخـلال بالقواعـد.إذن فالعدالة في أبسط معانيها" إعطاء كل ذي حق حقه" أو كمـا يطلق عليها تعبير الإنصاف، والمفهوم بهذا المعني يفتـرض تحديد معني الحق، لأننا لا نستطيع أن نحـدد مـا يسـتحق الشخص قبل أن نحدد مـا ينبغـي أن نعطيـه لـه،علي أن الفقه،في جانبه الأعم، يري أن مفهوم العدالـة يعبـر عـن افتراض ذو سمة مطلقة، فالعدالة كمفهوم يقتضـي وجودهـا توافر أركان ثلاثة هـي:الحقيقـة، العمومية،المسـاواة فـي المعاملة للحالات المتساوية.

ويرتفع مفهوم العدالة ليصل إلي مستوي قمة الهرم القيمي في الحضارة الإسلامية، التي جعلت من مبدأ العدالة المحور الذي يسيطر علي جميع أبعاد الحركة، والـذي يـتحكم فـي جميع أبعاد التطور. ولقد أصبح مبدأ العدالة في الإسلام هو

الهدف الأسمى الذي تسعي الجماعة السياسية إلي تحقيقه، كما يمثل الهدف الثابت والقيمة العليا للنظام السياسي الإسلامي. فإذا ما تميزت كل حضارة بسمة، كانـت سـمة الحضـارة الإسلامية هي العدالة، فالعدالة شعار الإسلام وخاصـة هـي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس فـي حالـة السلم وحالة الحرب، فهي القسطاس المستقيم الذي بـه يـتم توزيع الحقوق وبه ينتظم الوجود الإنساني[٩٩].

ولقد اهتمت الفلسفة الإسلامية بمفهوم العدالة،فكان محور أحكام هذه الفلسفة،العدالة،كقيمة عليا في الإسـلام،لها صـفة الإطلاق من حيث الزمان والمكان والموضـوع،فهي حـق لأعداء الدولة الإسلامية كما هي حق لأوليائها مواطني الدولة الإسلامية، بل وينهي الإسلام أن تحمل العداوة علي الظلـم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى، كما أن العدالة معيـار الحركة الإسلامية في وقت السلم، كما أنها أيضاً المعيار في وقت الحرب.

ومن جهة أُخري وفي دراسة لأحد الباحثين[١٠٠]: اتضـح أن مفهوم الطفل عن العدل ينمي تفكيره الموضوعي، ويؤكد أن فكرة العدل نفسها فكرة حاسمة وقيمة أساسـية يجـب أن



يركز عليه الآباء والمعلمون لأنها عنصر أساسي في تنمية الطفل ولأنها قيمة أساسية لها أهمية كبري بل يجب أن تحتل الصدارة في التنشئة السياسية.. وهذا يؤكد ما للعدالة من قيمة سياسية أساسية في الثقافة المعاصرة. إذن فالعدالة هي إحدى القيم السياسية العليا في عالمنا المعاصر.

٩- القيم الرئيسية في كل المجتمعات:

هناك قيمة رئيسية في كل المجتمعات من شرقية وغربية ومتخلفة ونامية ومتقدمة، وكل الأنظمة السياسية من شيوعية إلي اشتراكية إلي رأسمالية، وهذه القيم الرئيسية قد تحتل قمة الهرم القيمي في المجتمع في مرحلة معينة من مراحل النمو القومي أو التنمية السياسية أو التطور المجتمعي داخل الدولة، وتحتل هذه القيم، مكانة رئيسية وخاصة في كل المجتمعات والأنظمة تقريباً، ومن هذه القيم الرئيسية:

أولاً: حب الوطن والانتماء له قيمة، تحاول كل المجتمعات، أياً كانت، تعميقها، وبثها في نفوس كافة الناس من أجل تدعيم قيم الانتماء والارتباط بين الإنسان والأرض، وبين الإنسان وأبناء الوطن ونظامه

السياسي. فحب الوطن والاهتمام بخيـر الـوطن أو بمصلحته ورفاهيته يؤدي إلي التضحية في سبيله ومن أجله والشعور بالانتماء والتلاقي مع أهدافه والشـعور القومي نحو الوطن وحبه والاعتـزاز بـه والـدفاع عنه(١٠١). إن هذه القيمة هي أهم قيمـة تبـث فـي نفوس الأطفال في كافة المجتمعات، لأن هـذه القيمـة هي التي تُحدد أُسس العلاقة الوطيدة بين الإنسان وبين تراب بلده والدفاع عنه وعن مقدساته وتراثه وعاداتـه وتقاليده، وتعتبر من أهم القيم التي تهتم بها كافة الدول باختلاف اتجاهاته.

ثانياً: القيم الدينية: يشكل التدين، إحـدى قـيم الثقافـة السياسة التقليدية، فحيث تسود هذه الثقافـة يغلـب أن يجعل المرء من العقيدة، كما يفهمها، كمحدد رئيسـي لسلوكه السياسي والاجتماعي، كما تتمثل في التمسـك والتعلق بالغيبيات التي تسيطر علـي الأفـراد نزعـة قدرية، ويجنح الفرد إلي الربط بين الدين والسياسـة. وعلي العكس من ذلك تعتبر العلمانية واحدة من قـيم الثقافة السياسية الحديثة، التي في ظلها، لا يتخذ الفـرد

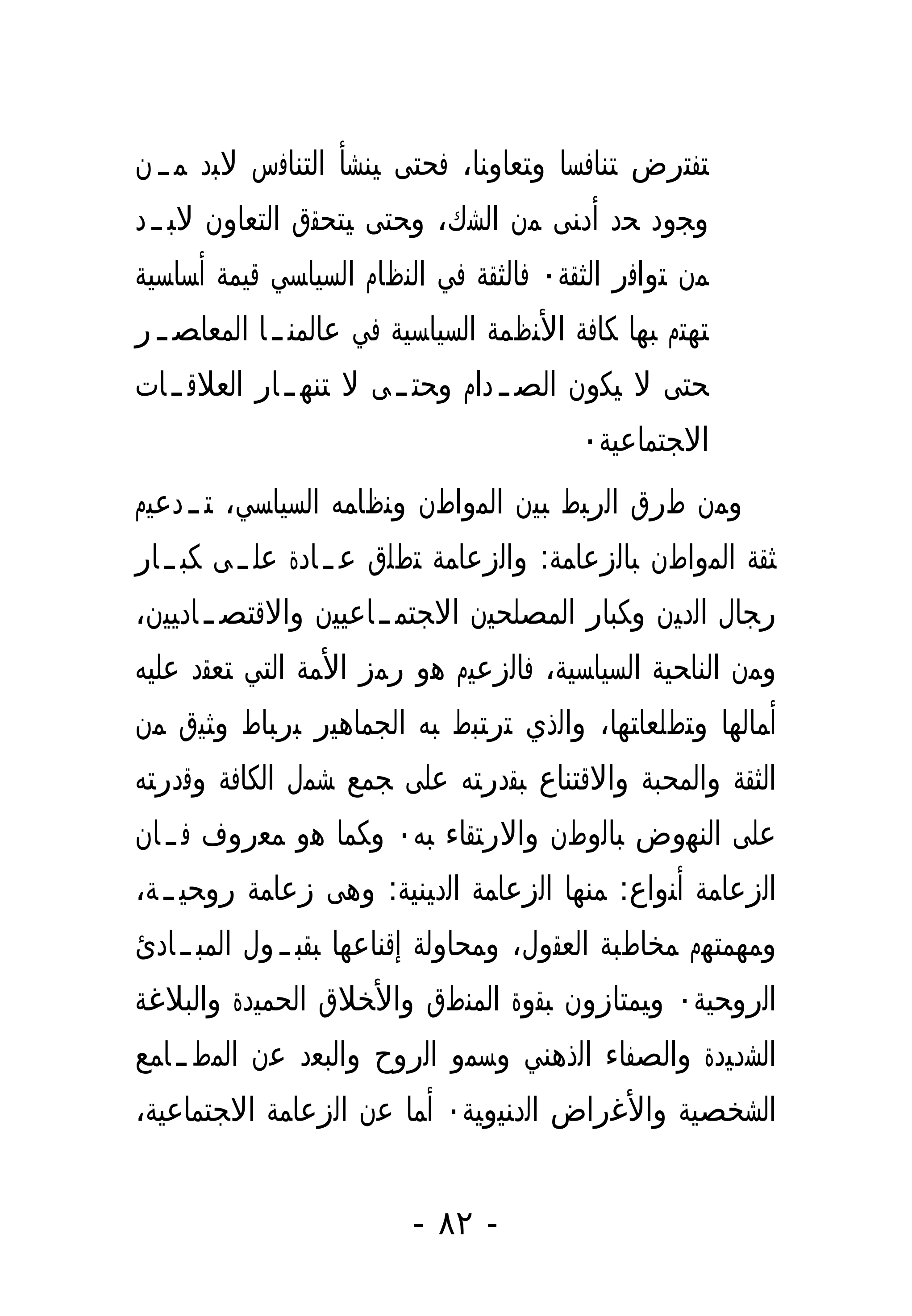
من الدين محدداً لسلوكه فـي المجـالين الاجتمـاعي والسياسي، ويقبل الفرد الفصل بين العلاقات السياسية والعلاقــات الدينيــة وخصوصــاً فــي الــدول الاشتراكية(١٠٢)٠ والإيمان يسود أغلب المجتمعات، في مختلف أنحاء العـالم، تحـت مسـميات الأديـان المختلفة، فعن طريق الإيمان با يتشـرب الإنسـان الأخلاق الدينية، وهى قبل كل شئ أخلاق اجتماعيـة تبغي كمال الفرد بدنيا ونفسيا واجتماعيا، فينموا لديـه الشعور بالعزة وبالقوة، لأن الإيمان يفيض على نفسـه أبعاد الأبدية وينمى لديه الوعي بالانتماء إلى الجماعة، وينتزعه من التشاؤم والانعزال٠

والتدين والقيم الدينية قيم أساسية،فنادراً ما تجـد مجتمعـاً علمانياً،حتى في المجتمعات العلمانية فإنها لا تقوم إلا بالفصل بين الدين والسياسة، ولكن القيم الدينية تسود أعماق الأفـراد ووجدانهم ويتاح لهم حرية ممارسة الشـعائر الدينيـة، دون وضع هذه القيم في الاعتبار عند وضـع السـلم الطبقـي أو الفئوي أو الاجتماعي لتنظيم المجتمع٠

ثالثا: تدعيم الثقة بالنظام السياسي: يعتبر عنصـر الثقـة أو الشك في الحكومة واحدا من عناصر الثقافة السياسـية لأي مجتمع، ويتـوقف مدى ثقة الأفراد أو شكهم فـي الحكومة على عاملين:

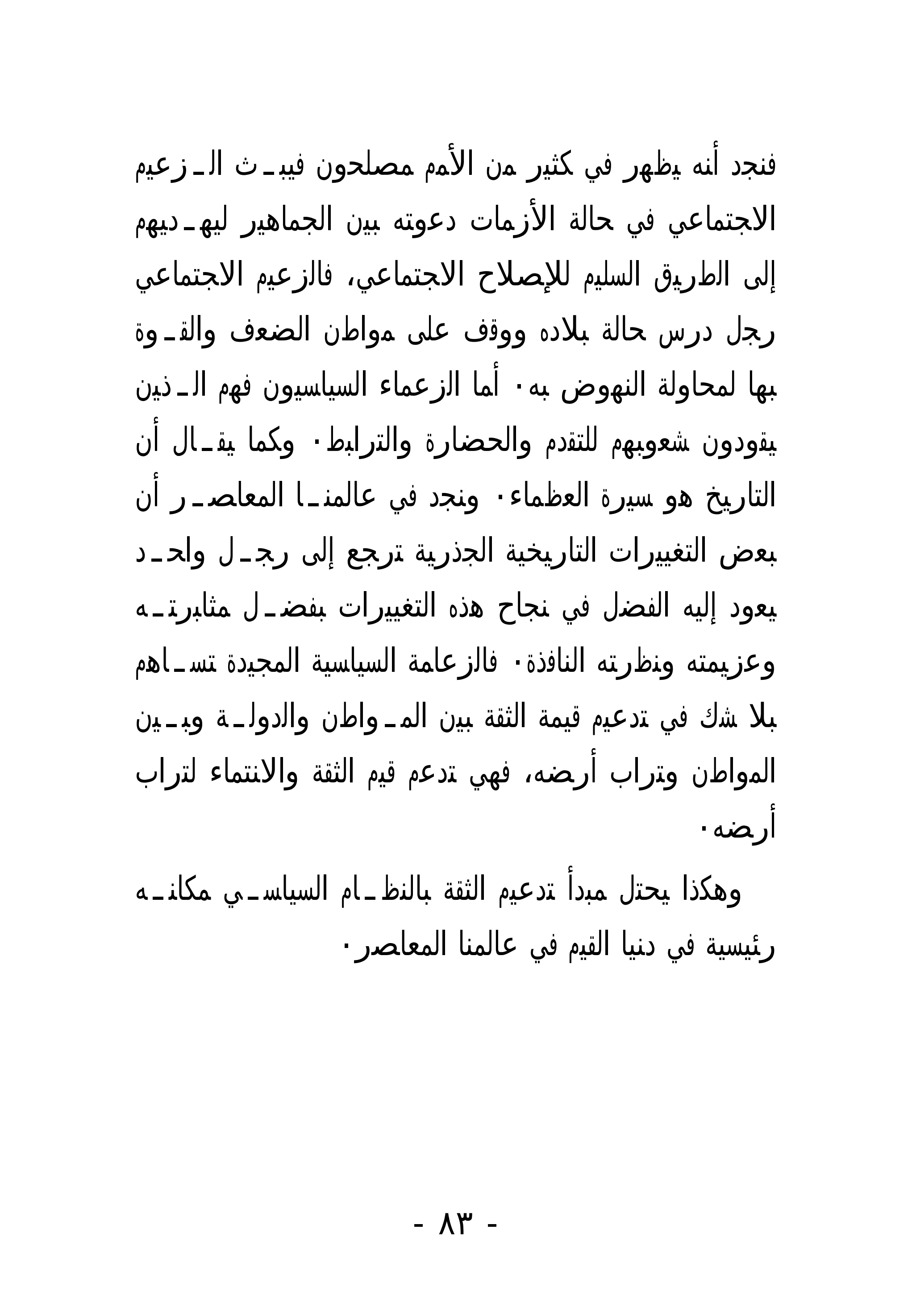
أ) هو طبيعة سلوكهم حيال هذه الحكومـة، فـإذا اهتمـت الحكومة برفاهيتهم وحل مشكلاتهم فمـن المتوقـع أن يثقوا فيها وبالعكس.

ب) إذا ما كانت العلاقات بين الأفراد يحكمها الشك أم الثقـة المتبادلة، فانخفاض مسـتوى الثقـة فـي العلاقـات الاجتماعية من شأنه أن يعمق الشـك فـي الحكومـة والعكس صحيح. ومع ذلك، فان الثقة المطلقـة فـي النخبة الحاكمة تؤدى إلى خلق علاقات سياسية غيـر ديمقراطية يمكن أن تقود بدورها إلى قصور فـي أداء النظام السياسي، وبالمثل فان الشك المطلق في الصفوة الحاكمة كفيل بعرقلة العمل الجماعي، حيث يصعب في هذه الحالة بناء تنظـيمات سياسية فعالة. ومـن هنـا لابد من وجود توازن مقبول بين الثقة والشـك حتـى يتحقق التسيير الفعال للعملية السياسية الديمقراطية التي



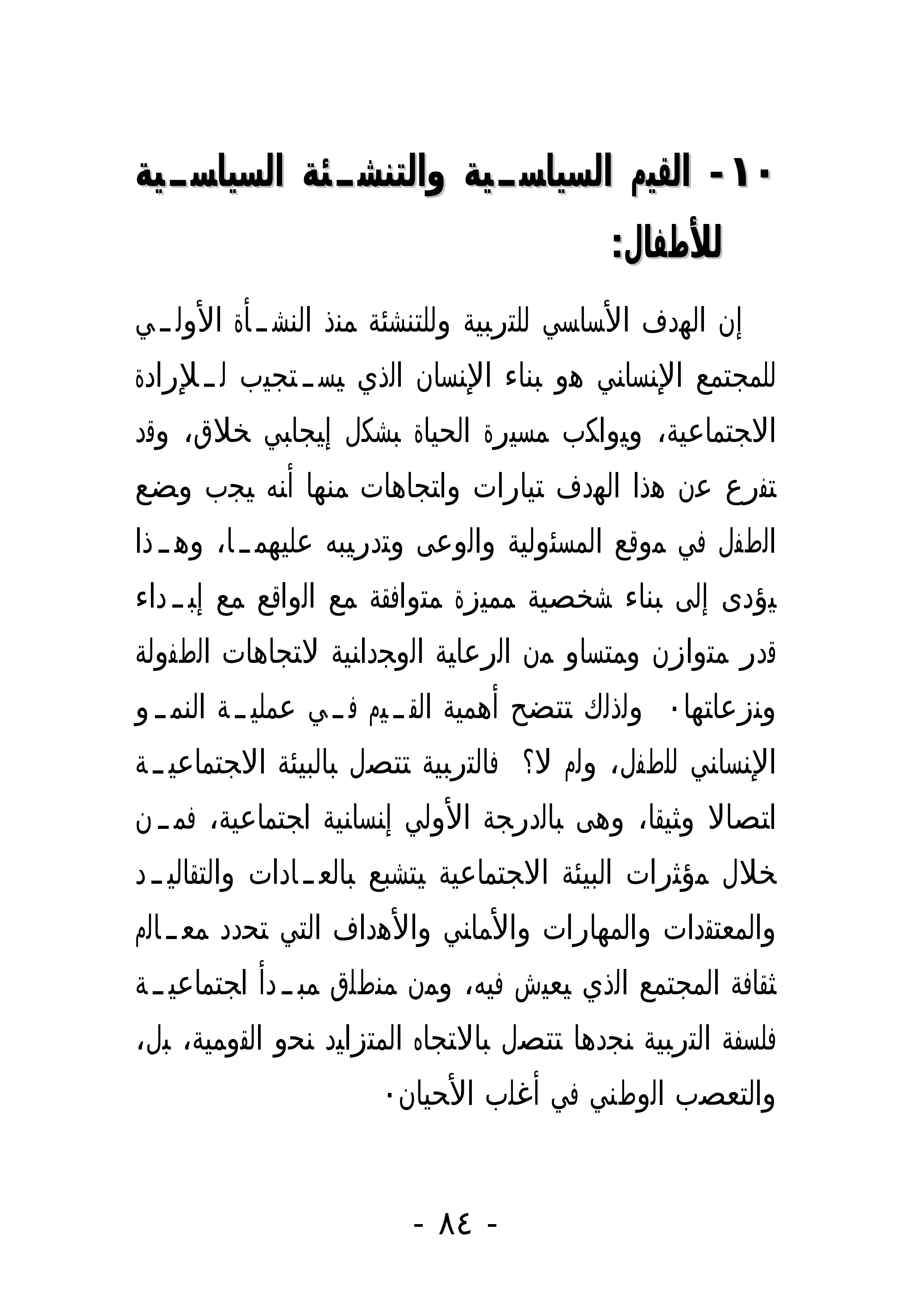
تفترض تنافسا وتعاونا، فحتى ينشأ التنافس لابد من وجود حد أدنى من الشك، وحتى يتحقق التعاون لابد من توافر الثقة. فالثقة في النظام السياسي قيمة أساسية تهتم بها كافة الأنظمة السياسية في عالمنا المعاصر حتى لا يكون الصدام وحتى لا تنهار العلاقات الاجتماعية.

ومن طرق الربط بين المواطن ونظامه السياسي، تدعيم ثقة المواطن بالزعامة: والزعامة تطلق عادة على كبار رجال الدين وكبار المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين، ومن الناحية السياسية، فالزعيم هو رمز الأمة التي تعقد عليه أمالها وتطلعاتها، والذي ترتبط به الجماهير برباط وثيق من الثقة والمحبة والاقتناع بقدرته على جمع شمل الكافة وقدرته على النهوض بالوطن والارتقاء به. وكما هو معروف فان الزعامة أنواع: منها الزعامة الدينية: وهى زعامة روحية، ومهمتهم مخاطبة العقول، ومحاولة إقناعها بقبول المبادئ الروحية. ويمتازون بقوة المنطق والأخلاق الحميدة والبلاغة الشديدة والصفاء الذهني وسمو الروح والبعد عن المطامع الشخصية والأغراض الدنيوية. أما عن الزعامة الاجتماعية،



فنجد أنه يظهر في كثير من الأمم مصلحون فيبث الزعيم الاجتماعي في حالة الأزمات دعوته بين الجماهير ليهديهم إلى الطريق السليم للإصلاح الاجتماعي، فالزعيم الاجتماعي رجل درس حالة بلاده ووقف على مواطن الضعف والقوة بها لمحاولة النهوض به. أما الزعماء السياسيون فهم الذين يقودون شعوبهم للتقدم والحضارة والترابط. وكما يقال أن التاريخ هو سيرة العظماء. ونجد في عالمنا المعاصر أن بعض التغييرات التاريخية الجذرية ترجع إلى رجل واحد يعود إليه الفضل في نجاح هذه التغييرات بفضل مثابرته وعزيمته ونظرته النافذة. فالزعامة السياسية المجيدة تساهم بلا شك في تدعيم قيمة الثقة بين المواطن والدولة وبين المواطن وتراب أرضه، فهي تدعم قيم الثقة والانتماء لتراب أرضه.

وهكذا يحتل مبدأ تدعيم الثقة بالنظام السياسي مكانه رئيسية في دنيا القيم في عالمنا المعاصر.



١٠- القيم السياسـية والتنشـئة السياسـية للأطفال:

إن الهدف الأساسي للتربية وللتنشئة منذ النشـأة الأولـي للمجتمع الإنساني هو بناء الإنسان الذي يسـتجيب لـلإرادة الاجتماعية، ويواكب مسيرة الحياة بشكل إيجابي خلاق، وقد تفرع عن هذا الهدف تيارات واتجاهات منها أنه يجب وضع الطفل في موقع المسئولية والوعى وتدريبه عليهمـا، وهـذا يؤدى إلى بناء شخصية مميزة متوافقة مع الواقع مع إبـداء قدر متوازن ومتساو من الرعاية الوجدانية لاتجاهات الطفولة ونزعاتها. ولذلك تتضح أهمية القـيم فـي عمليـة النمـو الإنساني للطفل، ولم لا؟ فالتربية تتصل بالبيئة الاجتماعيـة اتصالا وثيقا، وهى بالدرجة الأولي إنسانية اجتماعية، فمـن خلال مؤثرات البيئة الاجتماعية يتشبع بالعـادات والتقاليـد والمعتقدات والمهارات والأماني والأهداف التي تحدد معـالم ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، ومن منطلق مبـدأ اجتماعيـة فلسفة التربية نجدها تتصل بالاتجاه المتزايد نحو القومية، بل، والتعصب الوطني في أغلب الأحيان.

إذن فالقيم ونظم السلوك ركن من أركان ثقافة الطفل التي تنتقل إليه من مجتمعه، ومناقشة ثقافة الطفل التي يكتسبها من مجتمعه معتمدة على مداخل إنسانية، تدور حـول أسـاليب اتصاله بالآخرين مـن حيـث سـلوكه اللفظـي والعملـي والانفعالي(١٠٣)٠ ومن هنا، فنتناول موضوع القيم السياسية وثقافة الطفل من خلال مناقشتنا لجوانب أهمية القيم بالنسـبة للأطفال، ثم ماهى وكيف تتم في عالمنا المعاصر؟

أ- أهمية القيم بالنسبة للطفل:

تعد القيم أحد مرتكزات العمل التربوي، بل هي من أهـم أهدافه ووظائفه، وهذه القيم هدف الآباء والمعلمـين وكافـة المؤسسات التربوية داخل المجتمع، وكلهم يسـعون لتأكيـد النسق القيمى الإيجابي، وحذف القيم السالبة التي تعوق حركة التنمية أو تقيد الطاقات، وذلك لأن القائمين على أمور التربية يبغون صناعة الطفل القادر والمشارك والمؤثر فـي حركـة التنمية داخل المجتمع٠٠ فالطفل يبدأ بتقليد أفعال أكثر الناس قربا له، أي الآباء ومن خلال الإيحـاءات والرمـوز تنمـو مشاعرهم وتتكامل اتجاهاتهم(١٠٤)٠ وإذا نظرنا للقيم، نجدها

أنها تأخذ طريقها إلى الطفل عبر مسـارين مهمـين لديـه (١٠٥):

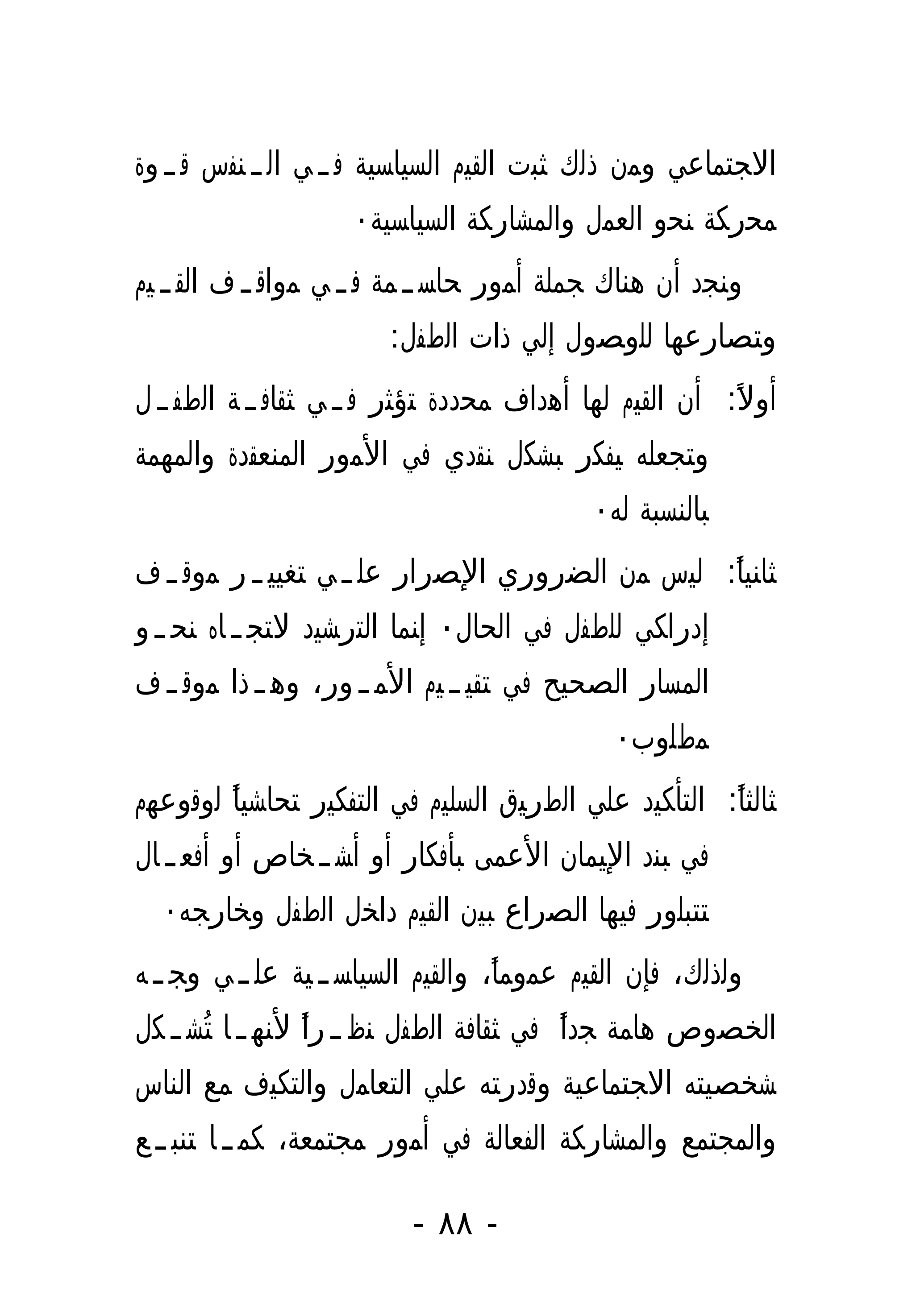
الأول:مجموعة القيم الاجتماعية والأخلاقية والوطنيـة التـي تبثها العائلة، والنظام، وتطورها في المراحل الدراسية اللاحقة، وهي مجموعة القيم المباشرة والصريحة.

الثاني:مجموعة القيم التي يستلمها الطفل من معايشته الذاتيـة واكتشافاته الخاصة سواء كان ذلك مـن قراءاتـه أو اتصالاته الذاتية أو من خلال الرموز الخاصـة فـي المجتمع.

ويري البعض أن القيم في العملية التربوية تستمد أُصولها من مصادر موضوعية ولا تمثل أحكاماً ذاتية بأي حال مـن الأحوال وهم بذلك يرفضون المقولة بأن القيم شيء فـردي خاص ويؤكدون علي وجود نظرية علمية للقيم تستمد منهـا القيم وجودها وبناءها بنفس الطريقة التي تعمل بهـا قـوانين الطبيعة (١٠٦)، فالتربية تشكل نشاطاً شاملاً يتم من خلالـه نقل القيم والمعارف والمهارات والمعتقدات إلـي الأفـراد، وهو نشاط تحدده متغيرات الواقع الاجتماعي بما فيها طبيعة تركيب المؤسسات التربوية وأنساق القيم التي تحكمها. فالقيم

قوة محركة لسلوك الفرد وعمله، وهي توجـه أداء الطفـل وجهة دون أخري، فالقيم التي يتشربها الفـرد مـن الحيـاة الاجتماعية تبدو كما لو كانت تشكل شخصيته وتصبح ملكـاً للفرد نفسه، فتكون القيم مرجعاً للفرد في الحكم علـي كـل شيء: الجمال – القبح – الخير – الشر.

وبث القيم للأطفال عملية تتضمن العديد من الخطوات تبدأ بالامتداح والتمسك بما تشمله القيمة، وتأكيد القيمة بإعلامهـا للغير، وأن يكون الاختيار للقيمة من بين البدائل المطروحة، وأن يكون الاختيار بعد وضع الاحتمالات الناتجة عن هـذا الاختيار في الاعتبار، وأن يتم الاختيار في حرية تامة، وأن تُمارس القيمة عملياً وأن تتميز الممارسـة العمليـة للقيمـة بالثبات والاستمرار (١٠٧)، فإذا نظرنا للقيم السياسية نجدها تؤثر علي استجابة الطفل لمختلف المنبهات السياسـية مـن خلال عملية التنشئة السياسية، فهي تُشَـجع علـي الاهتمـام بقضايا المجتمع وممارسة النشاط السياسي كما أنهـا تجعـل السلوك السياسي امتدادا للسلوك الاجتماعي، وتساعد عمليـة التربية علـي تزايـد دوره بـاطراد وبالتـدرج والحـراك



الاجتماعي ومن ذلك ثبت القيم السياسية فـي الـنفس قـوة محركة نحو العمل والمشاركة السياسية.

ونجد أن هناك جملة أمور حاسـمة فـي مواقـف القـيم وتصارعها للوصول إلي ذات الطفل:

أولاً: أن القيم لها أهداف محددة تؤثر فـي ثقافـة الطفـل وتجعله يفكر بشكل نقدي في الأمور المنعقدة والمهمة بالنسبة له.

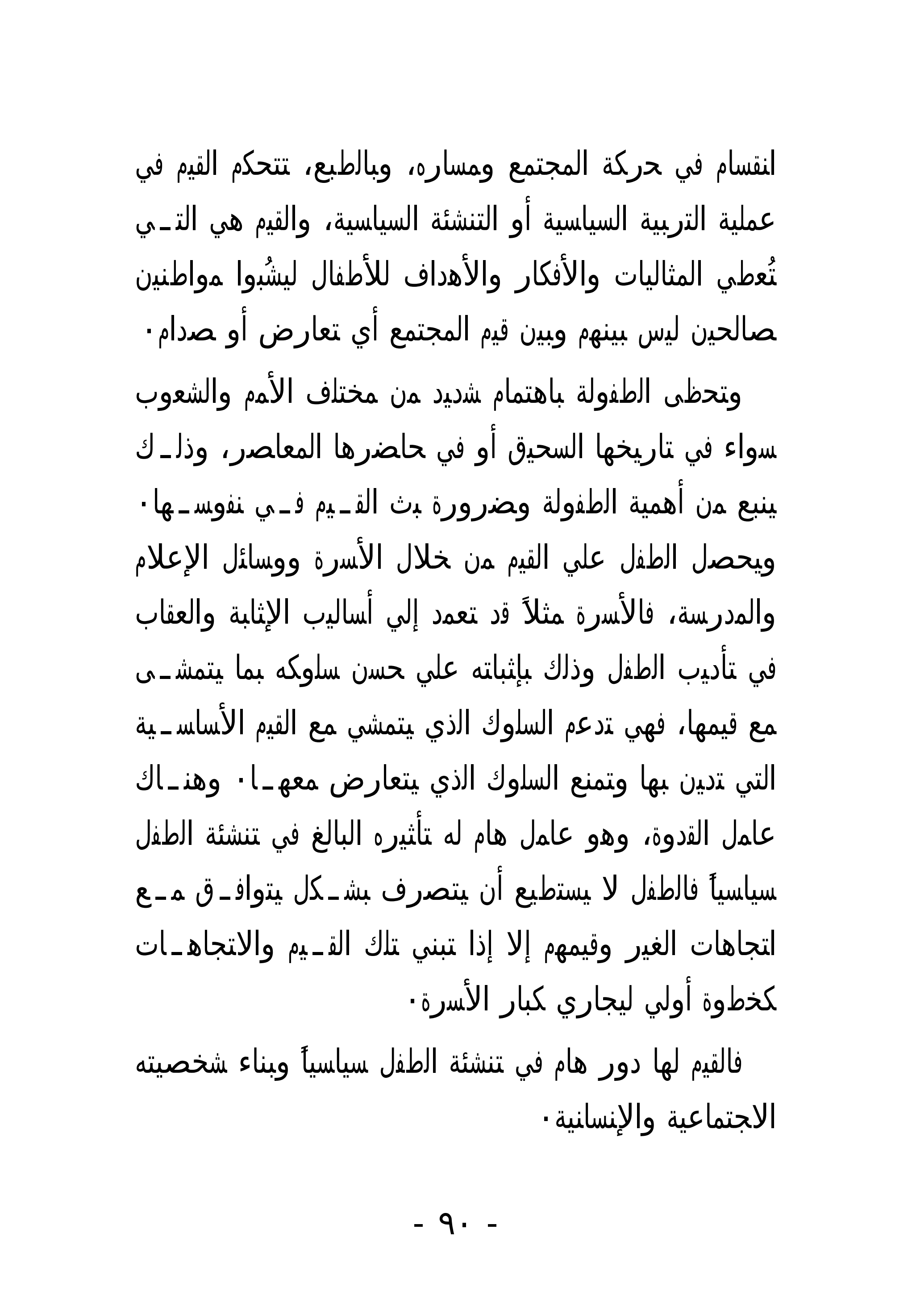
ثانياً: ليس من الضروري الإصرار علـي تغييـر موقـف إدراكي للطفل في الحال. إنما الترشيد لاتجـاه نحـو المسار الصحيح في تقيـيم الأمـور، وهـذا موقـف مطلوب.

ثالثاً: التأكيد علي الطريق السليم في التفكير تحاشياً لوقوعهم في بند الإيمان الأعمى بأفكار أو أشـخاص أو أفعـال تتبلور فيها الصراع بين القيم داخل الطفل وخارجه.

ولذلك، فإن القيم عموماً، والقيم السياسـية علـي وجـه الخصوص هامة جداً في ثقافة الطفل نظـراً لأنهـا تُشـكل شخصيته الاجتماعية وقدرته علي التعامل والتكيف مع الناس والمجتمع والمشاركة الفعالة في أمور مجتمعة، كمـا تنبـع

أهمية القيم بالنسبة للأطفال أيضـاً مـن ضـرورة التربيـة السياسية، ويمكن القول بأن أي تربية،أياً كان نوعها، تكـون مـن أجـل النمـو المتكامـل للفـرد وتوجيهـه وجهـة اجتماعية،فالتربية تتضمن العمليات التي من شأنها أن تحول الأفراد إلي أفراد اجتماعيين،والمجتمع هو صاحب المصلحة الأولي من التربية،ولا يمكن لأي حاكم أو أي نظام للحكم أن يتجاهلها بل والدولة تعتمد علي التربية في إعـداد الأجيـال التي تُدعم هذا الحكم وتسانده.

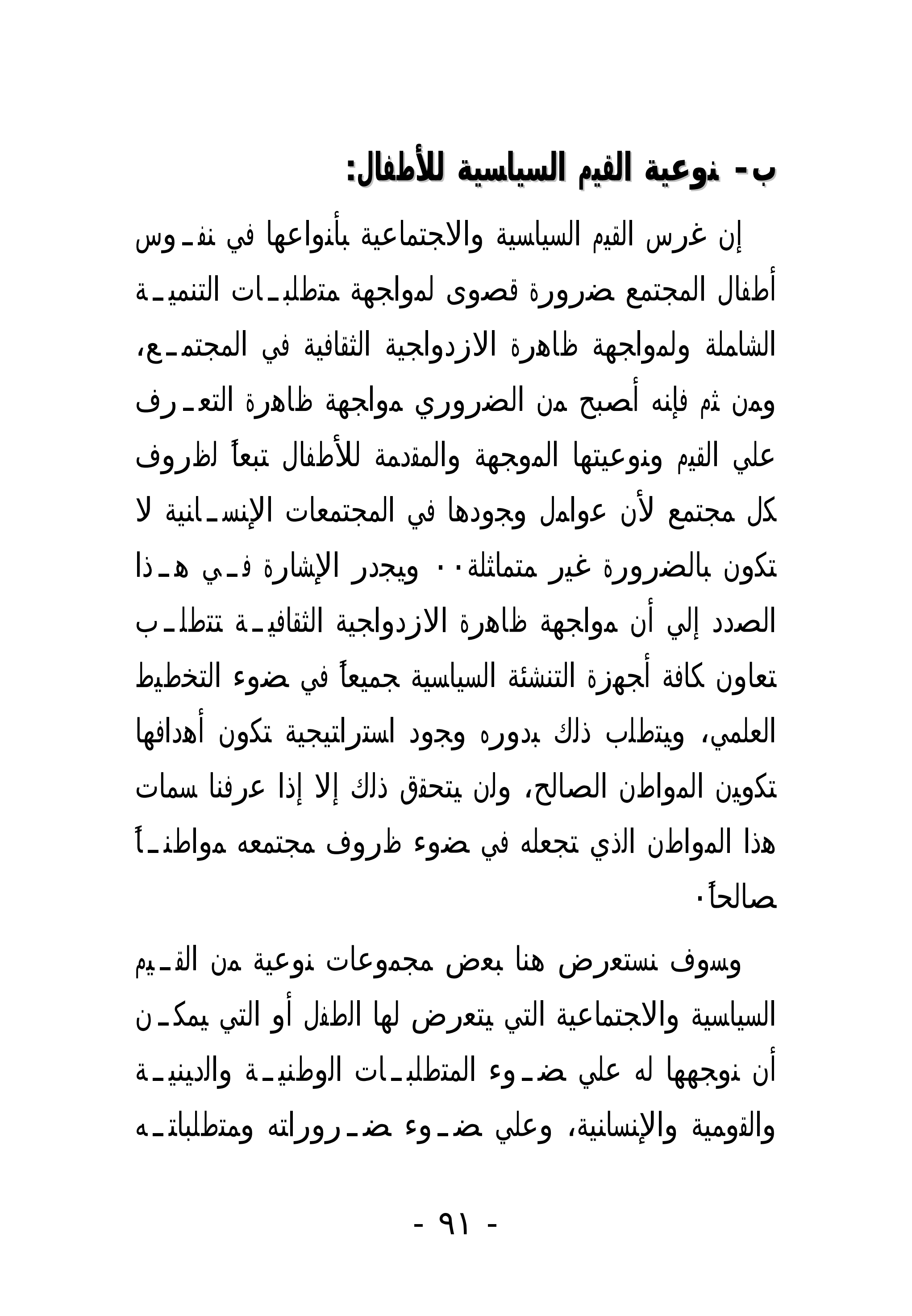
فالتربية السياسية المقصود منها وغرضها من أجل تنمية عاطفية المعايشة وروح الانتماء للـوطن (١٠٨)، فالتربيـة السياسية هامة جداً بالنسبة للأطفال وتعني تلك المجهـودات الخاصة التي يقوم بها وينظمها المجتمع من أجـل مسـاعدة أبنائه علي استيعاب الواقع استيعاباً موضوعياً ناقـداً، يتـيح للأطفال وللشباب أن يتحركوا في مجتمعهم ومعه وبـه فـي اتجاه صياغة جديدة للحياة وللجماهير وتحقيق واقع أفضـل من واقعها الحالي. والتربية السياسية لا يمكن أن تغفل واقع المجتمع واتجاه حركته العامة وفلسفته وأهدافـه، لأن هـذه التربية إذا لم تراع ذلك فسوف تؤدي إلي صدام في الواقع أو



انقسام في حركة المجتمع ومساره، وبالطبع، تتحكم القيم في عملية التربية السياسية أو التنشئة السياسية، والقيم هي التـي تُعطي المثاليات والأفكار والأهداف للأطفال ليشُبوا مواطنين صالحين ليس بينهم وبين قيم المجتمع أي تعارض أو صدام.

وتحظى الطفولة باهتمام شديد من مختلف الأمم والشعوب سواء في تاريخها السحيق أو في حاضرها المعاصر، وذلـك ينبع من أهمية الطفولة وضرورة بث القـيم فـي نفوسـها. ويحصل الطفل علي القيم من خلال الأسرة ووسائل الإعلام والمدرسة، فالأسرة مثلاً قد تعمد إلي أساليب الإثابة والعقاب في تأديب الطفل وذلك بإثباته علي حسن سلوكه بما يتمشـى مع قيمها، فهي تدعم السلوك الذي يتمشي مع القيم الأساسـية التي تدين بها وتمنع السلوك الذي يتعارض معهـا. وهنـاك عامل القدوة، وهو عامل هام له تأثيره البالغ في تنشئة الطفل سياسياً فالطفل لا يستطيع أن يتصرف بشـكل يتوافـق مـع اتجاهات الغير وقيمهم إلا إذا تبني تلك القـيم والاتجاهـات كخطوة أولي ليجاري كبار الأسرة.

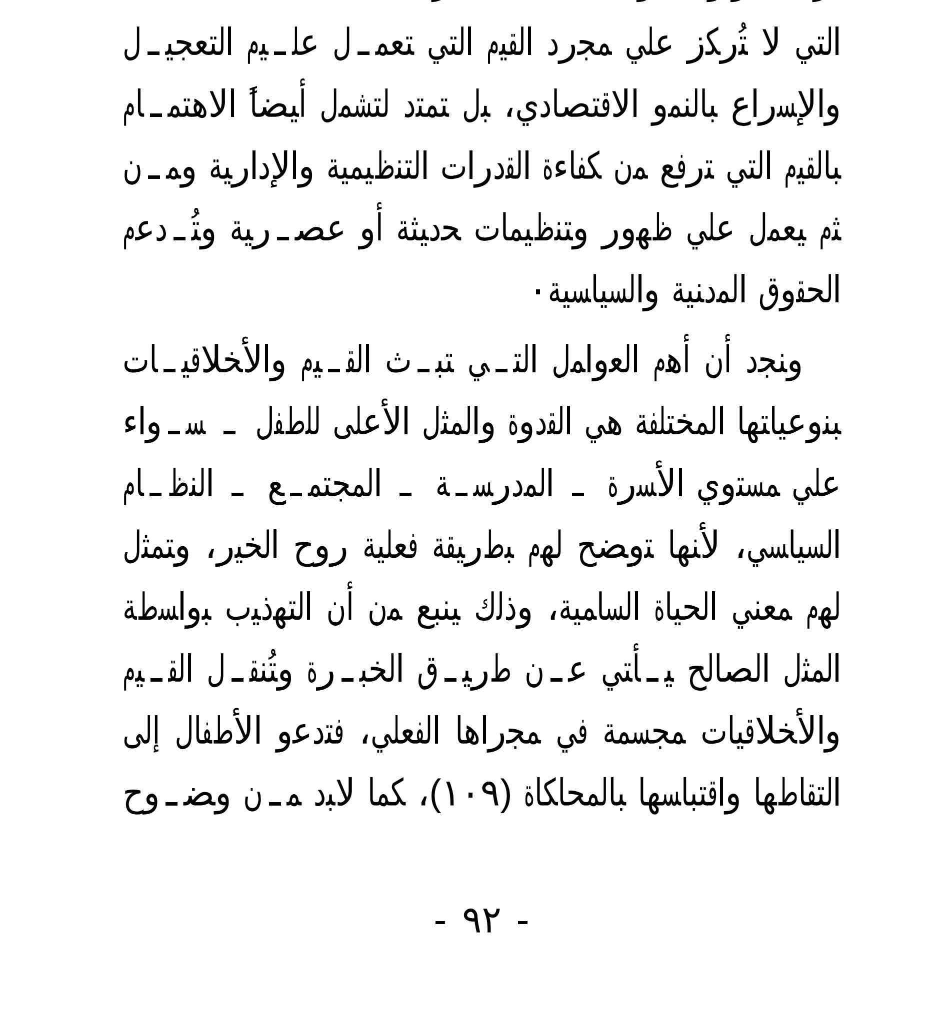
فالقيم لها دور هام في تنشئة الطفل سياسياً وبناء شخصيته الاجتماعية والإنسانية.



ب- نوعية القيم السياسية للأطفال:

إن غرس القيم السياسية والاجتماعية بأنواعها في نفـوس أطفال المجتمع ضرورة قصوى لمواجهة متطلبـات التنميـة الشاملة ولمواجهة ظاهرة الازدواجية الثقافية في المجتمـع، ومن ثم فإنه أصبح من الضروري مواجهة ظاهرة التعـرف علي القيم ونوعيتها الموجهة والمقدمة للأطفال تبعاً لظروف كل مجتمع لأن عوامل وجودها في المجتمعات الإنسـانية لا تكون بالضرورة غير متماثلة٠٠ ويجدر الإشارة فـي هـذا الصدد إلي أن مواجهة ظاهرة الازدواجية الثقافيـة تتطلـب تعاون كافة أجهزة التنشئة السياسية جميعاً في ضوء التخطيط العلمي، ويتطلب ذلك بدوره وجود استراتيجية تكون أهدافها تكوين المواطن الصالح، ولن يتحقق ذلك إلا إذا عرفنا سمات هذا المواطن الذي تجعله في ضوء ظروف مجتمعه مواطنـاً صالحاً٠

وسوف نستعرض هنا بعض مجموعات نوعية من القـيم السياسية والاجتماعية التي يتعرض لها الطفل أو التي يمكـن أن نوجهها له علي ضـوء المتطلبـات الوطنيـة والدينيـة والقومية والإنسانية، وعلي ضـوء ضـروراته ومتطلباتـه



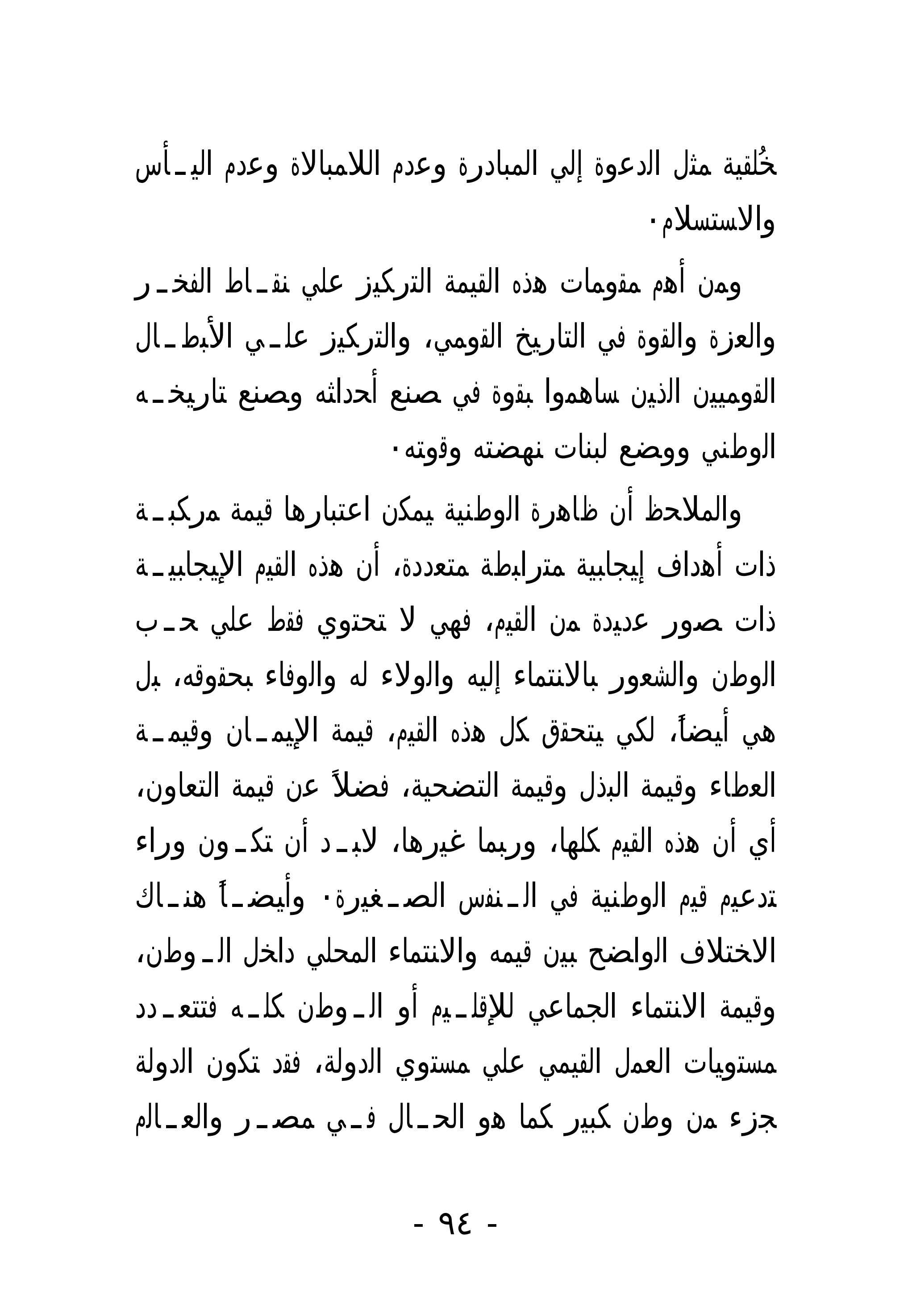
النفسية الوطنية والدينية والقومية والإنسانية، وعلي ضوء ضروراته ومتطلباته النفسية والفسيولوجية. وبالطبع، فإن هذه القيم تتغير من جماعة إلي أخري ومن نظام سياسي إلي نظام آخر، حسب نسق القيم السائد في المجتمع وحسب ترتيب أولوياته وأهدافه، كما يتغير تبعاً لعمليات التحديث التي لا تُركز علي مجرد القيم التي تعمل علي التعجيل والإسراع بالنمو الاقتصادي، بل تمتد لتشمل أيضاً الاهتمام بالقيم التي ترفع من كفاءة القدرات التنظيمية والإدارية ومن ثم يعمل علي ظهور وتنظيمات حديثة أو عصرية وتُدعم الحقوق المدنية والسياسية.

ونجد أن أهم العوامل التي تبث القيم والأخلاقيات بنوعياتها المختلفة هي القدوة والمثل الأعلى للطفل - سواء علي مستوي الأسرة - المدرسة - المجتمع - النظام السياسي، لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير، وتمثل لهم معني الحياة السامية، وذلك ينبع من أن التهذيب بواسطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة وتُنقل القيم والأخلاقيات مجسمة في مجراها الفعلي، فتدعو الأطفال إلى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة (١٠٩)، كما لابد من وضوح

القيم والمعايير ونوعياتها المختلفة لأنها هي أساسيات لازمة لتوجيه السلوك لأن تكوين ثمة قيم ومعايير متعارضة بعضها مع البعض الآخر يؤدي، بلا شك، إلي البلبلة والارتباك، وفي هذه الحالات يشعر الفرد بأنه مضطرب وهذا المناخ يضعِفْ فيه القيم التي اسـتقرت طـويلاً، وحتـى لتمتلـئ الحيـاة بالتناقضات وبخاصة تناقض أنسـاق القـيم بـين الأجيـال المختلفة، وتناقض الحياة اليومية مع نسق القيم والمعايير إلي الحد الذي تضطرب معايير الحياة علي أرضـية المجتمـع (١١٠)، كل ذلك يؤدي إلي تخلخل نظام القيم في المجتمـع ومن أهم هذه القيم:

أولاً: بث قيم الوطنية:

" حب الوطن، والشعور بالانتماء إليه والولاء له، والوفاء بحقوقه" من أهم القيم الأولي التي تُبث للأطفال وتقدم إليه منذ نعومة أظافره. وهو من أهم الأهداف والقيم الإيجابية التـي يسعي إليها الوطن، كما تتضمن هذه القيمـة أيضـاً" محبـة الناس بعضهم بعضاً والاهتمام بدعاء الوالدين واحترام الكبير والسعي من أجل الرزق المشروع في المجتمع وهـي قـيم



خُلقية مثل الدعوة إلي المبادرة وعدم اللامبالاة وعدم اليـأس والاستسلام.

ومن أهم مقومات هذه القيمة التركيز علي نقـاط الفخـر والعزة والقوة في التاريخ القومي، والتركيز علـي الأبطـال القوميين الذين ساهموا بقوة في صنع أحداثه وصنع تاريخـه الوطني ووضع لبنات نهضته وقوته.

والملاحظ أن ظاهرة الوطنية يمكن اعتبارها قيمة مركبـة ذات أهداف إيجابية مترابطة متعددة، أن هذه القيم الإيجابيـة ذات صور عديدة من القيم، فهي لا تحتوي فقط علي حـب الوطن والشعور بالانتماء إليه والولاء له والوفاء بحقوقه، بل هي أيضاً، لكي يتحقق كل هذه القيم، قيمة الإيمـان وقيمـة العطاء وقيمة البذل وقيمة التضحية، فضلاً عن قيمة التعاون، أي أن هذه القيم كلها، وربما غيرها، لابـد أن تكـون وراء تدعيم قيم الوطنية في الـنفس الصـغيرة. وأيضـاً هنـاك الاختلاف الواضح بين قيمه والانتماء المحلي داخل الـوطن، وقيمة الانتماء الجماعي للإقلـيم أو الـوطن كلـه فتتعـدد مستويات العمل القيمي علي مستوي الدولة، فقد تكون الدولة جزء من وطن كبير كما هو الحـال فـي مصـر والعـالم

العربي،وبذلك تكون قيمة الانتمـاء تتـوزع بـين"الوطنيـة المصرية والقومية العربية"وكذلك قد تتـوزع قـيم الانتمـاء للجماعة أو للدولة فيحدث بعض الارتبـاك٠ ولكـن يمكـن التوفيق بين هذه القيم واحتوائها داخل نسـق القـيم الكلـي والشامل إذا كان يتمتع بوضوح طبقاً لأولويات المجتمع

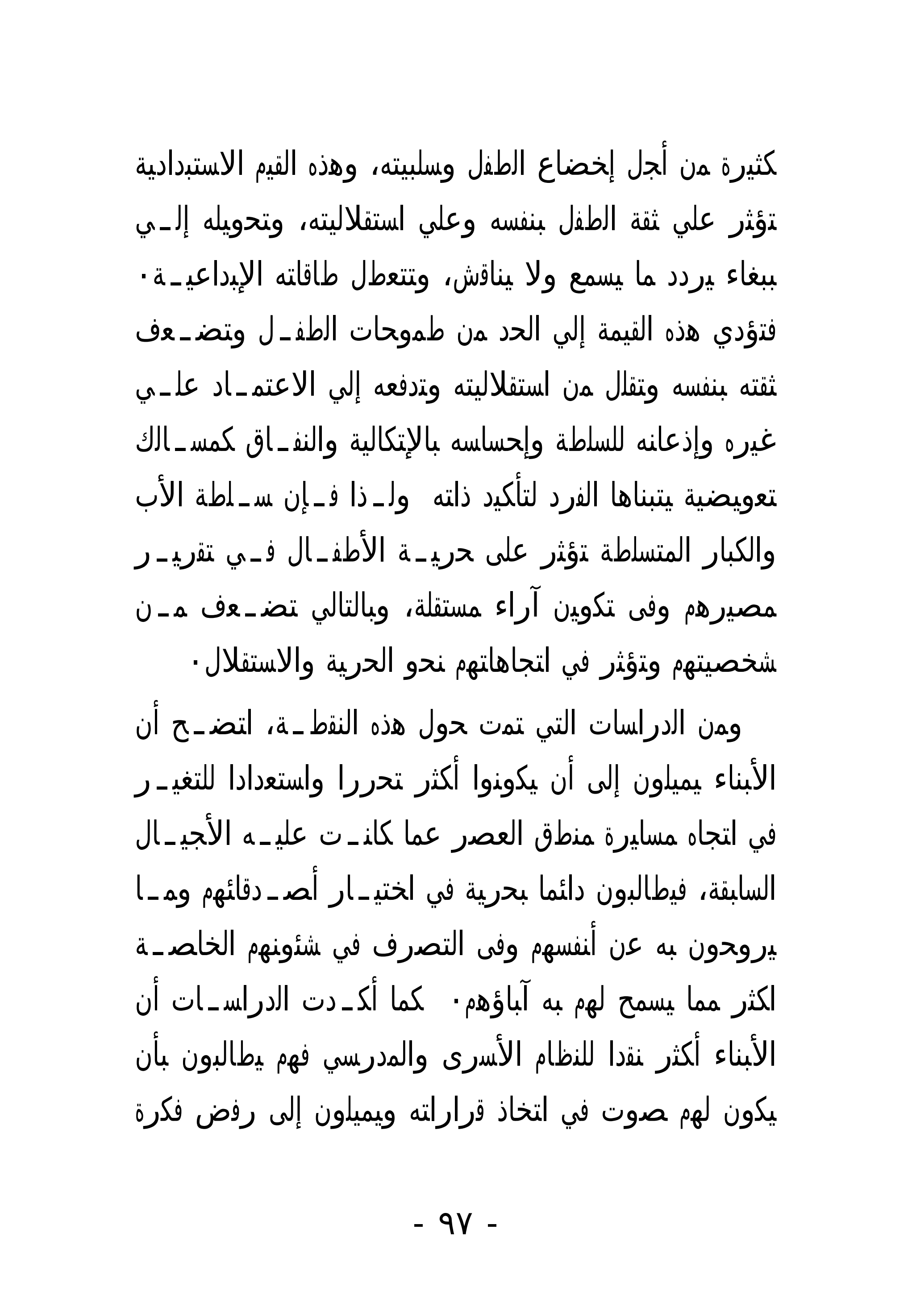
، وإذا كانت للقيمة الموجهة للأطفال جانب مشرق، فـإن التأكيد علي صيغة الانتماء القومي كقيمة متمثلة في حياتنـا القومية، ولكنها لم تستطع أن تحقق فيها وعيـاً كافيـاً فـي المناهج الدراسية القديمة٠ فهناك القيم التي تولد بفعـل ردود الفعل للأطفال تنتج من معايشة للواقع مع احتضان المجتمـع له وتوفير احتياجاته وأبرزها قيمة الانتماء للـوطن وترابـه والموت في سبيله٠

فالولاء يعد من أهم مؤشرات التكامل بالنسـبة للمجتمـع السياسي، فالمجتمع الذي يتمتع بدرجة عالية مـن التكامـل يتوفر لدي كل أو أغلب أفراده الإيمان بالولاء القومي، أمـا المجتمع الذي يعاني من أزمة تكامل فغالباً ما تكون ولاءات أفراده من طبيعية محلية ضيقة٠ وفـي المجتمعـات التـي تسودها ثقافة سياسية جديدة يتجه الأفراد بولائهم نحو الدولة

ككل، بما يتمن ذلك من شعور بالمسئولية العامـة وإعـلاء المصلحة العامة علي المصلحة الخاصـة ووعـي واهتمـام بالمشاكل القومية، أما في المجتمعات التي تسود فيها ثقافـة سياسية تقليدية يغلب أن يتجه ولاء الفرد محلياً، إلي أسرته ثم قبيلته أو جماعته الدينية أو اللغوية أو مجتمعه المحلي، وعادة ما يصاحب ذلك غياب الشعور بالمسئولية العامـة واهتمـام بالمصلحة الخاصة فحسب وانغلاق علي المشـاكل الذاتيـة والمحلية. ولذا، فإن قضية الانتماء وغرسها فـي الأطفـال قضية هامة وأساسية، فتبدأ منذ الصغر لتصبح سلوكاً هامـاً وجزءاً من السلوك العام ويوافق الطفل منذ بدايتـه وحتـى الكبر(١١١).

ثانياً: قيم الحرية والتسلط:

القيم الأبوية تؤثر في الطفل تأثيراً شديداً، ومن أهم القـيم التي تسود في أغلب المجتمعات، القيم الأبوية الاسـتبدادية، حيث تقوم الأسرة عادة علي تقديس تسلط الأب أو ولي الأمر الذي يتصف بالسلطة والتسلط والقسوة تجاه الأطفال حيث يتم صهرهم داخل قوالب جامدة تُلزم الأبناء بأن يكونوا صـورة من الآباء، ولذلك تتجه التربية الأسرية إلي أساليب تأديبيـة



كثيرة من أجل إخضاع الطفل وسلبيته، وهذه القيم الاستبدادية تؤثر علي ثقة الطفل بنفسه وعلي استقلاليته، وتحويله إلـي ببغاء يردد ما يسمع ولا يناقش، وتتعطل طاقاته الإبداعيـة. فتؤدي هذه القيمة إلي الحد من طموحات الطفـل وتضـعف ثقته بنفسه وتقلل من استقلاليته وتدفعه إلي الاعتمـاد علـي غيره وإذعانه للسلطة وإحساسه بالإتكالية والنفـاق كمسـالك تعويضية يتبناها الفرد لتأكيد ذاته ولـذا فـإن سـلطة الأب والكبار المتسلطة تؤثر على حريـة الأطفـال فـي تقريـر مصيرهم وفى تكوين آراء مستقلة، وبالتالي تضـعف مـن شخصيتهم وتؤثر في اتجاهاتهم نحو الحرية والاستقلال.

ومن الدراسات التي تمت حول هذه النقطـة، اتضـح أن الأبناء يميلون إلى أن يكونوا أكثر تحررا واستعدادا للتغيـر في اتجاه مسايرة منطق العصر عما كانـت عليـه الأجيـال السابقة، فيطالبون دائما بحرية في اختيـار أصـدقائهم ومـا يروحون به عن أنفسهم وفى التصرف في شئونهم الخاصـة اكثر مما يسمح لهم به آباؤهم. كما أكـدت الدراسـات أن الأبناء أكثر نقدا للنظام الأسرى والمدرسي فهم يطالبون بأن يكون لهم صوت في اتخاذ قراراته ويميلون إلى رفض فكرة

إطاعة ما تصدره هذه النظم مـن تعليمـات دون مناقشـة، ويطالبون بتطبيق شعارات الديمقراطية التي ترفعها العديـد من الجهات المسئولة. بمعنى آخر، الأبناء أكثر ليبرالية من آبائهم والأجيال السابقة عليهم، وتختلف شدة هذا الاتجاه مـن حالة إلى أخرى [١١٢].

وهناك دراسات أخرى حاول الباحثون التعرف على مدى ما يتمتع به الأطفال بالمناخ الديمقراطي داخل الأسرة، وهل تتيح لهم الأسرة حق التعبير عن الرأي فـي الأمـور التـي تَخُصهم، أم ينفرد الوالدان بتصريف أمور الصغار مما ينمى عندهم التبعية والخضوع لكل ما يلقى إليهم ولو كـان فيهـا يتعلق بمشاكلهم وإلقاء المسئولية حل مشاكلهم علـي الغيـر، ويكون عندهم عقدة الخوف من إبداء الرأي، فأكدت الدراسة علي تقدير الطفل لمفاهيم المشاركة السياسـية والاجتماعيـة ومدلولاتها الاجتماعية علي مظاهر السلوك، والتي تؤكـد أو تشجب هذه المفاهيم أثناء تفاعله مع والديه، ولقد بدأت بعض المفاهيم التي تؤكد المشاركة وتدوين التسلط تسود بيننا، بـل ساد الاعتقاد بأن المشاركة أساس الرفاهية والطمأنينة، بيد أن المشاركة لا تطبق في المجتمع الكبير وحده، بل هـي قيمـة

عليا في داخل الأسرة. ولذلك فإن إدراك الطفل بالممارسـة معناها تغير انسجامه مع الأمر الواقع الـذي يعـيش وبهـذا تتكامل أفكاره واتجاهاته وسارت عنصراً أساسياً من عناصر شخصيته، أما من حرم منها في طفولته عاش طوال حياتـه محروماً منها فلن يستطيع أن يتقبل مشـاركة الغيـر أو أن يتقبل آراء الآخرين ويحترمها ما دام قد حرم من المشـاركة في طفولته(١١٣).

نخلص من ذلك أن الحرية من أهم نوعيات القـيم التـي يجب غرسها منذ المهد لأنها عامـل أساسـي فـي تشـكيل شخصية الطفل نحو نفسه وأسرته ومجتمعه. وينبع ذلك من أن مبدأ الحرية يرجع إلي حماية مجالات النشاط من التـأثير الخارجي وحماية الخصوصية، وينظر لهذا أحياناً علي أنـه المفهوم السلبي للحرية والمرتبط بالحدود العاديـة للسـلطة الحكومية ولكنها أكبر من قيود العمل الحكومي، وذلـك لأن المخالفات للحرية والخصوصية تقوم بهـا بعـض الأفـراد والجماعات والمؤسسات. وكمبدأ أساسي، فإن الحرية ليست فقط التدخل الحكومي، ولكن تدخل الأحزاب والأشخاص في أعمال الغير جزء من انعدام الحرية، وكذلك فإن إنكار الحق

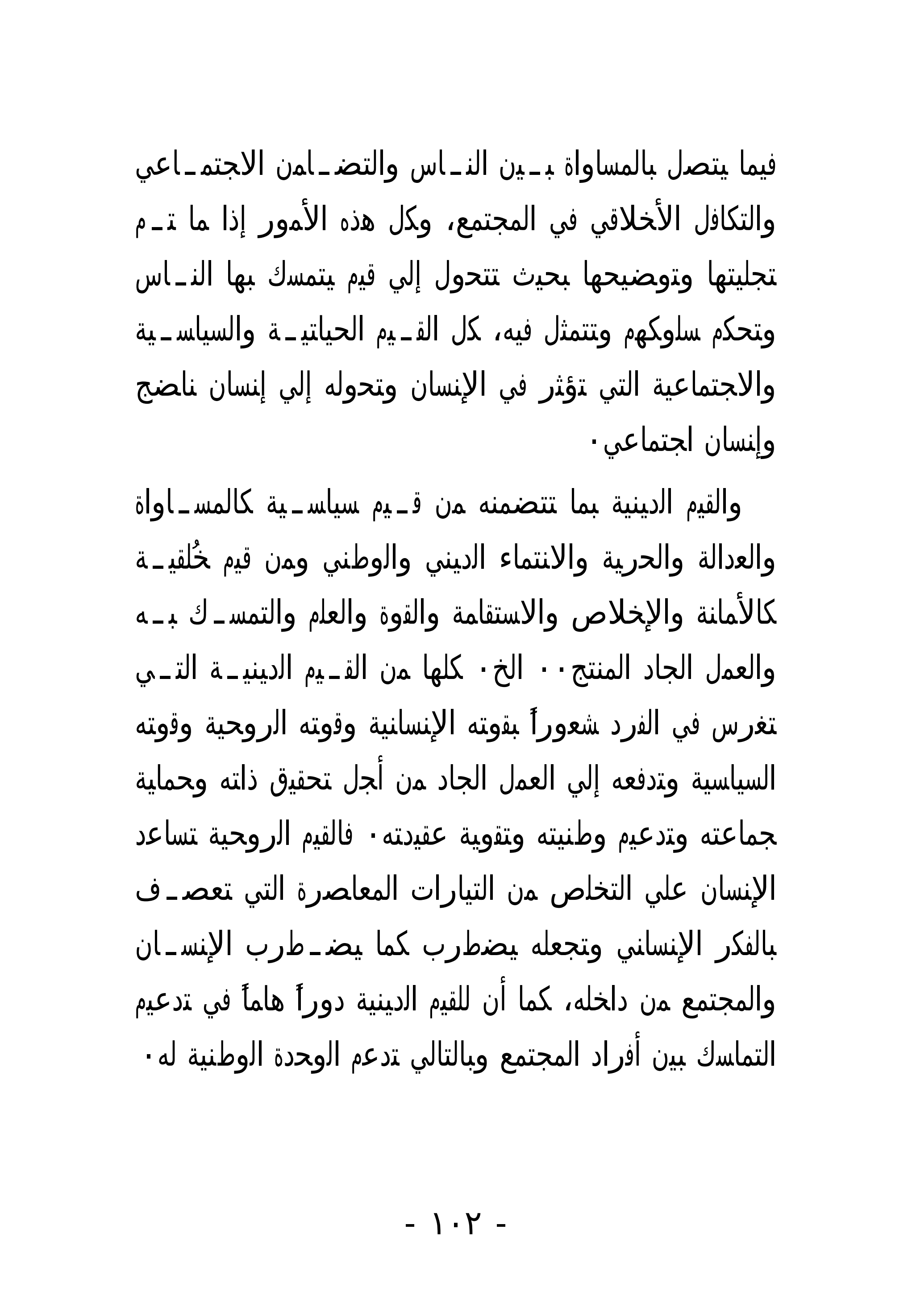
في الإقامة أو التدخل في ممارسة الحقوق السياسية وغيرهـا يشكل اعتداء علي حرية جماعة من المواطنين من جماعات أخري.

وبالرغم من أهن هناك ارتباط وثيق للعلاقة بين الحريـة والأمن فإنه ليس هناك فواصل منطقية بين الحرية والأمـن، وليس هناك إجابة أخلاقية جاهزة تُمثل التوازن بينهما. ففي نقطة معينة يهدد حرية البعض أمن الآخرين، وجـزء مـن مشكلة الحرية تتعلق باستخدام المواطنين المستتر لهـا ومـا يتعلق بما يقف في طريقهـا.. إلا أن عنصـر الأمـن لـه خصائص نفسية وسيكولوجية وقومية تختلف عن الحرية.. فالحرية السياسية كقيمة لابد أن تبث في نفـوس الأطفـال، فهناك من يعتقد أن الأطفال ينمون خلقياً عن طريق ممارسة حريتهم فقط، دون محاولة فرض القيم والافتراضات الخلقية للراشدين علـيهم، فالحريـة ضـرورية للطفـل، اعتقـادا وممارسة[١١٤]، فممارسة درجة معينة من حريـة الاختيـار والحكم المستقل ضرورية لتكوين شخصية الطفـل ليكـون إنساناً كاملاً.

والحرية قيمة ضرورية، ضرورية لبناء شخصية الطفل، وبناء مستقبله وبالتالي بناء مستقبل الأمة، فالحريـة تُعطـي للطفل كيانه الذاتي ومنطلقاته الخاصة وأفكاره، بمـا يسـاعد علي تكوين نظرة ورؤية موضوعية لكل شئ حوله فإذا مـا نما الطفل علي الحرية وتعود عليها كان ذلك له أكبر الأثـر في النمو الطبيعي والموضوعي والسليم للطفل الذي تتكامـل شخصيته بذلك.

ثالثاً: القيم الدينية:

القيم الدينية قيم تتصدر قائمة القيم الإيجابية علي الـرغم مما يثيره البعض من أن هذه القيم هي سبب تخلفنـا، ولكـن التحليل العميق للقيم الدينية ينَافي هذا الزعم، ففي هذه القـيم مبادئ وأحكام أخلاقية بالغة الأثر في تفادي كثير من القـيم السلبية التي تؤثر في بنيان المجتمع وتطوره ونموه وتقدمـه، فلو تعمقنا مثلاً في النسق القيمي للدين الإسـلامي، وحللنـا أخلاقياته لوجدنا أنه يتضمن معاني وقيماً تعتبر اب عمليـة التنمية، فاحترام العمل وإتقانه محور رئيسي من ركائز الفكر الإسلامي، كما أن الملكية في الإسلام ليست للفرد أو الجماعة أو الدولة وإنما هي فعل اجتماعي. كما أن للإسلام مواقـف

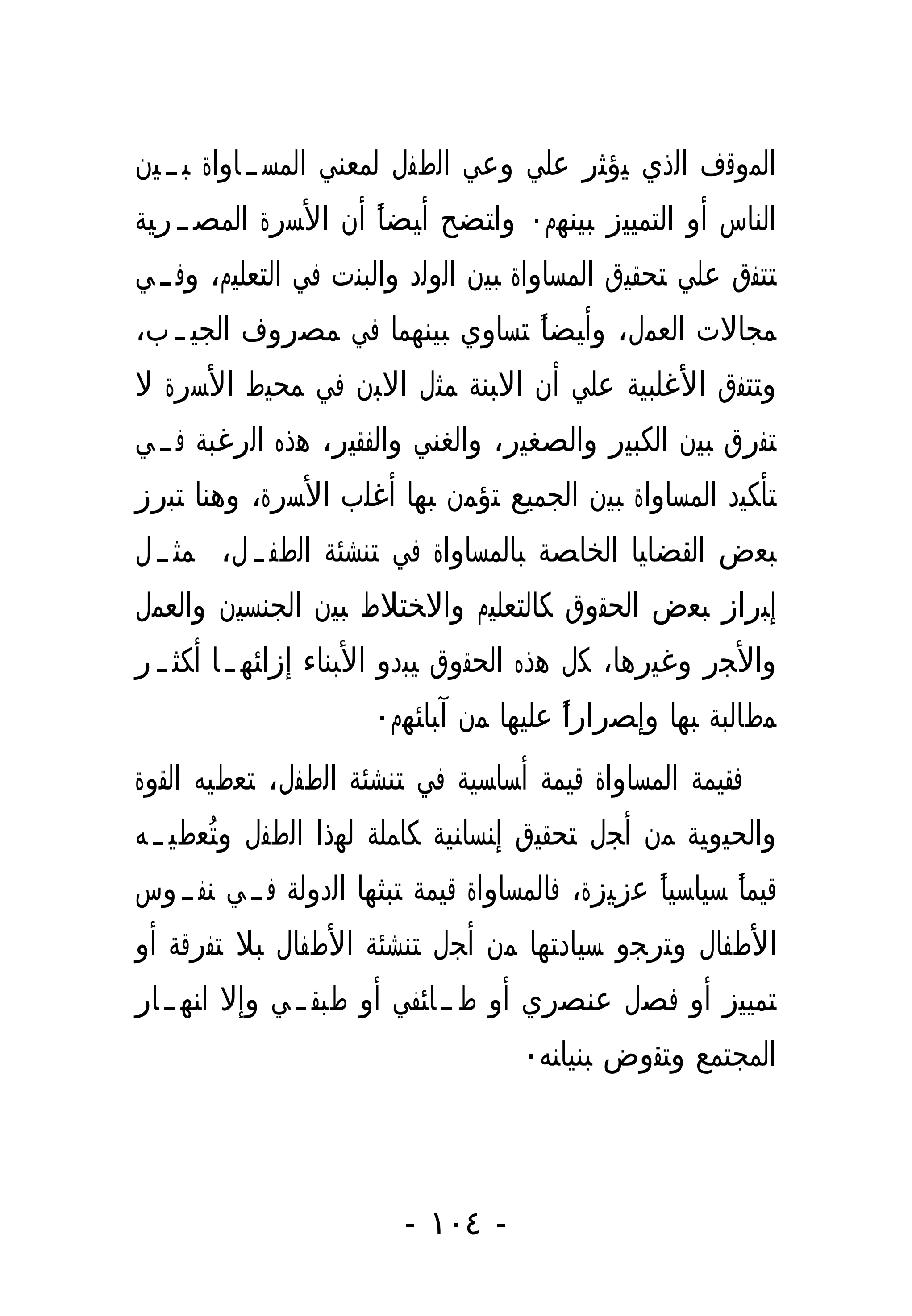


فيما يتصل بالمساواة بـين النـاس والتضـامن الاجتمـاعي والتكافل الأخلاقي في المجتمع، وكل هذه الأمور إذا ما تـم تجليتها وتوضيحها بحيث تتحول إلي قيم يتمسك بها النـاس وتحكم سلوكهم وتتمثل فيه، كل القـيم الحياتيـة والسياسـية والاجتماعية التي تؤثر في الإنسان وتحوله إلي إنسان ناضج وإنسان اجتماعي.

والقيم الدينية بما تتضمنه من قـيم سياسـية كالمسـاواة والعدالة والحرية والانتماء الديني والوطني ومن قيم خُلقيـة كالأمانة والإخلاص والاستقامة والقوة والعلم والتمسـك بـه والعمل الجاد المنتج.. الخ. كلها من القـيم الدينيـة التـي تغرس في الفرد شعوراً بقوته الإنسانية وقوته الروحية وقوته السياسية وتدفعه إلي العمل الجاد من أجل تحقيق ذاته وحماية جماعته وتدعيم وطنيته وتقوية عقيدته. فالقيم الروحية تساعد الإنسان علي التخلص من التيارات المعاصرة التي تعصـف بالفكر الإنساني وتجعله يضطرب كما يضـطرب الإنسـان والمجتمع من داخله، كما أن للقيم الدينية دوراً هاماً في تدعيم التماسك بين أفراد المجتمع وبالتالي تدعم الوحدة الوطنية له.

رابعاً: قيمة المساواة:

المساواة قيمة تتطلب عدم التفرقة بـين الإنسـان وأخيـه الإنسان بسبب الجنس أو اللون أو الطبقة أو حتـى الوظيفـة والسن، وإن كان هناك تفرقة طبيعية بين الإنسان بين السـن أو الجنس فلا يمكن مثلاً أن تتساوى، طبيعيـاً وفسـيولوجياً واجتماعياً، الرجل بالمرأة أو الجاهل بالعالم، الغني بالفقير٠٠ الخ وهناك دراسات[١١٥]، حاول فيها الباحث معرفة مدي تقبل الوالدان لمبدأ المساواة لإدماج هـذه القيمـة فـي شخصـية الأولاد؟ ووجد الطفل مع قيمة المساواة يدفعه إلـي الإيمـان بالمشاركة في المسئوليات والالتزامات في الأعمال التي يقوم بها وإدراك أن الأدوار المهنية لا يحـددها الجـنس وحـده، ورفض التعصب نحو الآخرين الذين يختلفون معه في الجنس أو الوضع الطبيعي، وتبدأ معرفة الطفل لأول مفهوم للمساواة عندما يتفاعل مع أبويه عن طريق (مدي تطبيق المساواة بين الابنة والابن أو التمييز بينهما في مجالات التعليم والعمـل، وأيضاً المساواة بينهما في المصروف اليومي والتفرقة بينهما في ذلك، وأيضاً لموقف الأسرة من اختيار الأصدقاء، وهـل تقبل اختيار أولادها لأصدقائهم من أبناء طبقة أخري، هـذا



الموقف الذي يؤثر علي وعي الطفل لمعني المساواة بين الناس أو التمييز بينهم. واتضح أيضاً أن الأسرة المصرية تتفق علي تحقيق المساواة بين الولد والبنت في التعليم، وفي مجالات العمل، وأيضاً تساوي بينهما في مصروف الجيب، وتتفق الأغلبية علي أن الابنة مثل الابن في محيط الأسرة لا تفرق بين الكبير والصغير، والغني والفقير، هذه الرغبة في تأكيد المساواة بين الجميع تؤمن بها أغلب الأسرة، وهنا تبرز بعض القضايا الخاصة بالمساواة في تنشئة الطفل، مثل إبراز بعض الحقوق كالتعليم والاختلاط بين الجنسين والعمل والأجر وغيرها، كل هذه الحقوق يبدو الأبناء إزائها أكثر مطالبة بها وإصراراً عليها من آبائهم.

فقيمة المساواة قيمة أساسية في تنشئة الطفل، تعطيه القوة والحيوية من أجل تحقيق إنسانية كاملة لهذا الطفل وتُعطيه قيماً سياسياً عزيزة، فالمساواة قيمة تبثها الدولة في نفوس الأطفال وترجو سيادتها من أجل تنشئة الأطفال بلا تفرقة أو تمييز أو فصل عنصري أو طائفي أو طبقي وإلا انهار المجتمع وتقوض بنيانه.

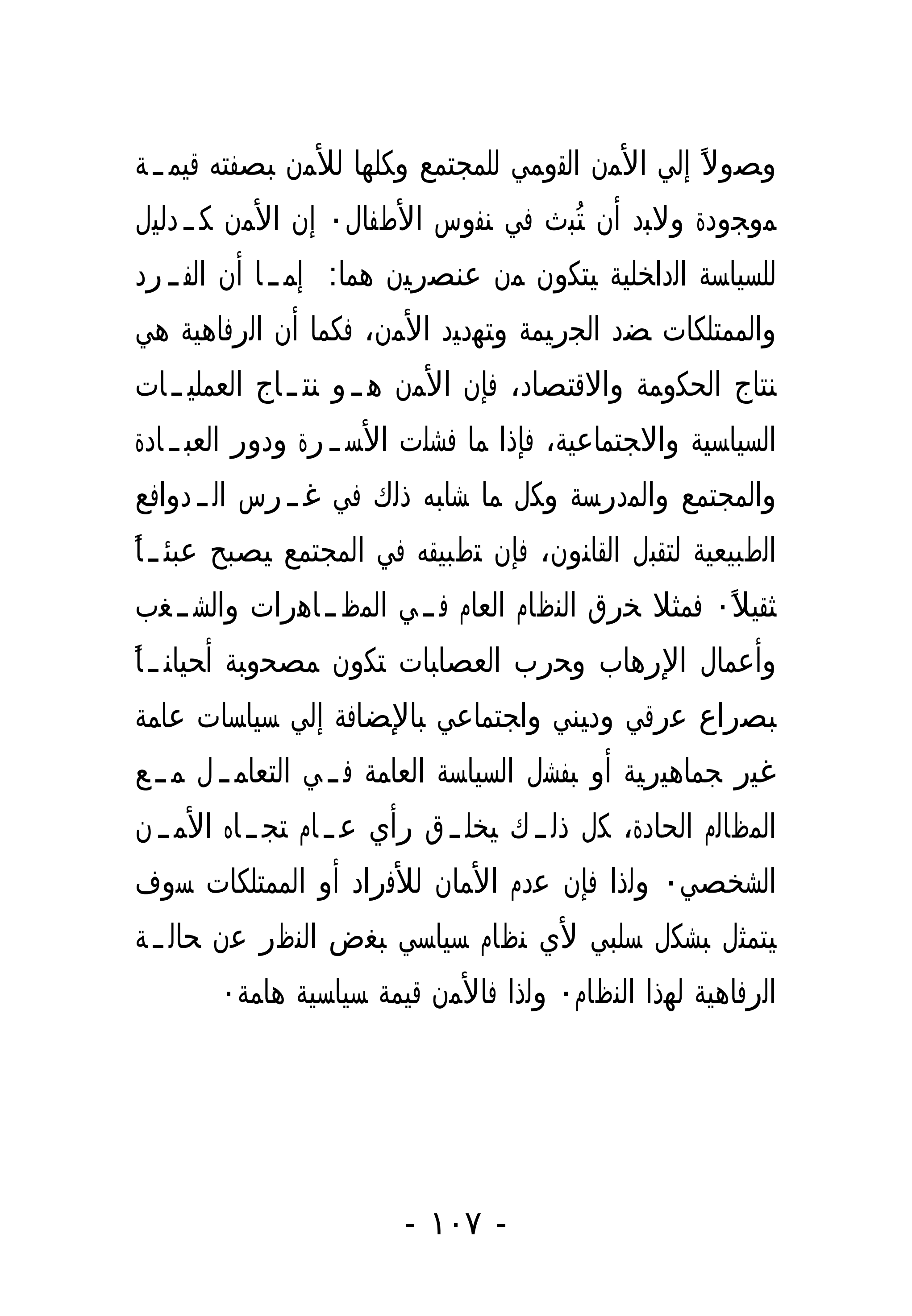
وفي دراسة أخري أكدت أن المساواة تشكل إحدى القـيم السياسية السائدة في المجتمع تنهض المفاضلة بين أفراده في الغالب علي أساس من الكفاءة والإنجاز ولكن حيـث يكـون التدرج عنصراً محورياً في ثقافة المجتمع، يصـبح التمييـز التحكمى قاعدة عامة تحدد مراتبهم ونظرة كل منهم للآخـر وطبيعة ومضمون علاقاتهم المتبادلة[١١٦]. وإذا كان مجتمعنا متدين بطبعه، فإن قيم المساواة تسود فيـه بطـابع إسـلامي بحث، فلقد أكد الإسلام مبدأ المساواة بـين المسـلمين فـي الحقوق والواجبات داخل المجتمع الإسـلامي دون اعتبـار لعوامل السن أو النسب أو الجنس أو المهنة أو الثروة، فهـم متساوون في الحقوق الشخصية كحق التعاقد وحرية التنقـل وحق الأمن وحرمة المسكن وفي الحقوق الفكرية مثل حـق إبداء الرأي وحق التعليم وحرية العقيدة ومزاولـة الشـعائر المرتبطة بها وفي الحقوق الاقتصادية كحق العمـل وحـق الملكية مع استعمالها وفق ما تمثله مصلحة المجتمـع وهـم جميعاً متساوون أمام القانون والقضاء وفي شئون المسـئولية والجزاء، فالإسلام يقرر مساواة المسلمين كافـة فـي نظـر الخالق الذي يفَاضـل بينهمـا لا علـي أسـاس أوضـاعهم

الاجتماعية، بل علي أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح.
ويؤكد الدكتور كمال المنوفي في دراسته أن عوامل التنشـئة العائلية التي تحرص علي قيمة احترام كبار السـن وسـلطة العائلية الهيراركية التي تنشأ علي أساس الـذكورة والسـن وعملية التنشئة الاجتماعية أثبتت أن العلاقـات الإنسـانية لا تنهض علي المساواة بقدر ما تنهض علي التدرج والتصاعد في الريف المصري.

خامساً: قيمة الأمن:

أهم الدوافع عند الطفل هو محاولته إشـباع رغبتـه فـي تجنب الأخطار والتحكم فيما يري فيه خطراً عليـه، ولـذلك فإنه يجب مساعدة الطفل علي التغلب من مخاوفه ومشاغله.
ولذلك فالطفل لابد أن ينشأ علي الطباع الودودة بـين أفـراد الأسرة، ويجب أن يعامل بحنان حتى يأمن في نفسه وتـأمن ذاته ويستقر وجدانه وينشأ تنشئة اجتماعية سليمة مريحـة.
فالأمن دافع نفسي يسعى الإنسان إلي تحقيقـه حتـى ينشـأ قوياً(١١٧).

والأمن قضية متكاملة، فالأمن الشخصي والارتياح النفسي أبسطها وتليها تحقيق مسئوليات الأمن الاقتصادي والسياسي



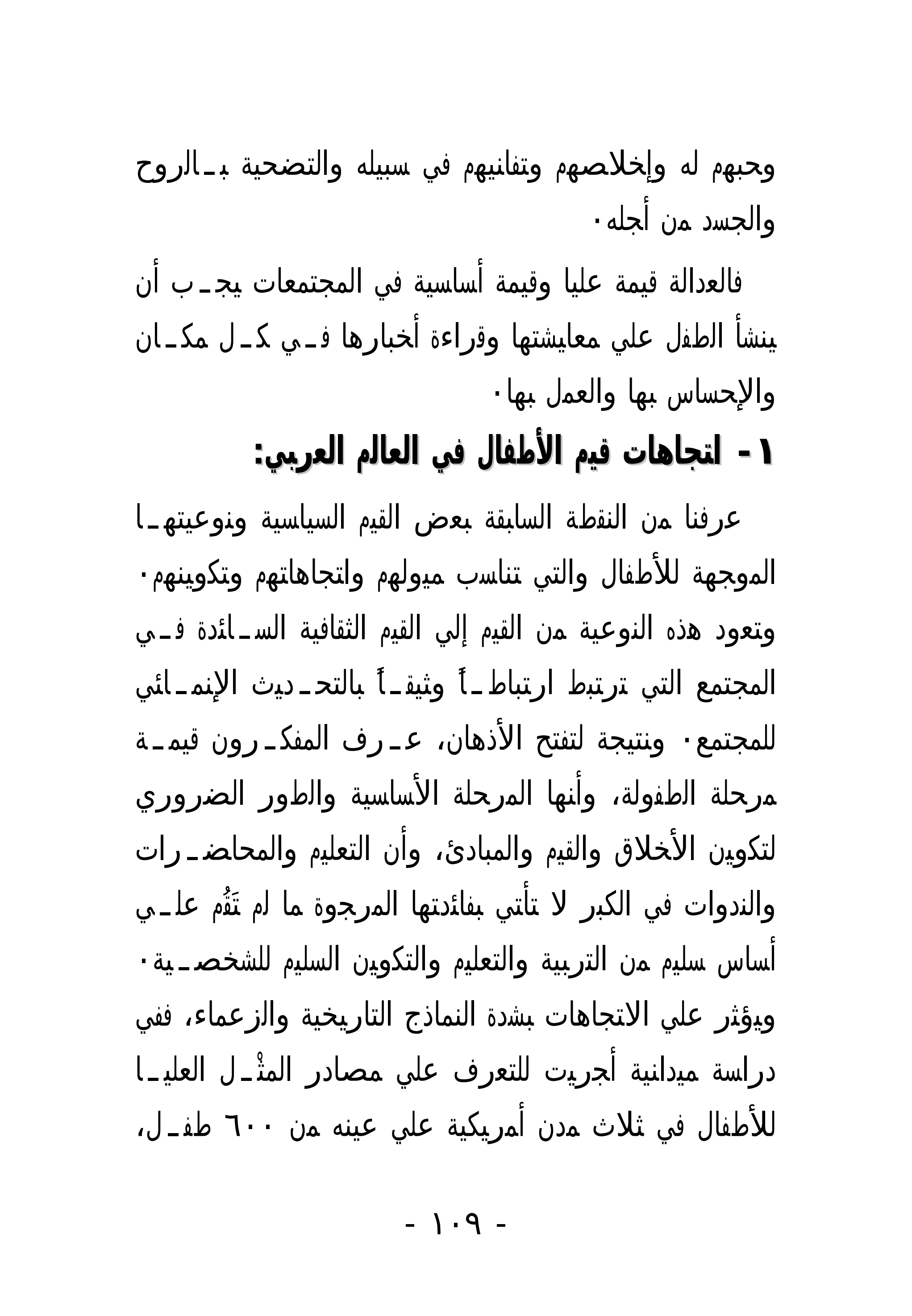
وصولاً إلي الأمن القومي للمجتمع وكلها للأمن بصفته قيمـة موجودة ولابد أن تُبث في نفوس الأطفال. إن الأمن كـدليل للسياسة الداخلية يتكون من عنصرين هما: إمـا أن الفـرد والممتلكات ضد الجريمة وتهديد الأمن، فكما أن الرفاهية هي نتاج الحكومة والاقتصاد، فإن الأمن هـو نتـاج العمليـات السياسية والاجتماعية، فإذا ما فشلت الأسـرة ودور العبـادة والمجتمع والمدرسة وكل ما شابه ذلك في غـرس الـدوافع الطبيعية لتقبل القانون، فإن تطبيقه في المجتمع يصبح عبئـاً ثقيلاً. فمثلا خرق النظام العام فـي المظـاهرات والشـغب وأعمال الإرهاب وحرب العصابات تكون مصحوبة أحيانـاً بصراع عرقي وديني واجتماعي بالإضافة إلي سياسات عامة غير جماهيرية أو بفشل السياسة العامة فـي التعامـل مـع المظالم الحادة، كل ذلـك يخلـق رأي عـام تجـاه الأمـن الشخصي. ولذا فإن عدم الأمان للأفراد أو الممتلكات سوف يتمثل بشكل سلبي لأي نظام سياسي بغض النظر عن حالـة الرفاهية لهذا النظام. ولذا فالأمن قيمة سياسية هامة.

سادساً: قيمة العدالة:

العدالة قيمة رئيسية في عالم اليوم وفي الفكر المعاصر، كما أنها قيمة عليا في الفكر الإسلامي، وينبع مفهوم العدالة من مبدأ إعطاء كل ذي حق حقه ويترسخ المفهوم في الوجدان من احترام القانون المجتمعي وتقديسه وإعلائه لأن العدالة تعني أن الكل أمام القانون سواء، وأن الإنسان يستوي أمام الإنسان إذا وقف أمام القاضي دون النظر إلي طبقته أو وظيفته أو عمله أو مكانته.

ومفهوم العدالة، يتأكد في نفس الطفل منذ صغره، ويرتبط إلي حد كبير بمفهومي المساواة وعدم الظلم نقيض العدل والظلم مهلكة للبشر لأنه يؤدي إلي ترسيبات في نفوس المظلومين وتحفزهم وتجعلهم يستعدون للأخذ بالثأر.. ولذلك فإن الظلم لا يؤدي إلا إلي تخلخل المجتمع وجنوحه نحو الفوضى.

وقيمة العدالة، يجب التأكيد عليها دوما في نفس الطفل لأنها مرتبطة بحريته وبمساواته مع الآخرين، فكلما اتسع نطاق العدل عم الخير، وكلما انتشرت العدالة أحس الناس بالأمن، وكلما أحس الناس بالعدل التام زاد انتماؤهم الوطني



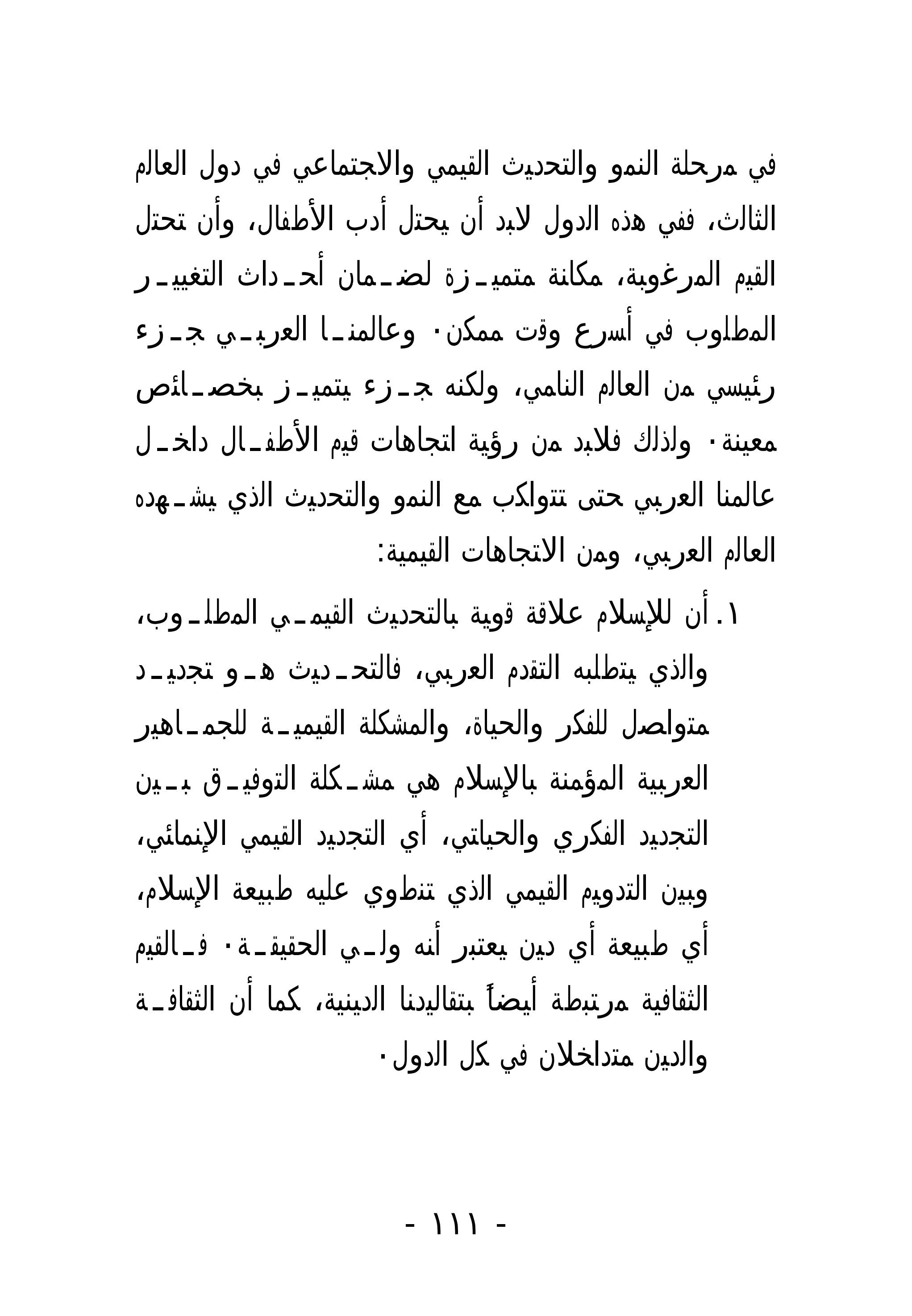
وحبهم له وإخلاصهم وتفانيهم في سبيله والتضحية بـالروح والجسد من أجله.

فالعدالة قيمة عليا وقيمة أساسية في المجتمعات يجـب أن ينشأ الطفل علي معايشتها وقراءة أخبارها فـي كـل مكـان والإحساس بها والعمل بها.

١- اتجاهات قيم الأطفال في العالم العربي:

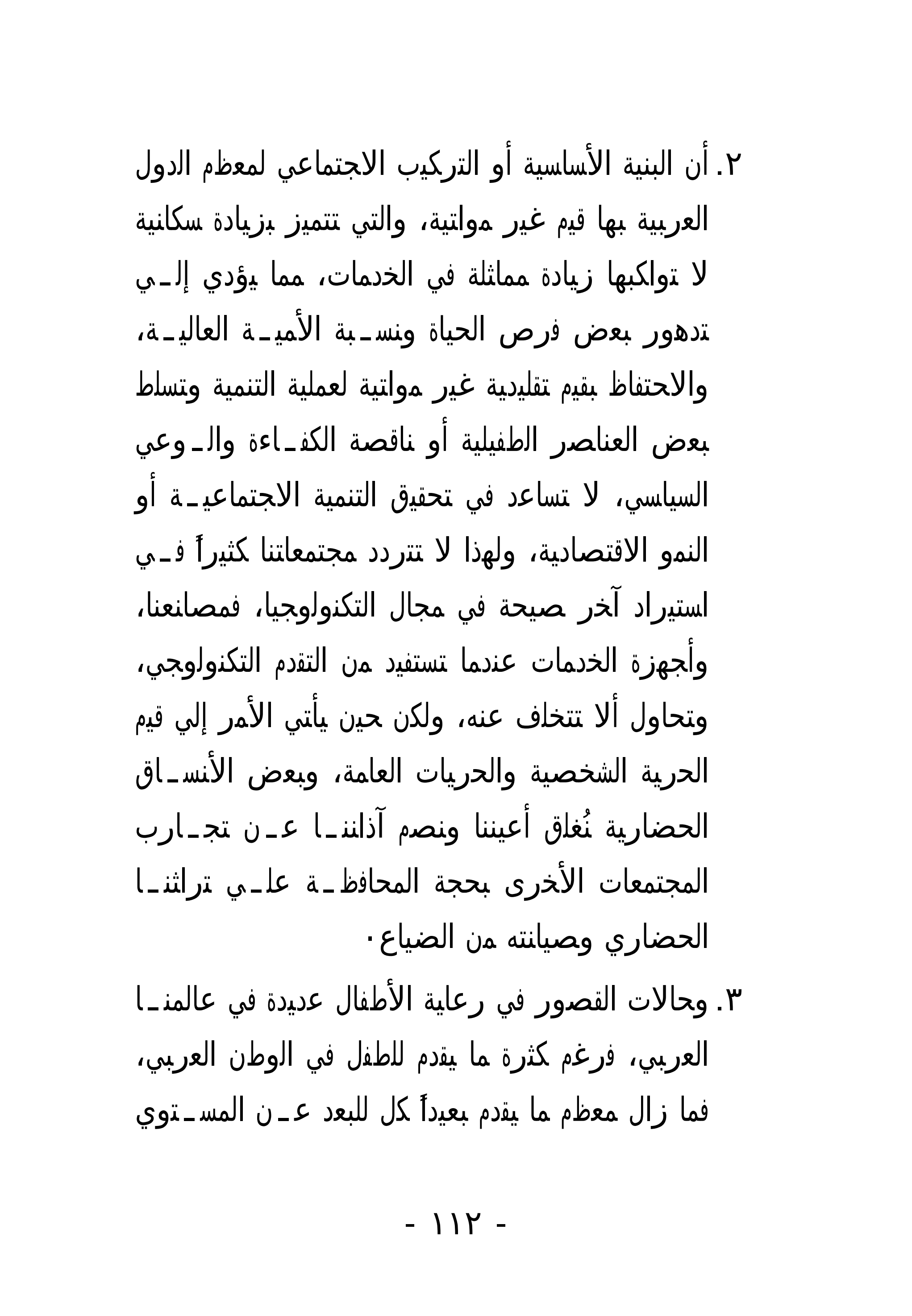
عرفنا من النقطة السابقة بعض القيم السياسية ونوعيتهـا الموجهة للأطفال والتي تناسب ميولهم واتجاهاتهم وتكوينهم. وتعود هذه النوعية من القيم إلي القيم الثقافية السـائدة فـي المجتمع التي ترتبط ارتباطـاً وثيقـاً بالتحـديث الإنمـائي للمجتمع. ونتيجة لتفتح الأذهان، عـرف المفكـرون قيمـة مرحلة الطفولة، وأنها المرحلة الأساسية والطور الضروري لتكوين الأخلاق والقيم والمبادئ، وأن التعليم والمحاضـرات والندوات في الكبر لا تأتي بفائدتها المرجوة ما لم تَقُم علـي أساس سليم من التربية والتعليم والتكوين السليم للشخصـية. ويؤثر علي الاتجاهات بشدة النماذج التاريخية والزعماء، ففي دراسة ميدانية أجريت للتعرف علي مصادر المثْـل العليـا للأطفال في ثلاث مدن أمريكية علي عينه من ٦٠٠ طفـل،

سن ٦ – ٢٠ سنة، أثبتت أن نسبة كبيرة من الأطفال كانـت مصادر القيم والمثل العليا لديهم أشخاص تاريخية وزعمـاء [١١٨] كما أن الاتحاد السوفيتي يهتم بالطفولة إلي درجة أنهـم في الاتحاد السوفيتي يرددون دائماً أنه إذا ما كانت هناك مـا زالت طبقة مميزة في بلادهم، فتلك هي الطفولة، فالعناية بها تفوق الخيال، خاصة في المجال الثقافي، والمنافسـة علـي أشدها بينهم وبين الآخرين في مجال" تنمية الأطفال" حتى لا يفقدوا الصدارة مستقبلاً، فهم يروون أنهم يعمقون في أبنائهم أفضل القيم الإنسانية، الوطنية وحب مـواطنيهم والشـجاعة والإخلاص والأمانة، وقبل كل ذلك الأفكار والمبادئ السائدة فـي بلادهـم، ولا يغفلـون آلاف السـنين مـن الثقافـات والحضارات والمكتشفات، فتضمنت الأعمال الجديـدة فـي الاتحاد السوفيتي الكثير من نماذج البطولات، بنيـت علـي الأفكار التي تبنتها الثورة، وحاولت عن طريقها أن تجتـذب الأطفال إلي مجال البناء، والصراع من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية في مفهومها لديهم، بل وكانت مشكلة إيجـاد أدب جديد للأطفال أهم مشكلات الثورة [١١٩]. ولذلك، فـإن أدب الأطفال المتضمن للقيم السياسية المرغوبة، يعتبر أكثر أهمية



في مرحلة النمو والتحديث القيمي والاجتماعي في دول العالم الثالث، ففي هذه الدول لابد أن يحتل أدب الأطفال، وأن تحتل القيم المرغوبة، مكانة متميـزة لضـمان أحـداث التغييـر المطلوب في أسرع وقت ممكن. وعالمنـا العربـي جـزء رئيسي من العالم النامي، ولكنه جـزء يتميـز بخصـائص معينة. ولذلك فلابد من رؤية اتجاهات قيم الأطفـال داخـل عالمنا العربي حتى تتواكب مع النمو والتحديث الذي يشـهده العالم العربي، ومن الاتجاهات القيمية:

١. أن للإسلام علاقة قوية بالتحديث القيمـي المطلـوب، والذي يتطلبه التقدم العربي، فالتحـديث هـو تجديـد متواصل للفكر والحياة، والمشكلة القيميـة للجمـاهير العربية المؤمنة بالإسلام هي مشـكلة التوفيـق بـين التجديد الفكري والحياتي، أي التجديد القيمي الإنمائي، وبين التدويم القيمي الذي تنطوي عليه طبيعة الإسلام، أي طبيعة أي دين يعتبر أنه ولـي الحقيقـة. فـالقيم الثقافية مرتبطة أيضاً بتقاليدنا الدينية، كما أن الثقافـة والدين متداخلان في كل الدول.



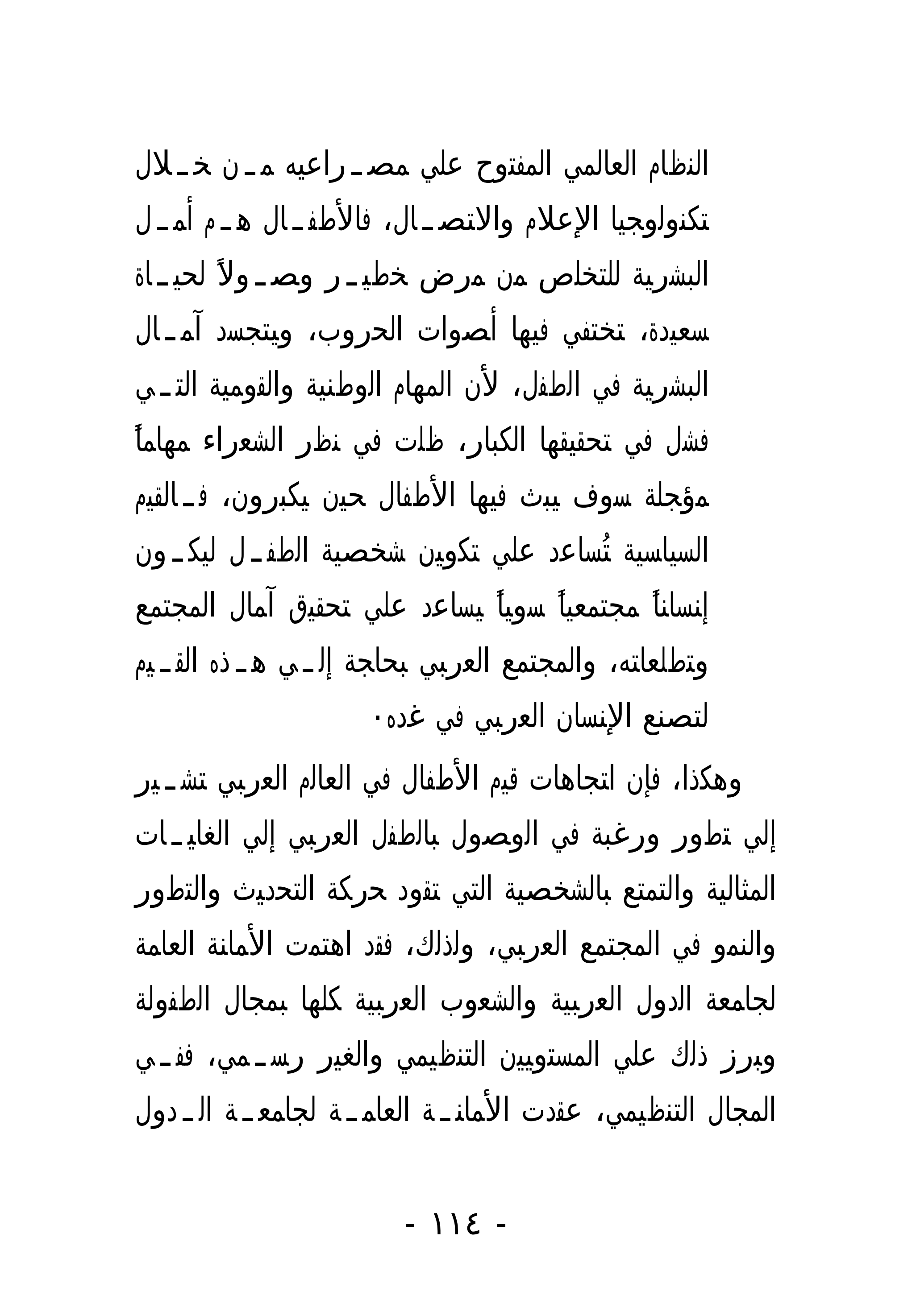
٢. أن البنية الأساسية أو التركيب الاجتماعي لمعظم الدول العربية بها قيم غير مواتية، والتي تتميز بزيادة سكانية لا تواكبها زيادة مماثلة في الخدمات، مما يؤدي إلـي تدهور بعض فرص الحياة ونسـبة الأميـة العاليـة، والاحتفاظ بقيم تقليدية غير مواتية لعملية التنمية وتسلط بعض العناصر الطفيلية أو ناقصة الكفـاءة والـوعي السياسي، لا تساعد في تحقيق التنمية الاجتماعيـة أو النمو الاقتصادية، ولهذا لا تتردد مجتمعاتنا كثيراً فـي استيراد آخر صيحة في مجال التكنولوجيا، فمصانعنا، وأجهزة الخدمات عندما تستفيد من التقدم التكنولوجي، وتحاول ألا تتخاف عنه، ولكن حين يأتي الأمر إلي قيم الحرية الشخصية والحريات العامة، وبعض الأنسـاق الحضارية نُغلق أعيننا ونصم آذاننـا عـن تجـارب المجتمعات الأخرى بحجة المحافظـة علـي تراثنـا الحضاري وصيانته من الضياع.

٣. وحالات القصور في رعاية الأطفال عديدة في عالمنـا العربي، فرغم كثرة ما يقدم للطفل في الوطن العربي، فما زال معظم ما يقدم بعيداً كل للبعد عـن المسـتوي

المطلوب من حيث المحتوي والاقتراب من الواقع المعايش للطفل وللناس من حوله، فضلاً عن أنها لا تَعِد الطفل الذي سيكون مواطناً صالحاً في مجتمعه. فالأدب الذي يكتب للطفل في معظم الأقطار العربية هو في غالبيته أدب تسلية وترفيه، وأكثر منه أدب توجيه وتثقيف ومعرفة، وبناء للطفل الذي سيحمل علي عاتقه في السنوات القادمة، مهمة التطور والدفاع عن الأرض والشرف القومي والإنساني[١٢٠].

فالقصور في رعاية الأطفال في العالم العربي تبعث في النفوس قلق لا حدود له، وأن القصور في رعاية الأطفال هو جناية علي الغد بكل المقاييس، وأن الوضع المأساوي الذي يعيشه أطفال العرب في الأراضي المحتلة مثلاً تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي يشير إلي أن العدو الإسرائيلي يعمل جاهداً علي نزع الهوية العربية والانتماء القومي للأطفال العرب في الأراضي المحتلة.

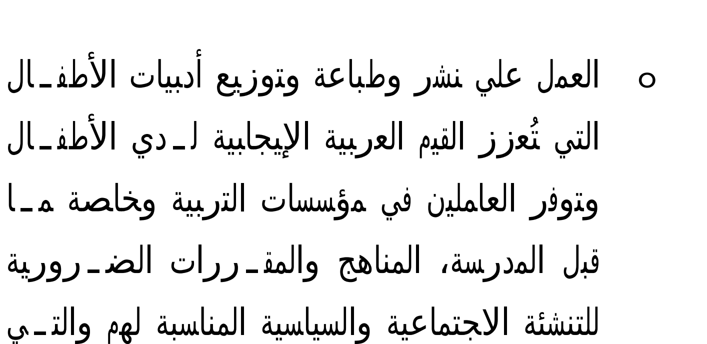
٤. أن الطفل العربي محتاج إلي قيم سياسية تُجسد معني الديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة، يحتاج إلي قيم سياسية تُجسد روح العصر الذي يعيش فيه، تتوافق مع


النظام العالمي المفتوح علي مصـراعيه مـن خـلال تكنولوجيا الإعلام والاتصـال، فالأطفـال هـم أمـل البشرية للتخاص من مرض خطيـر وصـولاً لحيـاة سعيدة، تختفي فيها أصوات الحروب، ويتجسد آمـال البشرية في الطفل، لأن المهام الوطنية والقومية التـي فشل في تحقيقها الكبار، ظلت في نظر الشعراء مهاماً مؤجلة سوف يبث فيها الأطفال حين يكبرون، فـالقيم السياسية تُساعد علي تكوين شخصية الطفـل ليكـون إنساناً مجتمعياً سوياً يساعد علي تحقيق آمال المجتمع وتطلعاته، والمجتمع العربي بحاجة إلـي هـذه القـيم لتصنع الإنسان العربي في غده.

وهكذا، فإن اتجاهات قيم الأطفال في العالم العربي تشـير إلي تطور ورغبة في الوصول بالطفل العربي إلي الغايـات المثالية والتمتع بالشخصية التي تقود حركة التحديث والتطور والنمو في المجتمع العربي، ولذلك، فقد اهتمت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والشعوب العربية كلها بمجال الطفولة وبرز ذلك علي المستويين التنظيمي والغير رسـمي، ففـي المجال التنظيمي، عقدت الأمانـة العامـة لجامعـة الـدول

العربية،" الندوة العربية حول الآثار الاجتماعية والثقافية التي تخلفها الحروب والكوارث علي أوضاع الطفل فـي العـالم العربي" وصدر عنه" الإعلان العربي حول حماية الطفولـة من آثار الكوارث والحروب، ويدور هذا الإعلان حول وضع سياسة قومية تنموية شاملة، تتضمن إشباع الحاجات الأساسية للمجتمع العربي، وتُوفر الأمن الغذائي والصـحة الأساسـية لجميع المواطنين وتُمكن من محو الأمية الأبجدية والحضارية وتُؤَمن تنشئة الأجيال الجديدة علي الثقة بـالنفس والانتمـاء القومي والعقيدة الإسلامية.

- تعزيز دور الأسـرة فـي التنميـة الاجتماعيـة والتربوية للطفل، لتكون أداة للتماسك المجتمعـي، ولغرس القيم الإيثارية ومبادئ التكافل في ظروف الكوارث والشدائد والمسلمات.
- توفير الشروط الضرورية للاستجابات للاحتياجات الأساسية للطفل العربي من خلال سن التشريعات والقوانين وإنشاء الهياكل والمؤسسـات وتكثيـف الخدمات التربوية والصحية والثقافية والترفيهيـة الضرورية لتنشئة سوية ومتنوعة للطفل العربي.



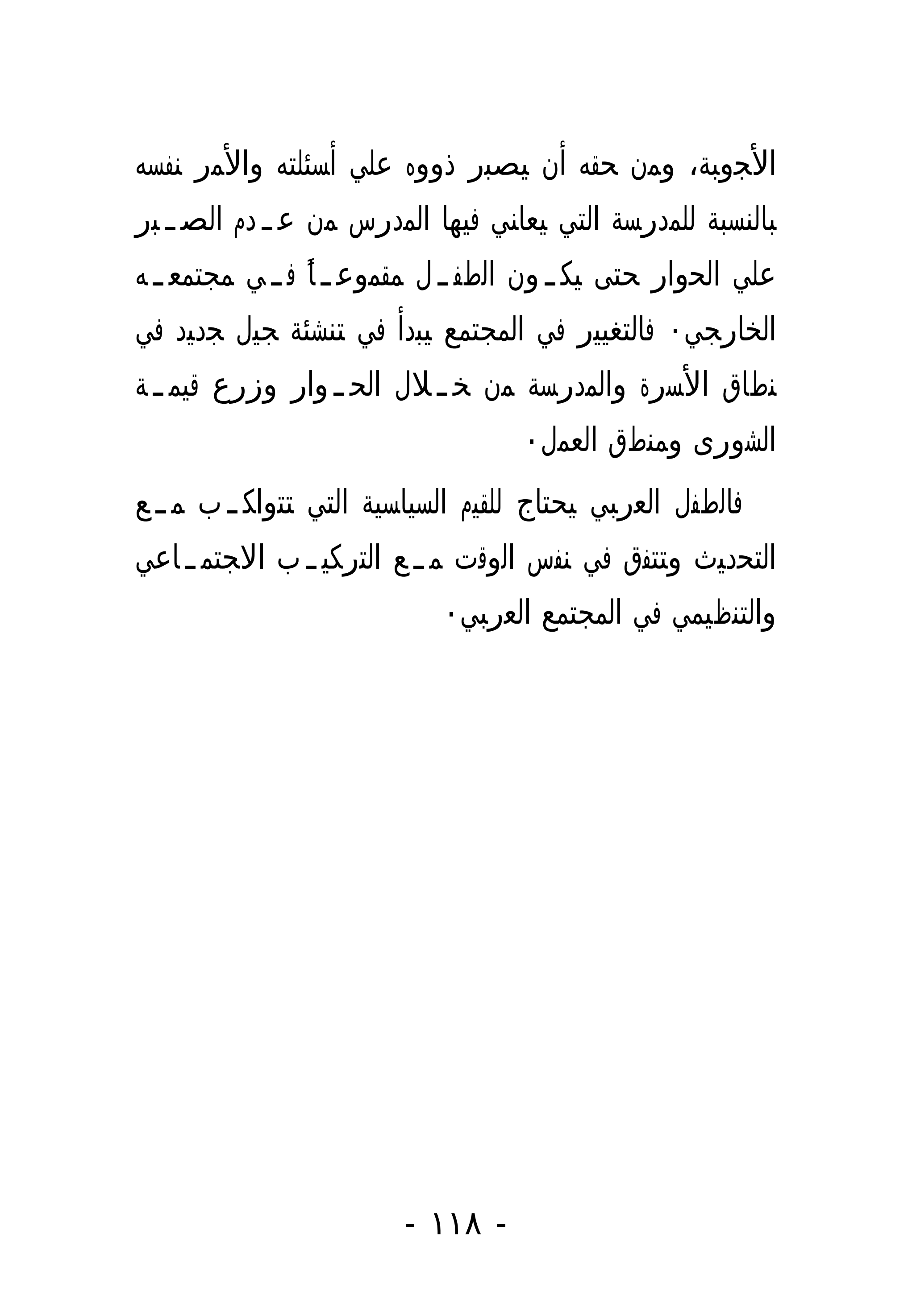
- العمل علي نشر وطباعة وتوزيع أدبيات الأطفـال التي تُعزز القيم العربية الإيجابية لـدي الأطفـال وتوفر العاملين في مؤسسات التربية وخاصة مـا قبل المدرسة، المناهج والمقـررات الضـرورية للتنشئة الاجتماعية والسياسية المناسبة لهم والتـي تعرفهم بتاريخ أمتهم.
- وهكذا فإن جميع مقررات الندوات تؤكـد علـي أهمية بناء شخصية الطفل علي القـيم السياسـية العربية الأصيلة.

٥. تأسيس" المجلس العربي للطفولة والتنميـة" كمجلـس غير رسمي للعمل علي ربط النمو الكامـل للأطفـال العرب بخطط التنمية الشاملة التي تشـهدها المنطقـة العربية.

٦. وهذا المجلس هو جهد غير رسمي – مـدعم بجهـود رسمية – من أجل التخطيط السليم لمستقبل الأمة كلها متمثلة في مستقبل الأطفال عن طريق تنشـئة سـليمة مليئة بكافة القيم السياسية والاجتماعية الإيجابية.

٧. و)النظر إلي موضوع الطفل العربي والمنهج الصحيح لمعالجته، ينطلق من النظـر إلـي الأسـرة كوحـدة جماعية، فالطفولة طور من أطوار الإنسان، وأن واقع الطفل العربي الحالي جزء من واقع الأسرة، وفي هذا الواقع إيجابيات فأمتنا في طور انبعـاث حضـاري لا طور تخلف وأن لم يبلغ هذا الانبعاث مداه، ومن هـذه الإيجابيات التكافل الأسري الذي يحكم نظرتنـا إلـي علاقات نواة الأسرة الأولي، ولكن هذا الواقع يعـاني أيضاً من سلبيات كثيرة هي سلبيات الواقع العربي التي تنتج من تفشي الجهل في قطاعات واسعة والمعاناة من المرض وبخاصة في طور الطفولة[١٢١].

فمثلاً، حين تفتقد الشورى، وينعدم الحوار علـي صـعيد المجتمع، ينعكس ذلك علي الإنسان كزوج وأب وأم، ويـؤثر ذلك علي الأبناء والأطفال، ولا بديل لنا في التربية الأسـرية علي توفير حرية الحوار إلي آخر مـدي، لأن الطفـل فـي غياب هذه الحرية لا ينمو علـي الصـعيد العقلـي والنمـو الصحيح، ذلك أن من أبرز صفات وسمات الطفل، أنه طاقة دائب السؤال والاستفسار والحركة، ومـن حقـه أن يسـمع



الأجوبة، ومن حقه أن يصبر ذووه علي أسئلته والأمر نفسه بالنسبة للمدرسة التي يعاني فيها المدرس من عـدم الصـبر علي الحوار حتى يكـون الطفـل مقموعـاً فـي مجتمعـه الخارجي. فالتغيير في المجتمع يبدأ في تنشئة جيل جديد في نطاق الأسرة والمدرسة من خـلال الحـوار وزرع قيمـة الشورى ومنطق العمل.

فالطفل العربي يحتاج للقيم السياسية التي تتواكـب مـع التحديث وتتفق في نفس الوقت مـع التركيـب الاجتمـاعي والتنظيمي في المجتمع العربي.

المراجع والهوامش للفصل الأول

(١) د٠ فاروق يوسف، القيم الاجتماعية وإدراك الحقائق السياسية، القاهرة مجلة النيل، العدد السادس يناير ١٩٨١، ص ١٧ – ٢٠٠

(٢) د٠ محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٢٢٤٠

(٣) سعيد عبد الحميد السعدني: القيم التربوية والقصص القرآني، رسالة ماجستير، بكلية تربية عين شمس عام ١٩٨٢، ص ٦٢٠

(٤) د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكاتب العربي ١٩٦٦ – ص ٤٣، ٤٤٠

(٥) د٠ أميرة حلمي مطر، مقالات فلسفية حول القيم والحضارة (القاهرة مكتبة مدبولي – بدون) ص ٦٦٠

(٦) د٠ تركي الحمد، عندما تسقط القيم، الرياض، جريدة الرياض، العدد ٦٨٣٣ في ١٩٨٧/٢/٢٧، ص ٥٠

(٧) Rokeach, M, The Nature of Human Values, (London: Collier of Macmillan Publishers, 75,) P0 170

(٨) د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٥٠

(٩) راجع٠ د٠ فوزية دياب، المرجع السابق، ص ١٦٠

(١٠) راجع: ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، القاهرة – مؤسسة الخليج ١٩٨٤، ص ٨، ٩٠

(١١) راجع٠ د٠ زكي الحمد: عندما تسقط القيم، مرجع سابق، ص ٥٠

(١٢) د٠ نجيب اسكندر، د٠ محمد عماد الدين إسماعيل، د٠ رشاد منصور، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية (القاهرة – نهضة مصر – ٦٢) ص ٣٠

(١٣) راجع في تعريف القيم:-

- Freedmen0 B0 Foundation of the Measurement of values0 New York: Columbus University: Teaches Collage: 19460 PP0 41-420
- Reacher0 N0 Introduction to Values0 New Jersey: Prentice Hall0 Inc: Englewood Cliffs: 19690 P0 200

وأيضا د٠ نازلي إسماعيل حسن، الإنسان والقيم في الشرق والغرب، القاهرة – بدون جهة نشر – ١٩٨١، ص ١٩ – ٢٣، و د٠عطية محمود هنا، القيم: دراسة تجريبية مقارنة – القاهرة: المطبعة العالمية – ١٩٥٩م، ص ص ٤٥٣٠

(14) Parsons0 T, the Social System, New Delhi: Amerid publishing: 1972, P, 12, P0 240

(١٥) راجع أيضاً: د٠ محمد علي محمد، د٠ السيد الحسيني وآخرون:دراسات في التنمية الاجتماعية، القاهرة – دار المعارف ٨٤ ط ٥، ص ٣٤٤٠

(16) Rokeach0 M, The Nature of Human Values, Op, Cit0, p0 50

ويؤكد أيضاً في صفحة ١٦٨ أن القيم تتمثل في اعتقاد يتسم بنوع من الثبات ويغلب عليه طابع التقويم، كما تتمثل في نوع من التفضيل أو عدم التفضيل لسلوك معين أو أنه حالة معينة تعد مفضلة لديه من الوجهة الشخصية والاجتماعية علي باقي بدائل السلوك

والغايات٠

(17) Ibid0, PP0 12-130

(١٨) د٠ ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مرجع سابق، ص ص ١٠-١٢، ص ٢٢٠

(١٩) د٠ نازلي إسماعيل حسن، بحث عن فلسفة القيم، القاهرة – كلية الآداب عين شمس ١٩٧٩، ص ٢٠

(٢٠)د٠نجيب اسكندر،وآخرون، قيمنا الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٤٠

(٢١) د٠ علي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة – دار المعارف ١٩٧١ – ط ٥، ص ٣٠

(٢٢) Robin0 W, The Concept of Values, in, David-L, Sills (eds0), International Encyclopedia of the Social Sciences; New York: The Macmillan Company and Free Press; 1968, Volume 16, PP0 283-2860

(٢٣) د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص٥٢٠

(٢٤) المرجع السابق، ص ١٩ –٢٢٠

(٢٥) محمد صلاح الدين مجاور، التربية الخلقية ومسئولية المدرسة فيها (الكويت – مجلة العربي – العدد ١٣٣ ديسمبر ١٩٦٩، ص ١٠١)٠

(٢٦) عصام الدين علي حسن هلال، دور المدرسة الثانوية في إكساب الطلاب القيم اللازمة لعملية التنمية، رسالة دكتوراه غير منشورة

– كلية التربية – جامعة عين شمس – ٨٣ – ص ٧٦٠

(٢٧) د٠ محمد عاطف غيب، قاموس علم الاجتماع، القاهرة – هيئة الكتاب ٧٩ – ص ص ٥٠٤ – ٥٠٥٠

(٢٨) د٠ محمد عاطف غيب، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٥٠٥٠

(٢٩) د٠ سيد عويس٠ القيم الاجتماعية التي يجب أن نغرسها في نفوس الأطفال، (بحث غير منشور مقدم للحلقة الدراسية: القيم التربوية في ثقافة الطفل – هيئة الكتاب – نوفمبر ٨٥)، ص ١١٠

(٣٠) عصام الدين علي، دور المدرسة الثانوية في إكساب الطلاب القيم، مرجع سابق ص ١١٥٠

(٣١) د٠ تركي الحمد، وعندما تسقط القيم، مرجع سابق، ص ٥٠

(٣٢) فايزة يوسف عبد المجيد، التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض سماتهم الشخصية وآفاقهم القيمية، رسالة دكتوراه: آداب عين شمس: ١٩٨٠، ص ٣٣٠

(٣٤) راجع٠ د٠ محمود عوده، مشكلات منهجية في دراسة القيم في المجتمع القروي المصري، في د٠لويس كاملة ملكية محرر: قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، القاهرة – هيئة الكتاب، ١٩٧٩ – المجلد الثالث، ص ٥٧، ٥٨، وإن كنا نختلف مع الباحث حول القيم السلبية، فإذا كانت القيم تمثل جوهر ثمين يمتلكه الإنسان ويوجه سلوكه، فكيف تكون ثمينة وسلبية في وقت واحد؟ والأغلب أن الأشياء السلبية هذه يمكن أن تمثل

أنواعاً من السلوك أو العادات أو التقاليد وتختلط في ذهن بعض الكتاب بالقيم. ويؤكد ذلك تعريف د. فؤاد أبو حطب في بحثه العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه في نفس المرجع السابق ص ٢٢٨، الذي يعرف القيمة بأنها مجموعة أحكام معيارية يصدرها الفرد علي بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية، وهذه الأحكام، هي في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره، إلا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي استوعبه الفرد وتقبله بحيث يستخدمها كمحكات أو مستويات أو معايير. وكما يؤكد د. نجيب اسكندر في كتابه: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مرجع سابق، ص ١٧، أن القين الاجتماعية هي نتاج خبرات اجتماعية وهي تتكون نتيجة عملية انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم.

(٣٥) راجع: د. نجيب اسكندر وآخرون: مرجع سابق ص ٣٠ – ٣١.

(٣٦) المرجع السابق، راجع ص ٢١، ٢٢٠

(٣٧) د. نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١، ص ١٦٠

(٣٨) Bray Brooks0 Values and Managers , in, Bair0, Kurt and Reacher, Nicholas (eds0) Values and the Future, New York, The Free Press, 6969, PP0 368 – 3700

(٣٨) عبد التواب يوسف، الطفولة والقيم، بحث غير منشور في ندوة

القيم التربوية في ثقافة الطفل، هيئة الكتاب، ١٩٨٥، ص ١٠

(٣٩) سميحة محمد أبو النصر، دراسة للقيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية (رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة عين شمس – كلية البنات، ١٩٨٢، ص ١٠٢٠

(٤٠) د٠ نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية، المرجع السابق، ص٢٠٠

(٤١) راجع: د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٧، ٥٧، ٦٤٠

(٤٢) د٠ حسن صعب: تحديث العقل العربي، بيروت: دار العلم لملايين ١٩٦٩، ص ١٥٧٠

(٤٣) سميحة محمد أبو النصر، دراسة القيم، مرجع سابق، ص ١٠٣ – ١٠٤٠

(٤٤) د٠ فوزية دياب، القيم والعادات، مرجع سابق، ص ٢٨، ٢٩٠ وأيضا: فايزة عبد المجيد: التنشئة الاجتماعية للأبناء، مرجع سابق، ص ٨٠٠

(٤٥) سميحة محمد أبو النصر، دراسة القيم، مرجع سابق، ص ص ١٠٥ – ١٠٧٠

(٤٦) راجع: د٠ زيدان عبد الباقي، علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية، القاهرة – مكتبة غريب، ١٩٧٥، ص ٤٣٤ – ٤٣٥٠

(٤٧) د٠ محمد على محمد، دراسات في التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٤٢٠

(٤٨) القيم قد تشير إلى معايير السلوك، فقد تشير إلي الكيفية التي يسلك بها الأطفال بالفعل أو الكيفية التي يتوقع الراشدون من الأطفال أن يسلكوا بها٠٠ راجع في ذلك:

Straugham0 R0 & Wrigley J0 Values and Evaluation in Education , (London: Harper and Row: 1980), PP 12 – 170

(٤٩) فايزة يوسف عبد المجيد، التنشئة الاجتماعية للأبناء، مرجع سابق، ص ٧٥٠

(٥٠) Rokeach M0 The Nature of Human Values, Op0 Cit0, PP0 12 – 130

(٥١) فايزة يوسف، مرجع سابق، ص ص ٦٦ – ٦٨٠

(٥٢) M0Rokeach, the Nature of Human Values , Op0 Cit0 , P0 180

ويؤكد في صفحة ٤ أنه إذا كان الاتجاه يشير إلى تنظيم لعدة معتقدات حول موضوع أو موقف معين، فان القيمة تشير إلى اعتقاد واحد محدد٠

(٥٣) ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مرجع سابق، ص ص ٢٦ ـ ٢٧٠

(٥٤) د٠ محمد على محمد، دراسات في التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٥٩٠

(٥٥) راجع تطور الأيدلوجية في: H0M0 DRUCKER, The Political Uses of Ideology (London, The Macmillan Press: I/TD; 1974), PP0 10 – 110

(٥٦) ويعتقد د٠ صوفي أبو طالب (محرر) في كتاب" الاشتراكية

والديمقراطية" القاهرة، دار المعارف ٧٨، ص ١٠ – أن الأيدلوجية الحقة هي التي تنبع من واقع الأمة وطابعها القومي وأهدافها القومية وتحقق لها طموحاتها وآمالها وفى إطار توازن دقيق بين الأمة وتراثها وقيمها من ناحية ومصالحها ومشاكلها الحاضرة من ناحية ثانية ومثلها العليا وآمالها التي تصبو إلى تحقيقها في المستقبل من ناحية ثالثة٠

(٥٧)راجع فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٨٦ – ١٨٧٠

(٥٨) Rokeach0 M, The Nature of Human Values, Op0 Cit0, P0 40

(٥٩) فايزة يوسف عبد المجيد، رسالة الدكتوراه، مرجع سابق، ص ٧٣ – ٧٥

(٦٠) حسن عيسى، مصري حنورة، دراسة حضارة مقارنة لقيم الشباب لدى مجموعتي من طلاب الجامعة الكويتيين والمصريين، (الكويت – مجلة العلوم الاجتماعية، عدد ربيع عام ١٩٨٧) مجلد ١٥، ص ١٨٢، ص ١٩١٠

(٦١) راجع٠ د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٩٠٠

(٦٢) د٠ نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٢٠

(٦٣) Dennis Kavavagh, Political Culture, London: Macmillan press; I/TD; 1972), p0 210

(٦٤) Lucian Pye, The Non-Western Political process, In, Harry Eckstain and David Aptar, eds0 Comparative Politics, (London: The Fee press of Glance, 63) P06600

(٦٥) محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، القاهرة – الأنجلو المصرية ١٩٧٧ – ص ٢٢٤٠

(٦٦) راجع٠ د٠ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٤٩ – ٥٠٠

(٦٧) راجع٠ المرجع السابق، ص ٧٣-٨٠٠ وأيضاً د٠ نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مرجع سابق، ص ١٩-٢١٠

(٦٨) د٠ نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٥٠

(٦٩) د٠فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٧٥٠

(٧٠) Gabriel Almond0 & G0Bingham Powell; comparative politics (Little Brown and Camperiy, Canada; Limeted; 1987), pp0 39-410

(٧١) د٠ سعيد سراج، الرأي العام: مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، القاهرة – هيئة الكتاب – ٨٧ – ص ٢٠٧٠

(٧٢) Lucian Pye: Political Culture, in, International Encyclopedia of Social Sciences, 1986, Vol012,P02180

(٧٣) Sidney Verba: Comparative Political Culture, in , Pye and Verba (eds0): Political culture and

political Development (New Jersey Princeton University Press, 65) P0 5130

(٧٤) راجع٠ أحمد فؤاد رسلان: نظرية الصراع الدولي (القاهرة – هيئة الكتاب ٨٦) ص ص ١٤٨، ١٤٩٠

(٧٥) Feed back: Ethel0 Albert, Values Systems, in, David Sills (eds0), op0 Cit0, pp0, 290 – 2910

(٧٦) راجع٠ د٠ حامد ربيع، نظرية القيم السياسية، القاهرة: نهضة الشرق ١٩٧٤، ص ص ٤ –٧٠

(٧٧) د٠ حسن صعب، تحديث العقل العربي، مرجع سابق، ص ١٣٠

(٧٨) د٠ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٥٠٦٠

(٧٩) راجع٠ د٠ محمد علي محمد، دراسات في التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص٣٥٩، د٠ نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية ، مرجع سابق، ص ٢٦٠

(٨٠) د٠ ضياء زاهر القيم في العملية التربوية، مرجع سابق، ص ٢٣٠

(٨١) راجع٠ د٠ نعيم عطية، القانون والقيمة الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٨، ٢٩٠

(٨٢) T0Parrsons0, Structure and process in Modern Societies, (London: Free Press,: Glance: 1960,p01720)

(٨٣) د٠ محمد محمد الزلباني، القيمة الاجتماعية من خلال الدراسات الأنثريولجية والاجتماعية، القاهرة: النهضة المصرية – ١٩٧٣،

ص ٢٦٠

(٨٤) د٠حامد ربيع، نظرية القيم السياسية، مرجع سابق، ص٢١،٢٩،٣٢

(٨٥)ويؤكد أحمد رسلان في كتابه" نظرية الصراع الدولي أن هناك حقائق معينة يتوجب علي الباحث أخذها في الاعتبار بالنسبة للسمة التصاعدية للقيم السياسية وهي:

١. تبعية القيم لا تعني إلغاءها أو الإقلال من أهميتها في الهيكل الأيدلوجي٠
٢. التبعية لا تعني الإقلال من أهمية قيمة سياسية في مواجهة قيمة سياسية أخرى ٠
٣. مفهوم تبعية القيم السياسية مفهوم ديالكتيكي بمعنى أن الانطلاق من قيمة عليا ثابتة لابد وأن يقود إلى تأكيد كافة القيم الأخرى التابعة (أنظر ص ١١٩)

فالقيمة العليا السياسية توصف بأنها أسمى من أي قيمة ُأخرى وتأتي في أعلى سلم القيم وتوصف بأنها ذات طبيعة مطلقة، القيمة العليا هي محور التصور الأيدلوجي، فهي بمثابة المرجع القياسي لمجموعة الأفكار والمبادئ المرتبطة بتطور العالم السياسي عندما يصل إلى درجة معينة من درجات الترابط والتماسك بحيث تقدم أداة الانتقال من التجريد السياسي إلى الواقع الحركي٠

(٨٦) راجع: د٠ زيدان عبد الباقي، علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية، مرجع سابق، ص ٤٢٩٠

(٨٧) راجع، عصام الدين هلال، دور المدرسة الثانوية في إكساب

الطلاب القيم اللازمة لعملية التنمية، مرجع سابق، ص ٧٦٠

(٨٨) راجع: د٠ نازلي إسماعيل، الشعب والتاريخ، القاهرة: دار المعرف ١٩٧٦، ص ص ١٥٢ – ١٥٤٠

(٨٩) د٠ علي أحمد عبد القادر، مقدمة في النظرية السياسية، القاهرة للنشر ـ ٧٤ – ص ٧٣٠

(٩٠) راجع في ذلك: روبرت ل٠ براكينبوري، التصدي للقضايا التربوية، ترجمة أحمد فؤاد عبد المجيد، القاهرة: الناشر العربي: ١٩٧١، ص ٧٦، ٨٠ وأيضاً: د٠ محمد عزيز الحبابي، من الحريات إلي التحرير، القاهرة – دار المعارف – مكتبة الدراسات الفلسفية ١٩٧٢، ص ص ٢٨ – ٣٠٠ وأيضاً: د٠ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٢٣٠

(٩١) راجع في ذلك: د٠ أحمد رسلان، نظرية الصراع الدولية، مرجع سابق، ص ١٥٠٠وأيضاً: د٠حامد ربيع، نظرية القيم السياسية، مرجع سابق، ص ص ٨٧ – ٨٩٠

(٩٢) راجع٠ د٠ أحمد رسلان، المرجع السابق، ص٠ ص ١٥٢ – ١٥٣٠

(٩٣) راجع٠ د٠ حامد ربيع، القيم السياسية، مرجع سابق، ص ص ٩٠– ٩٢٠

(٩٤) راجع٠ في معني الحرية: د٠ عاطف غيب، قاموس العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٩٤٠، د٠ علي أحمد عبد القادر، مقدمة في النظرية السياسية، مرجع سابق، ص ٦٤، ٩٥، ٩٧٠

(٩٥) راجع. في ذلك: د. محمد عزيز الحبابي، من الحريات إلي التحرير، مرجع سابق، ص ٢٠٠و:د. نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٨، ص ص ٣٠١ – ٣٠٣٠

(٩٦) راجع كمال المنوفى، رسالة دكتوراه غير منشوره، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – ١٩٧٨، ص ص ٢٣ – ٢٤٠

(٩٧) راجع. د. أحمد رسلان، نظرية الصراع الدولي، مرجع سابق، ص ١٥٣، وأيضاً د. نعيم عطية، القانون والقيم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٦٧٠

(٩٨) د. محمد عصور، أزمة الحريات في المعسكرين الشرقي والغربي، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي: ط ١ – ١٩٦١، ص ٢٣٠

(٩٩) راجع. د. أحمد رسلان، نظرية الصراع الدولي، مرجع سابق، ص ص ١٥١ – ١٥٢، وإذا رجعنا للنصوص القرآنية نجدها تعلي من شأن العدالة كمفهوم وكقيمة عليا في المجتمع، ومن هذه النصوص القرآنية: قال تعالي" إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" سورة النساء – آية ٥٨٠ وقال سبحانه" إن ا يأمر بالعدل" آية ٩٠ – سورة النحل. وقال عز وجل:" وقل آمنت بما أنزل ا من كتاب وأمرت لا عدل بينكم" آية ١٥ سورة الشورى، وقال عز وجل" وإذا قلتم فاعدلوا" آية ١٥٢ من سورة الأنعام وقال

تعالي:" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم علي ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا ا " آية ٨ من سورة المائدة، وهناك العديد من النصوص الأخرى.

(١٠٠) راجع: Roger Straughan, Can we teach children Be Good?, London: George Allen and Unwin, 19820ترجمة د. عبد المجيد شيحه، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٧، سلسلة الألف كتاب الثاني، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٥.

(١٠١) راجع. آمال عبد العزيز، الآثار النفسية لما يقدم للطفل عن طريق وسائل الإعلام، القاهرة، هيئة الاستعلامات، بدون، ص ص ٤٨، ٤٩.

(١٠٢) راجع. المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، رسالة دكتوراه. مرجع سابق، ص ص ٢٧، ٢٨.

(١٠٣) راجع: ألفت حقي، ثقافة الطفل، الكويت: عالم الفكر: المجلد العاشر: العدد ٣ – ١٩٧٩ ص ص ٦٧ – ٦٨.

(١٠٤) د. حسن شحاته، القيم التربوية في قصص الأطفال، بحث غير منشور في الحلقة الدراسية: القيم التربوية للثقافة الطفل – ١٩٨٥ – هيئة الكتاب ص ص ١، ٢.

(١٠٥) فاروق سلوم، الكتابة على صفحة بيضاء، العراق: دار ثقافة الأطفال: ١٩٨٦، ص ص ١٣ – ١٤.

(١٠٦) فيليب إسكاروس وسميه حسين، القيم الجمالية في الصور

المصاحبة للقصص المتداولة لدي أطفال مصر. دراسة تربوية ميدانية، القاهرة: المركز القومي للبحوث التربوية – ١٩٨٠ ص٧٠.

(١٠٧) محمد رفقي عيسي، توضيح للقيم أم تصحيح للقيم؟، القاهرة، المجلة التربوية – عدد ٣ – ١٩٨٤، ص ٤٤.

(١٠٨) راجع: د.عواطف أبو العلا، التربية السياسية للشباب ودور التربية الرياضية، القاهرة – نهضة مصر ـ ١٩٧٤، ص ص ٢٧ ـ ٣٤.

(١٠٩) د. نعمان الهيثي، أدب الأطفال، القاهرة: م هيئة الكتاب، سلسلة الألف كتاب الثانية ١٩٨٦، ص ١٥٤.

(١١٠) د. عزت حجازي، الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد يونيو ١٩٧٨، ص٨٥.

(١١١) محمد رفيق مرسي، توزيع وتسويق كتب الأطفال، الحلقة الدراسية الإقليمية ١٩٨٤، هيئة الكتاب ١٩٨٥، ص ٢٦٢.

(١١٢) راجع: د. عماد الدين سلطان، الصراع القيمى بين الأبناء وعلاقته بتوافق الأبناء النفسي، القاهرة – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٧٣ – ص ١٢٩.

(١١٣) د. محمد سعيد فرح، دراسات في المجتمع المصري، القاهرة – هيئة الكتاب – ٧٦، ص ص ١٣٨ – ١٣٩.

(١١٤) روجر ستروجان: هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال؟ ترجمة د. عبد المجيد شيحه، القاهرة – هيئة الكتاب – سلسلة الألف كتاب ٣٧، ص ص ٦٣، ٨٠.

(١١٥) راجع: د. عباس محجوب، مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي، قطر: كتاب الأمة: العدد ١١ – ١٤٠٦هـ: ١٩٨٦ ص ص ٣٠ – ٣٤، ص ص ١٥٣ – ١٦٨.

(١١٦) د. كمال المنوفي، الفلاح المصري ومبدأ المساواة، القاهرة: هيئة الكتاب ٧٨ – سلسلة دراسات في الاشتراكية الديمقراطية رقم ٢٧، ص ١١٠

(١١٧) رالف ه. أوجيمان، تكيف شخصية الطفل، ترجمة عثمان لبيب فرج (دكتور) القاهرة – هيئة الكتاب ـ ٧٥ – سلسلة بحوث تربوية في خدمة المعلم، ص ص ٣٤، ٣٥٠

(١١٨) د. عفاف أحمد عويس، دور القصة في النمو الأخلاقي للطفل، بحث في ندوة القيم التربوية في ثقافة الطفل، القاهرة، هيئة الكتاب – نوفمبر ١٩٨٥، ص ٦٠

(١١٩) عبد التواب يوسف، الطفل والكتاب، كتب الأطفال في الدول المتقدمة القاهرة، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ٨٤: هيئة الكتاب ١٩٨٥، ص ص ٦٢، ٦٣٠

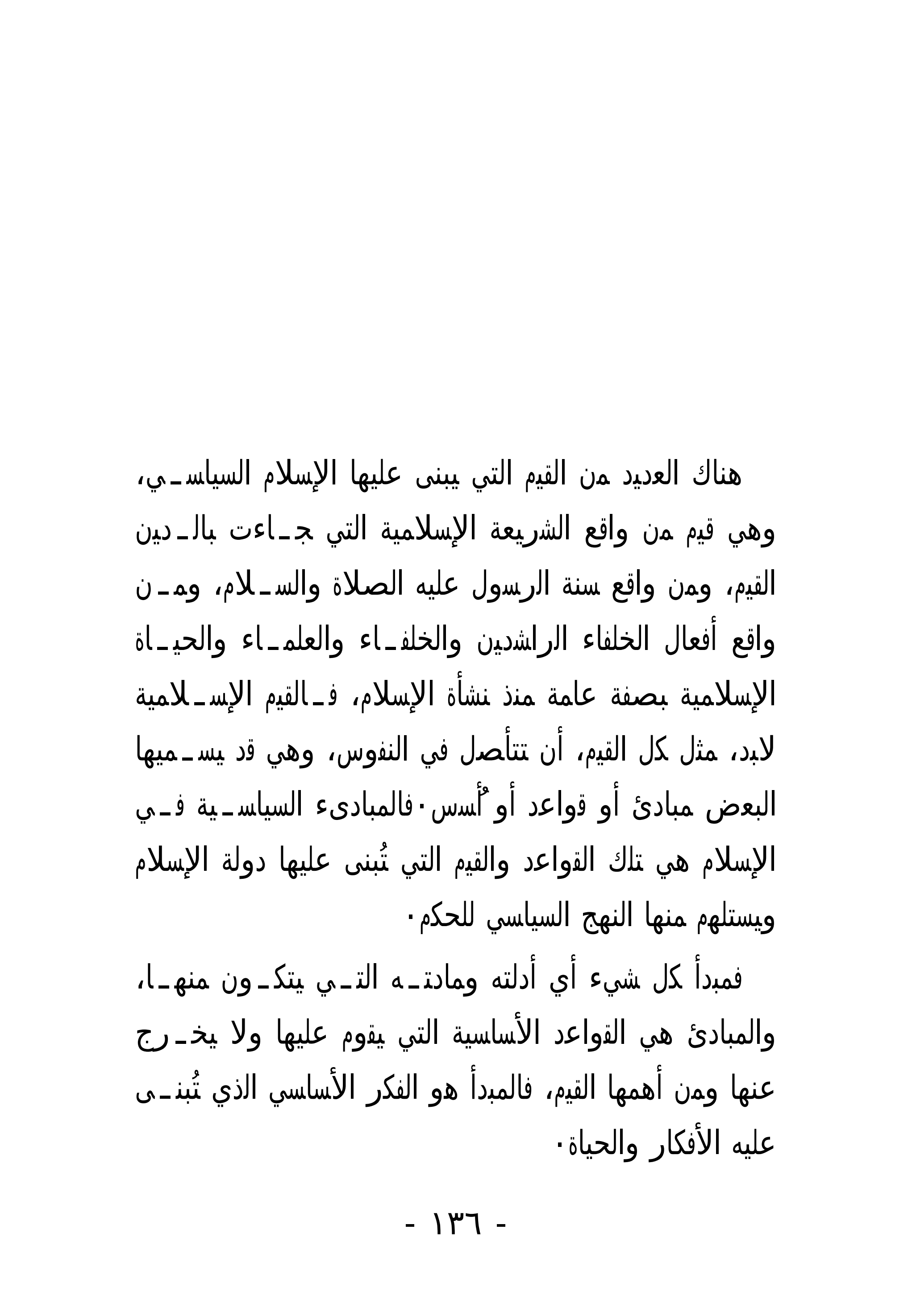
(١٢٠) حسن الغزالي، الطفولة أمل الإنسانية، الكويت – الرأي العام – العدد ١٣٦١ – في ١٩٨٧/٣/٩)، ص ١٥٠

(١٢١) راجع: حديث مع د. أحمد صدقي الدجاني: أجراه جمال بالحاج طاهر الكويت: جريدة الأنباء: عدد ١٩٨٦/١٢/٦، ص ٢٤٠

الفصل الثاني

العدالة: القيمة السياسية العليا

في الإسلام



هناك العديد من القيم التي يبنى عليها الإسلام السياسـي، وهي قيم من واقع الشريعة الإسلامية التي جـاءت بالـدين القيم، ومن واقع سنة الرسول عليه الصلاة والسـلام، ومـن واقع أفعال الخلفاء الراشدين والخلفـاء والعلمـاء والحيـاة الإسلامية بصفة عامة منذ نشأة الإسلام، فـالقيم الإسـلامية لابد، مثل كل القيم، أن تتأصل في النفوس، وهي قد يسـميها البعض مبادئ أو قواعد أو أُسس. فالمبادىء السياسـية فـي الإسلام هي تلك القواعد والقيم التي تُبنى عليها دولة الإسلام ويستلهم منها النهج السياسي للحكم.

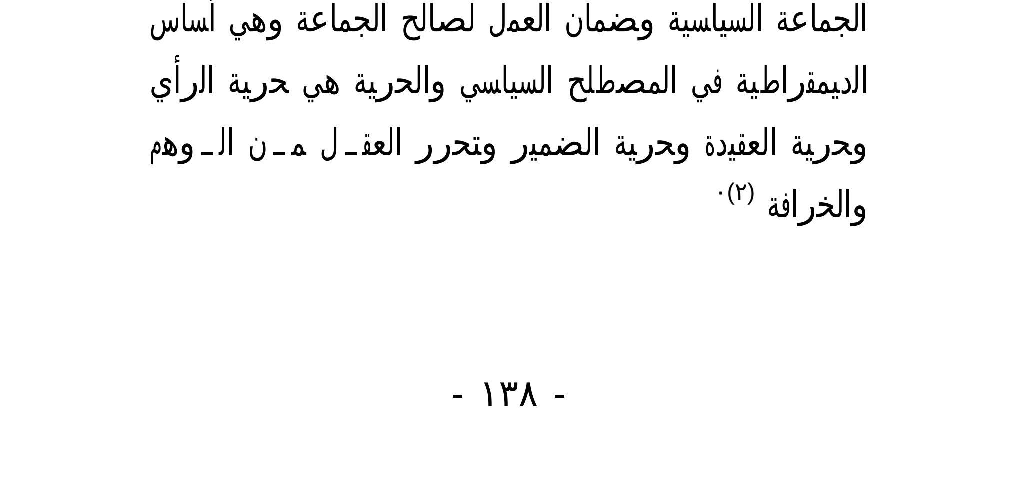
فمبدأ كل شيء أي أدلته ومادتـه التـي يتكـون منهـا، والمبادئ هي القواعد الأساسية التي يقوم عليها ولا يخـرج عنها ومن أهمها القيم، فالمبدأ هو الفكر الأساسي الذي تُبنـى عليه الأفكار والحياة.

ولم يتفق الجميع على المبادئ والقيم السياسية التي تقـوم عليها دولة الإسلام والتي منها العدالة التي هي قيمة القيم أو القيمة العليا الأولى التي تنبثق من خلالها وتتشكل بها بقيـة القيم السياسية، وهي كذلك في رأي كثيـر مـن المفكـرين والفقهاء من أمثال الشيخ محمد أبو زهـرة وأبـو الأعلـى المودودي وسيد قطب والشيخ عبد الوهاب خلاف والـدكتور حامد ربيع (على سبيل المثال)، بينما يعلي البعض القليل قيمة الحرية ويقدمها على العدالة، أما قيمـة الشـورى فيجعلهـا البعض أساس الحياة السياسية للمسلمين، ولذلك لم يكن هناك إجماع على القيمة العليا، وإن كان هناك إجماع على تشـكيل القيم العليا من هذه القيم: العدالة - لا حكم إلا - الحريـة - الشورى - المساواة - الوحدة الإسلامية - الطاعـة - الانتماء للأمة الإسلامية - الأخـوة الإسـلامية والتعـاون وغيرها [1].

وهناك من يعلن أن القيم السياسية الإسلامية ما هـي إلا تعبير أو إظهار للديمقراطية في الإسلام، والتي تقـوم علـى أربعة أسس هي محور كل الديمقراطيات وهي: المسـؤولية الفردية، وعموم الحقوق وتساويها بـين النـاس، ووجـوب

الشورى على ولاة الأمور، والتضامن بين الرعية على اختلاف الطوائف والطبقات، فالمسئولية الفردية هي الحرية بأوسع معانيها، فلا يحاسب إنسان بذنب إنسان، كما لا يحاسب بغير عمله ولا يحاسب الإنسان بذنب آبائه وأجداده أو بذنب وقع قبل ميلاده، أما عموم الحقوق فتجسد مبدأ العدالة المطلقة بين الناس، بل وتجسد الحقوق الإنسانية والمساواة من خلال العدالة، أما الحكم بالشورى فهو أساس الممارسة السياسية، ثم تكافل وتضامن الأمة في المسئولية العامة تعنى الأخوة والمساواة والتكافل الاجتماعي والأمن السياسي والاجتماعي والتعاون

ويعلن البعض - بداية - أن روح الإسلام السياسية تتمثل في العدل والشورى والحرية، فالعدل أساس الجزاء في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والشورى سياج العدالة في الجماعة السياسية وضمان العمل لصالح الجماعة وهي أساس الديمقراطية في المصطلح السياسي والحرية هي حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية الضمير وتحرر العقل من الوهم والخرافة [٢].

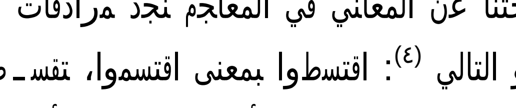


ومن هنا سنتعرف على القيم السياسية العليا في الإسـلام ونتعرف كيف أعلى الإسلام في النظرية والتطبيق من شـأن هذه القيم، وخصوصا القيمة العليا أو قيمة القيم وهي العدالة، ثم الشورى، ثم الحرية والانتماء لأمة الإسلام، وأخيرا قيمـة المساواة.

١- العدالة ... قيمة القيم في الإسلام ...

العدالة ... العدل ... القسط ... كلها مصـطلحات لغويـة تعبر عن العدل بأوسع معانيه، والعدل أمر رئيسى وأساسـى فى الاسلام ... فالعدل ركن في الإسلام عليه تربـى الأمـة وتؤسس الدولة، والعدل أمر من ا تعالى للمؤمنين في كـل حال لأن العدل أكبر من الجميع وفوق كل شـيء. كمـا أن الإسلام يعتبر العدل واجباً على كل فرد وفي كل شيء وأبرز صفة يتحلى بها الحاكم هي العدالة، والعـدل لـيس مجـرد القضاء وأحكام القضاة، بل يؤخذ بمعناه الواسع كما قال أحد المفكرين [(٣)]" فالعدل يعنى العدالة فى تطبيق القوانين والعدالة فى الخصومات بين الناس وعدالـة التوزيـع فـى المنـتج الاجتماعي والعدالة الضريبية وغيرها من أوجه العدل بـين الناس".

وإذا بحثنا عن المعاني في المعاجم نجد مرادفات العـدل على النحو التالي [٤]: اقتسطوا بمعنى اقتسموا، تقسـطوا أي



تقسموه بالعدل والسواء، القسط أي العدل، قسط أي الشـيء جعله أجزاء، أقسط أي عدل، وأقسط في حكمـه أي عـدل، والقسطاس أي أضبط الموازين، والقسوط أي الجور والعدول عن الحق، والقسط بالكسر أي العدل، أقسـط الرجـل فهـو مقسط، والقسط بالكسر أيضا هو مكيال وهو نصف صـاع، والقسط الحصة والنصيب.

والعدل بين الناس هو الغاية المقصـودة مـن الشـريعة الإسلامية، ولهذا أمر ا المسلمين أن يقوموا بالقسـط ولـو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وأمر بالعدل ولـو مـع العدو، وجعل العدل في الحكم وفي القول مفروضاً في كتاب ا ، ولقد أفتى بعض العلماء المسلمين بأن الكـافر العـادل أوصل من المسلم الجائر لأن الأول لنا عدله وعليـه كفـره والثاني له إسلامه وعلينا جوره، وقالوا: إن ا يقيم الدولـة بالعدل ولو على كفر ولا يقيمها بالظلم ولو على إسلام.

ومن المبادئ التشريعية التي تمت بسـبب صـحيح إلـى تحقيق مصالح الناس وإقامة العدالة بينهم: رفع الضرر ورفع الحرج وسد الذرائع والبراءة الأصلية [٥].

والعدل في الإسلام له معاني عديدة لأنه روح الأمة وسر سعادتها وسبب ازدهارها وتقدمها، وبدونه لا تكـون للدولـة معنى ولا للحياة في ظلها أي مبرر، فالعدل دائما يرشد إلـى النهج القويم والصراط المستقيم، وجعل ا الغاية التي أرسل الرسل لتحقيقها هي العدل، ولقد أعلى الإسلام من قيمة العدل علوا كبيراً فجعلها الهدف والغاية والوسيلة والطريـق نحـو بناء المجتمع المسلم والإنساني، فلقد أكد القرآن الكريم، كمـا سنرى، أن من صفات ا جل جلاله العدل، ولذلك فقد أمـر به في كل شأن من شؤون الحياة، ثم أمر بالعدل في القـول وشدد على أهمية هذا النوع من العدل ليسير المجتمع نحـو المثالية، وأكد على أن العدل بالقول يقترن بالعدل في البيـع والشراء والمعاملات وفي العهود والوفاء بها، كمـا أمرنـا القرآن بالعدل في أمور اليتامى، وأمرنا ا بالعدل مع العدو، نعم أمر ا بالعدل التام مع الأعداء، كما أمر بالعـدل فـي الحكم حيث قال بعض الفقهاء في آيـة" إن ا يـأمركم أن

تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكمـوا بالعدل" [٦]، أن ا أنزلها في الأمراء والحكم بـين النـاس، ونزلت في ولاة الأمور كما قال بعض العلماء،بـل وأعلـن البعض أن كل موظف بالدولة مهما صغر شأنه مكلف بالعدل بين من يلجأ إليه من ذوي الحاجات والمعاملات، وكما يقول ابن تيميه" العدل بين الناس وفعله بحسب الإمكان هـو مـن أفضل عمل ولاة الأمور، بل من أوجبها عليهم، فإن ا يأمر بالعدل والإحسان، والعدل واجب على كل أحـد فـي كـل شيء" [٧]

ولقد اعتمد الإسلام على وسيلتين كأساس لسياسة الحكـم: التشريع والتوجيه في تحقيق العدالة الكبرى في كل حقل من حقول الحياة، فسياسة الحكم هي المنوط بها في النهاية تنفيـذ التشريع وتعهد المجتمع من كل جوانبـه وتحقيـق العدالـة والتوازن وتوزيع المال حسب القواعد التي رسمها الإسـلام، فمن أسس العدالة أن الإسلام دين عالمي وهو نظـام العـالم العام، ورغم ذلك فإنه لا يقسر الآخرين علـى اعتناقـه ولا الإكراه في دخوله، فيفرض على المسلمين وحـدهم الزكـاة والجهاد ويأخذ في مقابلها من أهل الذمة الجزية إذ هم شركاء

في حماية الدولة الإسلامية وعليهم جميعاً نفقاتها، ولكنـه لا يجعلها على أهل الذمة زكاة، كما أنه لا يفرض عليهم الجهاد إلا إذا هم ارتضوا وقبلوا٠٠

٢- جوهر قيمة العدالة السياسية في الإسلام:

ولذلك تقوم سياسة الحكم في الإسلام بعد التسليم بقاعـدة الألوهية الواحدة والحاكمية الواحدة على أساس من العدل من الحكام والطاعة من المحكـومين والشـورى بـين الحـاكم والمحكوم، ولذلك نجد قول الحبيـب المصـطفي (إن أحـب الناس إلى ا يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى ا يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر)[٨]، فالعدل في الإسلام قيمة عليا في المجتمع لأنه عدل مطلق لا يميل ميزانه بفعل الحب والبغض ولا تغير قواعده المـودة، ولا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ولا بالتباغض بين الأقوام[٩]٠٠

فإقامة العدل بين الناس وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجو هو من شأن خالق الإنسان وربه لا حق لمن سواه في أن يصنع للناس مقياساً للظلم والعدل، وهدف الإسـلام هـو العدل، وما جاء الإسلام إلا لإقامة العدل في الدنيا٠

ونستطيع أن نؤكد أن العدالة هي القيمة العليا فى الفكـر الاسلامى، والتى ينبثق عنها ويتشكل منها كافة القيم الأخرى مثل المساواة والحرية ...

العدالة في كل شيء:

والعدالة لا تقتصر على السياسة والحكم فقط بل تتعـداها إلى كل مافي حياتنا، فلقد أوجب الإسلام العدل بـين أبنـاء الأسرة جميعا، كما جاء في الحديث: عن النعمان بن بشـير أنه قال: نحلني أبي نحلا (أي وهبني) فقالت أُمي: لا أرضى حتى تُشهد عليه رسول ا صلى ا عليـه وسـلم، فجـاءه ليشهده على ذلك، فقال الرسول: أكل ولدك نحلـت مثلـه؟، فقال: لا !، فقال الرسول: اتقوا ا واعدلوا بـين أولادكـم، وقال: إني لا أشهد على جور، قال: فرجع أبـي فـرد تلـك الصدقة) [١٠]

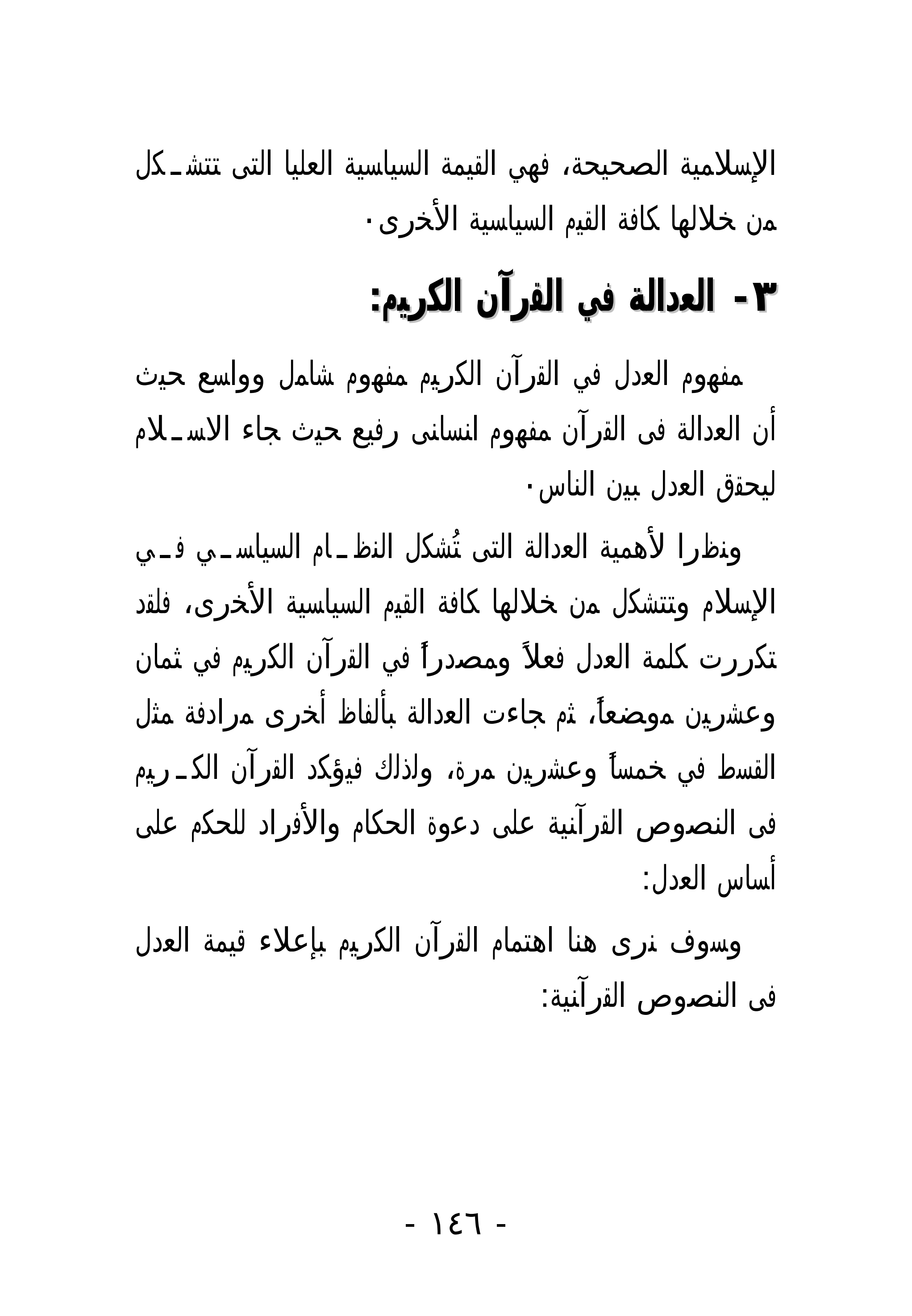
والقائد لابد أن يكون عادلاً، فلقد روي عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال **(لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة مـن الأرض إلا أمروا عليهم واحداً)** [١١]، فأوجب النبي صلى ا عليـه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السـفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماعات، ثم أمر ا بالعدل

في كل حكم كما جاء ذلك في الآيـة ٥٨، ٥٩ مـن سـورة النساء، التي أوجبت الحكم بالعدل، مما يحقق السياسة العادلة والسياسة الصالحة لكل المسلمين ولكل البشر في كافة أنحاء الأرض[١٢].

ولقد بشر الرسول عليه الصلاة والسلام بالعدل ودعا إليه وطبقه طول حياته، وانتشر مفهـوم العـدل بـين النـاس، وأصبحوا لا يرون حرجاً في المطالبة به خطأ أم صـواب، حتى تجرأ رجلاً اسمه ذو الخويصره التميمي، يـوم حنـين، فوقف على الرسول صلى ا عليه وسلم وهو يعطي النـاس فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هـذا اليـوم، فقـال الرسول: أجل فكيف رأيت، فقال: لم أرك عـدلت !! فقـال: فغضب رسول ا صلى ا عليه وسلم ثم قال: ويحك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟) رواه ابن هشام

فالعدل أصل وقيمة عليا للحكم الإسلامي، وإن الناس لـم يتحرجوا في عصر الرسول عن مطالبة الرسـول بتطبيقـه وقصة الأنصار يوم حنين خير مثال على ذلك.[١٣]

فالعدالة هي القيمة الرئيسية أو قيمـة القـيم فـى الفكـر الاسلامى، وفى النصـوص الإسـلامية وفـى الممارسـة



الإسلامية الصحيحة، فهي القيمة السياسية العليا التى تتشـكل من خلالها كافة القيم السياسية الأخرى.

٣- العدالة في القرآن الكريم:

مفهوم العدل في القرآن الكريم مفهوم شامل وواسع حيث أن العدالة فى القرآن مفهوم انسانى رفيع حيث جاء الاسـلام ليحقق العدل بين الناس.

ونظرا لأهمية العدالة التى تُشكل النظـام السياسـي فـي الإسلام وتتشكل من خلالها كافة القيم السياسية الأخرى، فلقد تكررت كلمة العدل فعلاً ومصدراً في القرآن الكريم في ثمان وعشرين موضعاً، ثم جاءت العدالة بألفاظ أخرى مرادفة مثل القسط في خمساً وعشرين مرة، ولذلك فيؤكد القرآن الكـريم فى النصوص القرآنية على دعوة الحكام والأفراد للحكم على أساس العدل:

وسوف نرى هنا اهتمام القرآن الكريم بإعلاء قيمة العدل فى النصوص القرآنية:

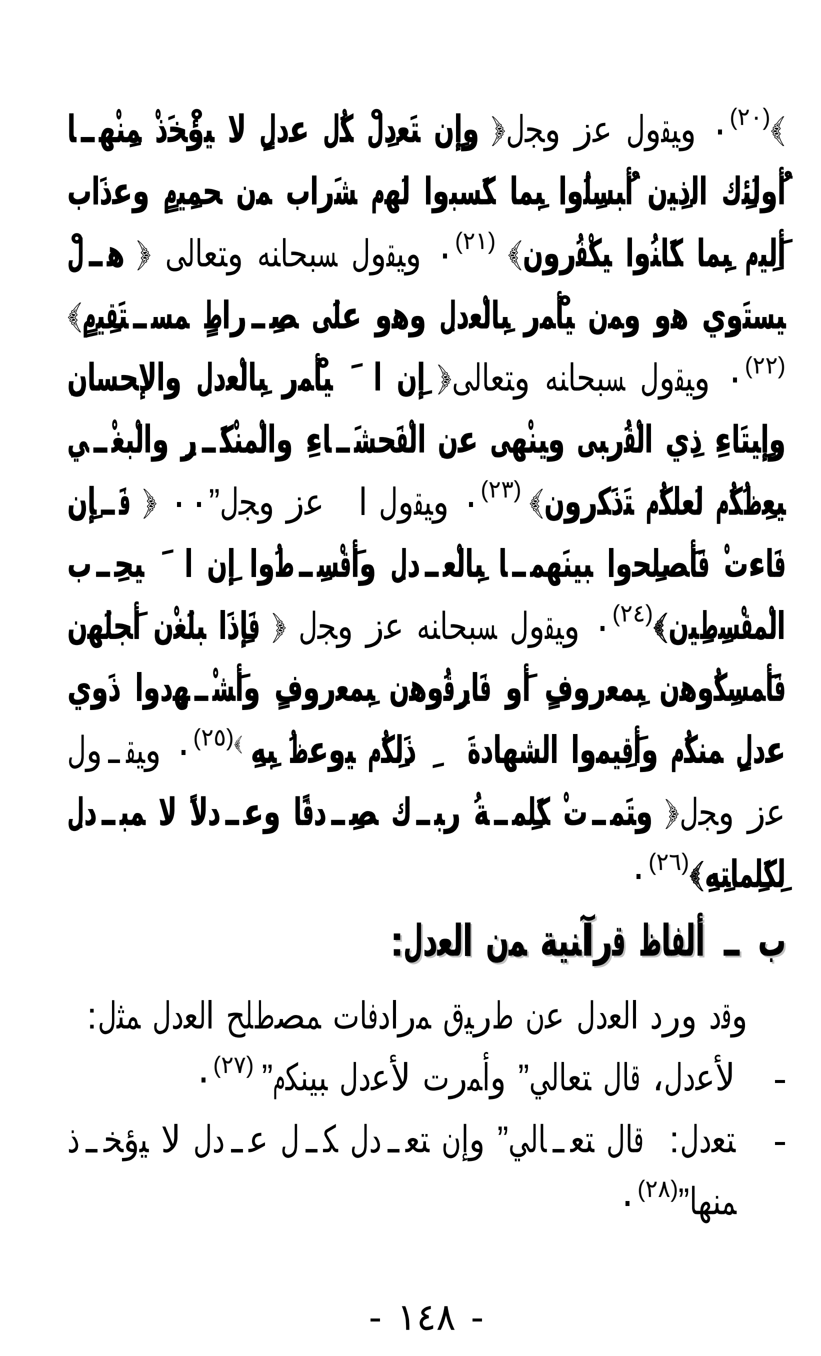
أ ـ كلمة عدل:

وردت ثلاث عشرة مرة فى القرآن الكريم بدعوة الـنفس البشرية إلى البعد عن الشفاعة التى تُحِب العـدل، والتمسـك بالعدالة كسلوك مستقيم يؤدى إلى الفلاح للنفس البشرية.

قال تعالى" واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شـيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون"[١٤]. وقال عز وجل" واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وهـم لا ينصـرون"[١٥]. ويقول سبحانه" يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلي أجـل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ..."[١٦]. ويقـول عز وجل"... ﴿**فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**﴾[١٧] ﴿**فَجَـزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّـنكُمْ هَـدْيًا بَـالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ**﴾[١٨].

ويقول عز وجل ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾..."[١٩].

ويقول سبحانه:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَـهَادَةُ بَيْـنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَـانِ ذَوَا عَـدْلٍ مِّـنكُمْ**

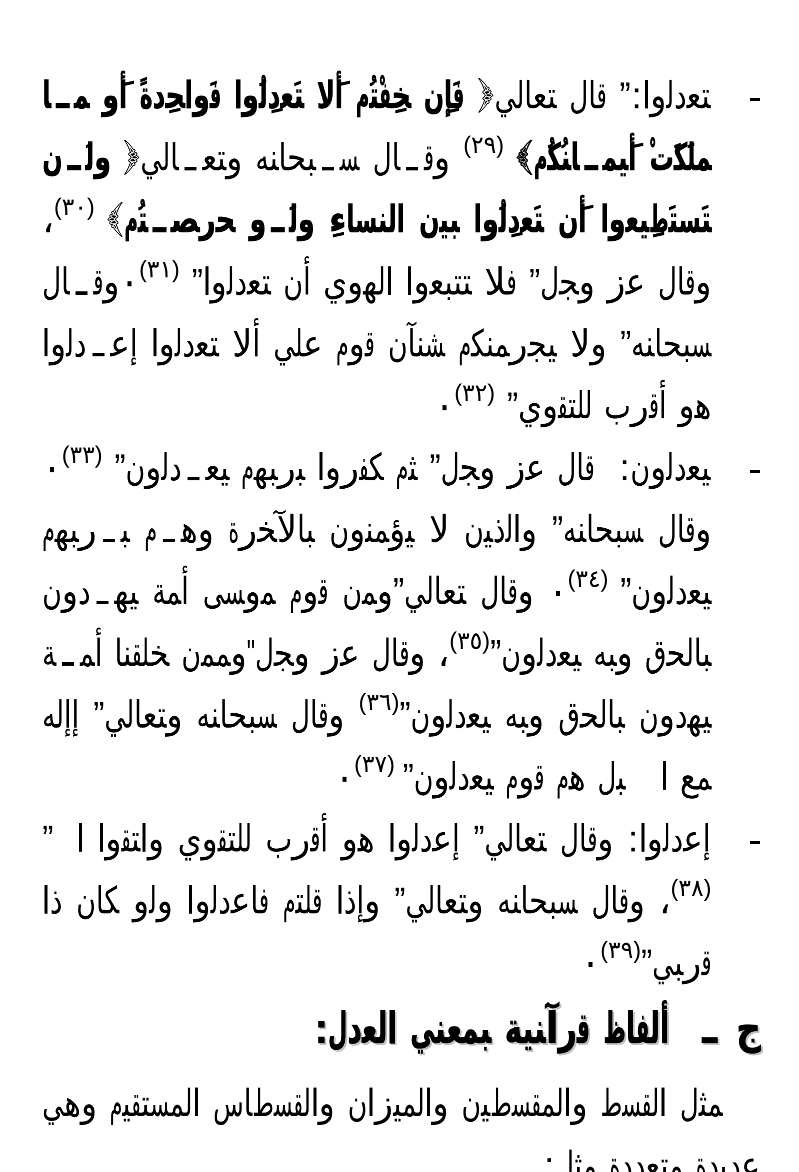


﴾[٢٠]. ويقول عز وجل﴿ **وإن تَعدِلْ كُلّ عدلٍ لا يؤْخَذْ مِنْهـا أُولَئِك الذِين أُبسِلُوا بِما كَسبوا لَهم شَراب من حمِيمٍ وعذَاب أَلِيم بِما كَانُوا يكْفُرون**﴾ [٢١]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **هـل يستَوِي هو ومن يأْمر بِالْعدل وهو علَى صِـراطٍ مسـتَقِيمٍ**﴾[٢٢]. ويقول سبحانه وتعالى﴿ **إِن ا َ يأْمر بِالْعدل والإحسان وإِيتَاءِ ذِي الْقُربى وينْهى عن الْفَحشَـاءِ والْمنْكَـرِ والْبغْـي يعِظُكُم لَعلَّكُم تَذَكَّرون**﴾ [٢٣]. ويقول ا عز وجل"٠٠ ﴿ **فَـإِن فَاءتْ فَأَصلِحوا بينَهمـا بِالْعـدل وأَقْسِـطُوا إِن ا َ يحِـب الْمقْسِطِين**﴾[٢٤]. ويقول سبحانه عز وجل ﴿ **فَإِذَا بلَغْن أَجلَهن فَأَمسِكُوهن بِمعروفٍ أَو فَارِقُوهن بِمعروفٍ وأَشْـهِدوا ذَوي عدلٍ منكُم وأَقِيموا الشهادةَ ـِ ذَلِكُم يوعظُ بِهِ**﴾[٢٥]. ويقـول عز وجل﴿ **وتَمـتْ كَلِمـةُ ربـك صِـدقًا وعـدلاً لا مبـدل لِكَلِماتِه**﴾[٢٦].

ب ـ ألفاظ قرآنية من العدل:

وقد ورد العدل عن طريق مرادفات مصطلح العدل مثل:

- لأعدل، قال تعالي" وأمرت لأعدل بينكم" [٢٧].
- تعدل: قال تعـالي" وإن تعـدل كـل عـدل لا يؤخـذ منها"[٢٨].



- تعدلوا:" قال تعالي﴿ **فَإِن خِفْتُم أَلا تَعدِلُوا فَوَاحِدةً أَو ما ملكَتْ أَيمانُكُم**﴾ [٢٩] وقال سبحانه وتعالي﴿ **ولن تَستَطِيعوا أَن تَعدِلُوا بين النساءِ ولو حرصتُم**﴾ [٣٠]، وقال عز وجل" فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا" [٣١]. وقال سبحانه" ولا يجرمنكم شنآن قوم علي ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوي" [٣٢].
- يعدلون: قال عز وجل" ثم كفروا بربهم يعدلون" [٣٣]. وقال سبحانه" والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون" [٣٤]. وقال تعالي"ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون"[٣٥]، وقال عز وجل"وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون"[٣٦] وقال سبحانه وتعالي" إإله مع ا بل هم قوم يعدلون" [٣٧].
- إعدلوا: وقال تعالي" إعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا ا " [٣٨]، وقال سبحانه وتعالي" وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي"[٣٩].

ج - ألفاظ قرآنية بمعني العدل:

مثل القسط والمقسطين والميزان والقسطاس المستقيم وهي عديدة متعددة مثل:

قال تعالي" وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا مـا طاب لكم من النساء"[٤٠]. وقال عز من قائل" لا ينهـاكم ا عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبروهم وتقسطوا إليهم"[٤١]. وقـال سـبحانه" فـإن فـاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا"[٤٢]. وقال سبحانه وتعالي" وإنا منها المسلمون ومنا القاسطون"[٤٣]. وقال عـز وجـل" ذلك أقسط عنـد ا وأقـوم للشـهادة وأدنـي ألا ترتـابوا"[٤٤]. وقال تعالي" أدعوهم لآبائهم هو أقسط عنـد ا "[٤٥]. وقال سبحانه وتعالي" وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن ا يحب المقسطين"(٤٦). وقال المولي عز وجـل" فاصـلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن ا يحب المقسـطين"[٤٧]. وقـال تعــالي" أن تبــروهم وتقســطوا إلــيهم إن ا يحــب المقسطين"[٤٨]. وقال سبحانه" شهد ا أنه لا إلـه إلا هـو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط"[٤٩]. وقال ا " ويقتلـون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعـذاب ألـيم"[٥٠]. وقال عز وجل" والمستضعفين من الولدان أن تقوموا لليتامى بالقسط" [٥١]. وقال سبحانه" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء "[٥٢]. قال سبحانه" وافوا الكيـل والميـزان

بالقسط"[٥٣]. وقال الله عز وجل" قل أمر ربي بالقسط"[٥٤].
وقال عز وجل" ليجزي الذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات
بالقسط"[٥٥]. وقال سبحانه وتعالي" إذا جاء رسـولهم قضـي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون"[٥٦]، وقال المولي عز وجـل"
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون"[٥٧]. وقال عـز مـن
قائل" ويا قوم أوفوا المكيال والميـزان بالقسـط"[٥٨]. وقـال
سبحانه وتعـالي" وأقيمـوا الـوزن بالقسـط ولا تخسـروا
الميزان"[٥٩]. وقال المولي عز وجل"وأنزلنا معهـم الكتـاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط"[٦٠]. وقال سـبحانه وتعـالي"
وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم"[٦١]. وقـال
الله تعــالي" ولا تكونــوا مــن المخســرين وزنــوا
بالقسطاس"[٦٢]،وقال سبحانه"ونضع الموازين القسـط ليـوم
القيامة"[٦٣].

د ـ الوفاء بالعهود والأمانة جزء من العدالة:

وكانت دعوة القرآن الكريم إلي الأمانة والوفاء بـالعهود
دعوة صريحة من أجل تحقيق العدالـة بمفهومهـا الشـامل
والكامل بإيتاء كل ذي حق حقه ووضع ذلك مـن نصـوص
القرآن الكريم. قال سبحانه وتعالي:" ومن أوفي بما عاهـد

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً"[٦٤]. وقال تعالي" فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف أو أداء إليه بإحسـان"[٦٥].
وقال سبحانه" فإن أمن بعضكم بعضا فليـؤد الـذي أؤتمـن أمانته"[٦٦]. وقال عز وجل" إنّـا عرضـنا الأمانـة علـي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا"[٦٧]. وقال عز وجل" إن الله يـأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها"[٦٨] والأمانة هنا أمر واجـب التنفيذ، فكيف يعصي المؤمن أمر ربه بالأمانة، فالأمانة حين تؤدي كما أمر الله ورسوله تعزز الثقة بين أفـراد المجتمـع الإسلامي وتكرس قيم الوفاء والنبل، إنها الامتثـال للطاعـة والعبادة له وحده، كما أنها تسـاعد علـى انتشـار الأمـان والاستقرار. وقال سبحانه وتعالي" لا تخونوا الله والرسـول وتخونوا أماناتكم"[٦٩]. وقال عز وجل" والذين هم لأمانـاتهم وعهدهم راعون"[٧٠]، وقال الله " ومن أهل الكتـاب مـن أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بـدينار لا يـؤده إليك"[٧١]. وقال تعالي" فمن عفي له من أخيه شـئ فاتبـاع بالمعروف وأداء إليه بإحسان"[٧٢]. وقال الله تعالي:" أوفـوا بعهدي أوفي بعهدكم وإياي فأرهبون"[٧٣]،"يا أيها الذين آمنوا

وأفوا بالعقود"[٧٤]،"وأوفوا الكيل والميزان بالقسط"[٧٥]،"وأوفوا بعهد ا إذا عاهدتم" [٧٦]،"وأوفوا بالعهـد إن العهـد كـان مسـئولا" [٧٧]،"الـذين يوفـون بعهـد ا ولا ينقضـون الميثاق"[٧٨].

٤ - العدالة أساس الحكم في الإسلام:

العدل أساس الحكم في دولة الإسلام، لأن الحاكم ينفذ أمر ا ، وهو سبحانه أعدل العادلين، وهو القائـل" إن ا يـأمر بالعدل" [٧٩].

والعدل من الأسس التي قام عليه عمارة الكون وصـلاح العباد، ولهذا تجد من أسماء ا الحسنى(الحكم العدل)، فهـو الحكم الذي لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول إلا الحـق، لـذلك سمى عدلاً لأنه سبحانه هو القائل" وما ربك بظلاّم للعبيـد" [٨٠]، لهذا إذا حكمنا بما أنزل ا فإننا نحكم بالعدل لأنه ليس هناك حكم أفضل من حكم ا وهو الحكيم، لذلك حكم فعـدل وحد الحدود ليكون في ذلك درع لكل من تسول نفسه أن يهز الكيان الاجتماعي أو يروع الآمنين، كمـا جـاء بالحـديث

القدسي:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسـي وجعلتـه بينكم محرماً فلا تظالموا" [٨١].

والعدل في المفهوم الإسلامي واجب فـي الحكـم علـى الأصدقاء والأعداء، لأن المسلمين هم حملة المنهج الربـاني الذي أنزله ا على سيدنا محمد ليقيم العـدل والقسـط بـين الناس جميعاً، وفي الحديث الشريف الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال" إن أحب الناس إلى ا يوم القيامة وأقربهم مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلـى ا يـوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر" [٨٢].

والعدل هو إقامة الحق، وهو من القيم الإسلامية العالميـة التي تُشيع الطمأنينة في النفوس وتنشر الأمـن بـين العبـاد وتُقوي علاقات الأفراد بينهم وبين بعض كما أنها تقوي الثقة بين المحكوم والحاكم، وفي ظل العدل يزيد الرخاء وتُنمـى الثروة، فلا نتعرض لخلخلة أو اضطراب، وبه يستقر نظـام الحكم لأن المحكوم يمضي إلى غايته في العمـل والإنتـاج وخدمة الدولة، وهذه هي وظيفة الأنبياء وأتباعهم، لهذا نهـى الإسلام الحاكم عن أن يقبل هدية، كذلك القاضي لا يقبلها من أحد لأنه ربما يقف يوما أمامه في قضية فلا يحكـم بـالحق

ويميل إلى الهوى، لهذا قال النبي صلى ا عليه وسلم" مـن استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلـك فهـو غلول" [٨٣]، ولقد قال الحق سبحانه وتعالى في ذلـك" ومـن يغلل يأتي بما غل به يوم القيامة" [٨٤].

٥ - مجالات العدالة في الإسلام:

والعدالة في الإسلام مفهومها واسع كبيـر يشـمل كـل المواطنين بلا استثناء وبلا تفرقة بين المسلم وغير المسـلم، فإذا رضي أهل الكتاب وأهل الذمـة الـذين يعيشـون فـي المجتمع الإسلامي أن يتحاكموا إلى قضاة المسلمين فلا مانع من ذلك بشرط أن يكون الحكم والتقاضي بمـا يحكـم بـه للمسلمين لقول ا تعالى" فاحكم بين النـاس بـالحق" [٨٥]، وقوله عز وجل" فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عـنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط عن ا يحب المقسطين"[٨٦].

والدولة الإسلامية دولة دينية لأن الدين سبب لنشأتها وبه قامت وصار هدفها وغايتها تسعى لنشره وتبليغه، وقد أخبـر الحق سبحانه وتعالى أن من تحاكم أو حكم بغير ما أنزل ا

فقد تحاكم إلى الطاغوت وهذا كُفر والعياذ با ، قال تعـالى" ألم تر إلى الذين زعموا أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنـزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمـروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيدا" (٨٧). كما أن الإعراض عن شرع ا إتباعاً للهوى أو إتباعاً للأحبـار والرهبان عبادة لغير ا ، فلقد دخل عدي بن حاتم رضي ا عنه على رسول ا صلى ا عليه وسلم (وهو يقـرأ الآيـة السابقة) وقال" يا رسول ا إنّا لم نتخذهم أرباباً" قال" بلى، أليس يحلّون لكم ما حرم ا فتحلونه ويحرمون علـيكم مـا أحلّ ا فتحرمونه؟" قال بلى، قال" فتلك عبادتهم.

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابـه الحسـبة **(أن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: ا ينصر الدولة العادلـة وإن كانـت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنـة)** وقـال أيضاً **(العدل نظام كل شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، وحتى لم تقـم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يخزى به في الآخرة)** (٨٨).

ولذا، فإن العدل من القواعد الأصلية والقيم الرئيسية التي أقامها الإسلام، لا في نظام الحكم فقط، وإنما في علاقة الفرد مع نفسه وفي علاقة الفرد مع الناس وفي علاقة الحـاكمين والمحكومين مع بعضهم، فعلـى الحـاكم أن يعـدل وعلـى المحكوم أن يعدل، ولذا جاء الخطاب (إن ا يأمر بالعـدل) للناس كافة وبلفظ الأمر لا على سبيل الاستحسان.

كما أن الرسول صلى ا عليه وسلم كان مـن مهامـه الأصلية العدل بين الناس بنص القرآن الكريم (وأمـرت أن أعدل بينكم) [٨٩]، وذلك لتعليم الناس ما يترتب علـيهم فـي سلوكهم.

كما أكدت الآيات القرآنية على أن الـنفس تميـل مـع الهوى، وقد يكون الحب والبغض من عوامل إيثار الباطـل على الحق والظلم على العدل، كما أمـر ا بالعـدل بـين الزوجات فيما إذا كُن أكثر من واحدة، حتى فـي الخلافـات الداخلية التي تقع بين المؤمنين فإن الصلح العادل هو الأصل مثلما جاء في (الحجرات الآية ٩).

وإذا كان ا تعالى قد أمر بالعدل، فنه سبحانه نهى عـن الظلم نهياً شديداً وتوعد الظالمين بالعذاب الغليظ فـي آيـات



كثيرة مثل قوله تعالى ﴿**لاَ ينَالُ عهدِي الظالِمِين**﴾ [٩٠]، وقوله عز وجل ﴿ **وبِئْس مثْوى الظـالِمِين**﴾[٩١]، وقولـه سـبحانه وتعالى ﴿ **وإِن الظالِمِين لَهم عذَاب أَلِيم**﴾[٩٢]، وقول الحق في الحديث القدسي (**يا عبادي إني حرمت الظلم علـى نفسـي وجعلته بينكم حرماً فلا تظالموا**)[٩٣] أي لا يظلـم بعضـكم بعضاً بأي شكل وبأي صورة كانت، حتى لو كان هذا الظلـم مع ير المسلمين أو مع غير البشر، فالظلم (نقـيض العـدل مرفوض تماماً في المنظور الإسلامي.

كما دعا الإسلام جميع الرعية للعدل والبعد عـن الظلـم، سواء أكانوا حكاماً أم محكومين، ففي حـديث أبـي هريـرة رضي ا عنه عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال" سبعة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظلـه،... ومـنهم إمـام عادل..." [٩٤]، وعن عبد ا عمرو بن العاص رضي ا عنهما أن النبي صلى ا عليه وسلم قال" إن المقسطين عنـد ا على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" [٩٥]، وكذلك قال صلى ا عليه وسـلم" أهـل الجنـة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال" [٩٦]، فحكم العدل

والعادل في الإسلام هو حكم الفوز بالدنيا والآخـرة وجـزاء العدل جزاء عظيم.

فالعدل أساس النظام والحكم والعمل في الإسـلام، ولـم لا؟! فهو من الأسس التي قام عليها إعمار الكـون وصـلاح العباد واستقرار المجتمع وثبات الحكم واستقرار الأمور، لأن العدل أساس الحكم، والعدل في المفهوم الإسلامي واجب على الصديق والعدو، فعندما استشهد عم النبي صـلى ا عليـه وسلم حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحد ومثّلَ المشركون بجثته أقسم النبي صلى ا عليه وسلم أن يمثل بسبعين جثـة منهم، فأنزل ا تعالى" وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولإن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صـبرك إلا با ولا تحزن عليهم ولأنك في ضيق ممـا يمكـرون" (٩٧) وهذا خير مثال للعدل مع الأعداء.

وميزان ا تعالى لا يحيف ولا يزيغ فلا يظلم عرقاً وفئة وطبقة ولا حزبا وأن رب الناس ملك الناس إله النـاس هـو الذي يقرر الحقوق بحكمته وعدالته للناس جميعا، فـاختلاف الألسنة والألوان من آيات ا في البشر، فلا مبرر للاستعلاء

والعصبية، كما أن الإسلام يوجب محاربة البغي والتعسف والطغيان حتى يعود العدل والإحسان.

وعدالة الإسلام إذ تبطل العصبية للعرق وافتئات الطبقات وبغي أية فئة بوجه عام، فإنها لا تقيم تسلطاً جائراً لمعتنقي الإسلام على غيرهم من أتباع سائر الأديان، فإن القرآن الكريم قد خاطب رسول ا نفسه بما هو حجة ماضية إلى يوم الدين، فقال سبحانه (فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر) [٩٨]، وأيضاً (وما أنت عليهم بجبار) [٩٩]، وقوله سبحانه (ما على الرسول إلا البلاغ) [١٠٠]، فالإسلام يقرر حرية الاقتناع والاعتناق ولا يعارض وجود الديانات الأخرى وإنما يدفع العدوان من جانب الأديان الأخرى، وحتى بالنسبة لليهود نجد القرآن لا يعمم حكمه عليهم على عدالة الأفراد، فالعدالة في الإسلام شاملة كاملة [١٠١].

ويذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أن جعده بن هبيرة جاء إلى الإمام على رضي ا عنه فقال: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على ذاك.. فقل علّى.. إن هذا شئ لو كان فعلت ولكن إنما ذا

شئ ٠٠ والعدالة التي أمـر بهـا الإسـلام تعـم العدالـة الاجتماعية وهى التي تنظم التكافل الاجتماعي بين الناس٠٠

العدالة الاقتصادية:

من أهم مبادئ الاقتصاد الإسلامي أن هذا النظام لا يدعو إلى توزيع الثروة على مبدأ المساواة Equal بل يـدعو إلـى توزيع الثروة على مبدأ العدل Equitable والذي يقرأ القرآن الكريم يتضح له وضوح الشمس في وسط النهـار أن هـذا الكون الشاسع لا أثر فيه للتوزيع المتساوي في أية ناحية من نواحيه، والتوزيع المتساوي إنما هو شيء تأباه الفطرة نفسها، ولذلك، فالإسلام لا يقول بوجـوب توزيـع أدوات الإنتـاج والمنتجات على قدم المساواة، بل هو يقول بوجوب التوزيـع على أساس العدل، لتحقيق التوزيع العادل، وهو يضع طائفة من القواعد والالتزامات [١٠٢].

والعدالة الاقتصادية التي تُمكن كل قادر على العمـل أن يعمل وأن يكون تكافؤ الفرص أمر متاح للجميع ولذلك امتنع عمر عن تمليك أرض السواد للفاتحين حتى لا يكون هنـاك الغنى القادر والفقير المحروم٠٠ والإمام (مالـك) يقـرر أن الركاز ـ المعادن والبترول وكل ما يستخرج مـن الأرض

كالذهب وغيره ـ يكون ذلك ملكا للدولة وليس لأحـد مـن الناس... والإنسان المسلم يقول العدل ولـو علـى نفسـه ويقيمه على أحب الناس إليه، ويذكر أن عبد ا بن رواحـه بعثه النبي صلى ا عليه وسلم يحص علـى أهـل خيبـر ثمارهم وزرعهم / أي يحسب نتاج زراعتهم ليأخذ حـق ا في الزكاة / فأراد أهل خيبر أن يرشـوه ليرفـق بهـم / أي ليحسب العشرة خمسة / فقال لهم: وا لقد جئتكم من عنـد أحب الخلق إلى ولأنتم أبغض إلي من أعداءكم مـن القـردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعـدل فيكم.. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض) تفسير ابـن كثير.

قال يحي الغساني: لما ولانى عمر بن عبد العزيز بـلاد الموصل قدمت فوجدتها من أكثر البلاد سرقه ونهبا فكتبـت إلى عمر أعلمه حال البلاد وأسـأله أأخـذ النـاس بالظنـة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة ومـا جـرت عليـه السنة؟ فكتب عمر إلي يحي.. أن آخذ الناس بالبينـة ومـا جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا أصـلحهم ا .. قال يحيي.. ففعلت ذلك.. فما خرجت من الموصل حتـى

كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونهبا) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ...

وخلاصة ما تقدم أن العدل ركن أساسي من أساس قيـام الدولة وبقائها والعدالة الشاملة بجميع أنواعهـا حتـى بـين الأولاد من الأب والأم ولهذا يقول ابن مسعود (أمرنا رسول ا صلى ا عليه وسلم أن نعدل بين أولادنا حتى في الغيل) وعلى الحاكم العام أن يكون عادلا خاصـة عنـدما يختـار معاونيه فلا يؤثر قريبا لقرابته أو لقربه ولا يقدم أحدا لهـوي وأن يختار الولاة (الوزراء والمحافظون) مـن الشخصـيات التي تتسم بالصلاح والتقوى والرفق وسعه الأفق ففي حديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم (من ولى من أمر أمتـي شيئا فّأمر أحدا / أي ولي رجلا/ وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان ا ورسوله والمؤمنين) (١٠٣)، ويقـول الرسـول صلى ا عليه وسلم (المقسطون عند ا على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون فـي الأحكام وأهلهم وما غلوا) (١٠٤)، ويوضح النبي صـلى ا عليه وسلم في حديثه أكثر من ذلك فيقول (من ولـى مـن

أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمـر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)(١٠٥).

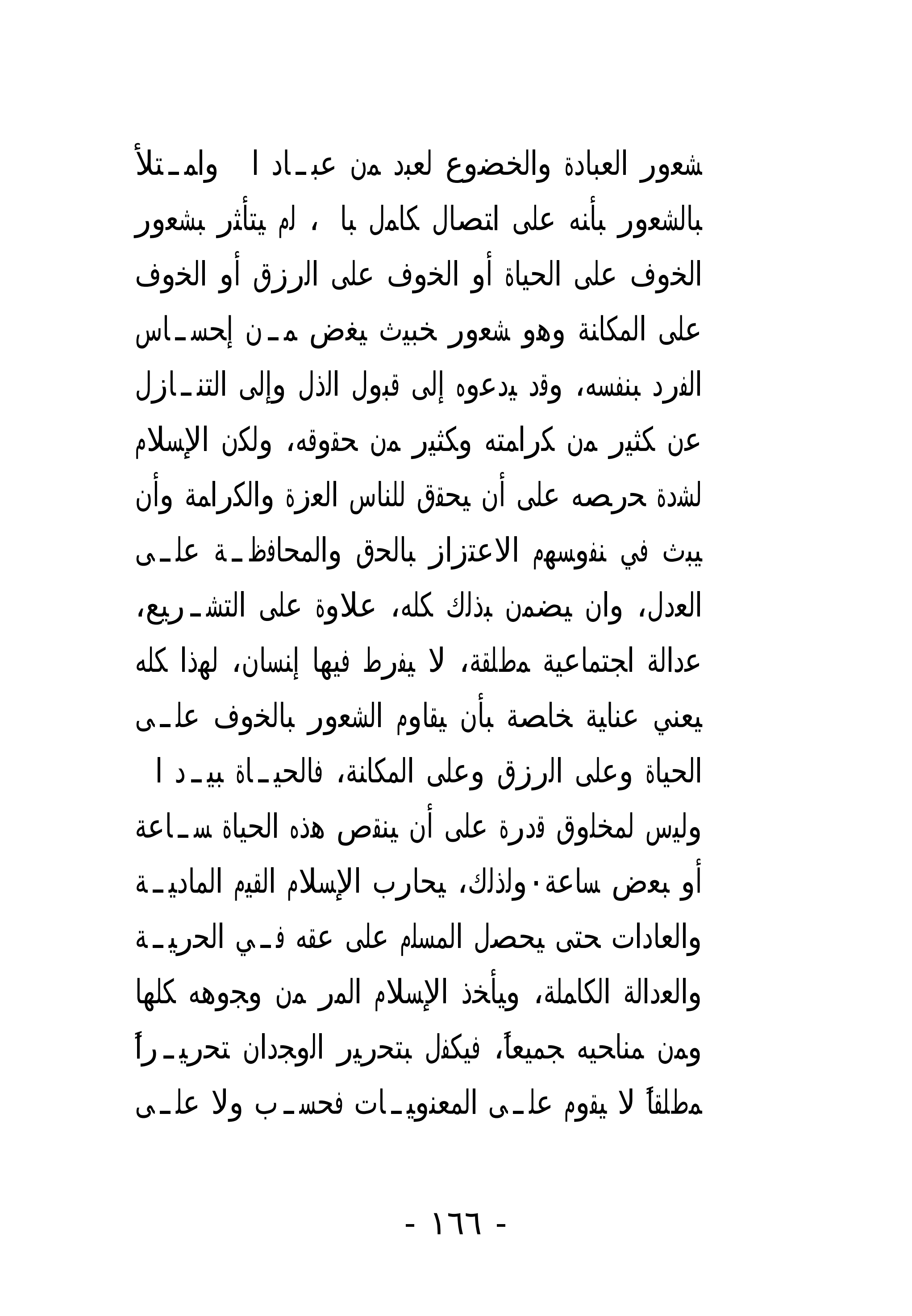
العدالة الاجتماعية:

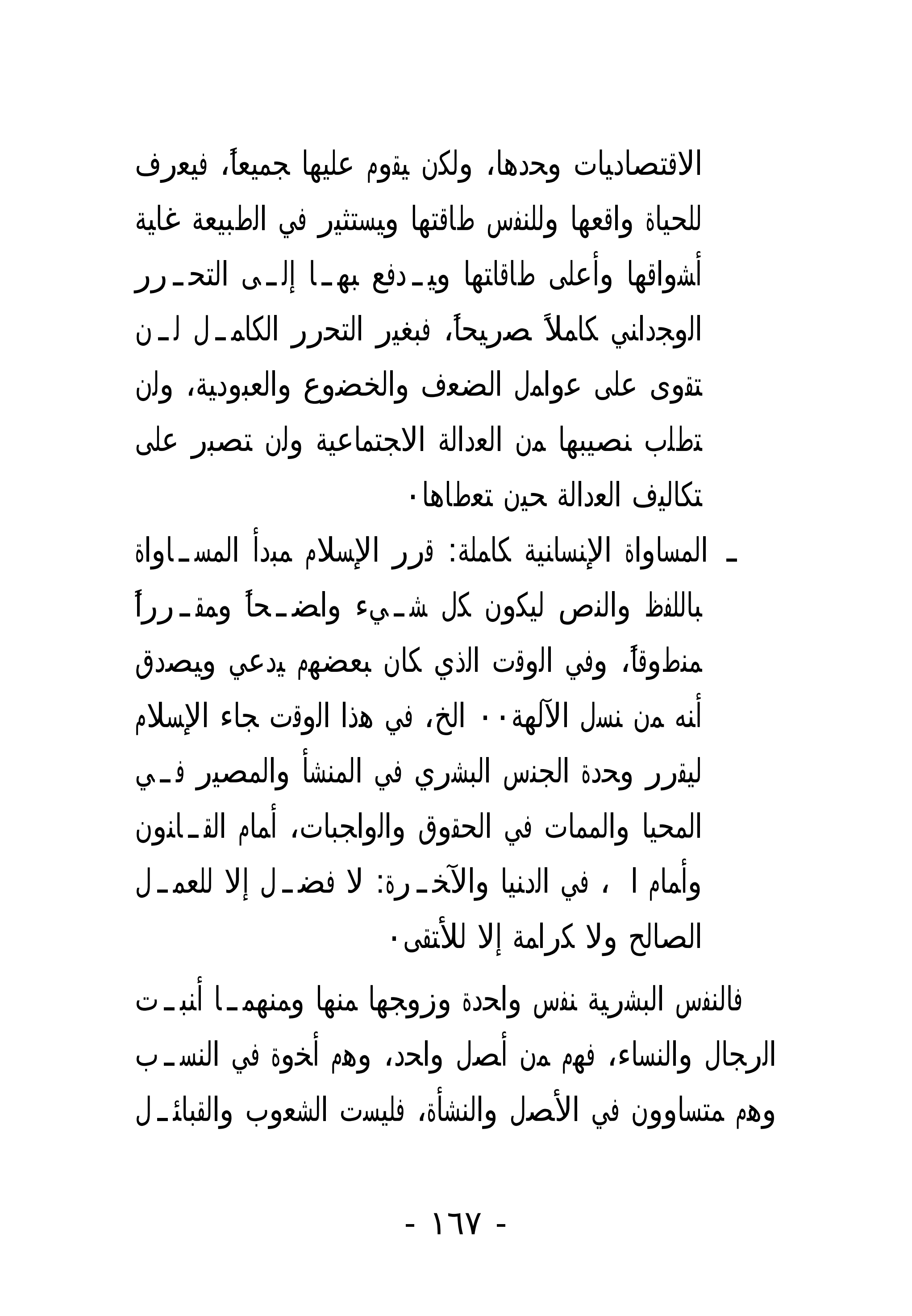
لقد نادى الإسلام بعدالة اجتماعية واسعة المفهوم متعـددة الأوجه لحفظ كرامة المسلم، فالعدالة في الإسلام وقبـل كـل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانـب الحيـاة الإنسـانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانيات والقيم التي تتناولها هذه العدالة: فليست القيم الاقتصادية وحدها وليسـت القـيم المادية على وجه العموم، وإنما هـي ممتزجـة بهـا القـيم المعنوية والروحية، فالخطين الكبيرين اللذان يسـير فيهمـا الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية هي الوحـدة المطلقـة المتعادلة والمتناسقة والتكامل العام بين الأفراد والجماعـات، وإذا كان من الظلم الاجتماعي أن تطغـى مطـامح الفـرد ومطامعه على الجماعة فإنه من الظلـم كـذلك أن تطغـى الجماعة على فطرة الفرد وطاقته، فلا ينبغي أن يغفل حـق الفرد في انطلاق نشاطه في الحدود التـي لا تضـار بهـا

الجماعة ولا يضار بها هذا الفرد ذاته، ولا تصطدم بأهـداف الحياة أيضاً، فالحياة تعاون وتكامل فـي نظـر الإسـلام: لا حرب ولا تنازع وخصام، كما أنها انطلاق للطاقات الفرديـة والعامة وليست كبتاً وحرماناً وسجناً وكل ما ليس حراماً فهو مباح٠(١٠٦)

ولذلك تمثلت أسس العدالة الاجتماعية في الإسـلام في ثلاثة أسس هي:

- التحرير الوجداني البشري المطلق: والتحرر الوجداني يكون بالإيمان، الذي حرر الوجدان البشري تحريـراً مطلقاً وكاملاً بعدما كفل في الوقت ذاته حاجات الجسد وضرورات الحياة بحكم الأوضاع وبحكـم الضـمير وبحكم القانون سواء، ولقـد بـدأ الإسـلام بتحريـر الوجدان البشري من عبـادة أحـد غيـر ا ومـن الخضوع لأحد غير ا ، فما لأحد عليه غير ا مـن سلطان، وما من أحد يميته أو يحييه فـي الأرض ولا في السماء، وليس بينه وبين ا وسيط ولا شفيع، وا وحده هو الذي يستطيع والكل سواه عبيد لا يملكـون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً٠ فإذا تحرر الوجـدان مـن

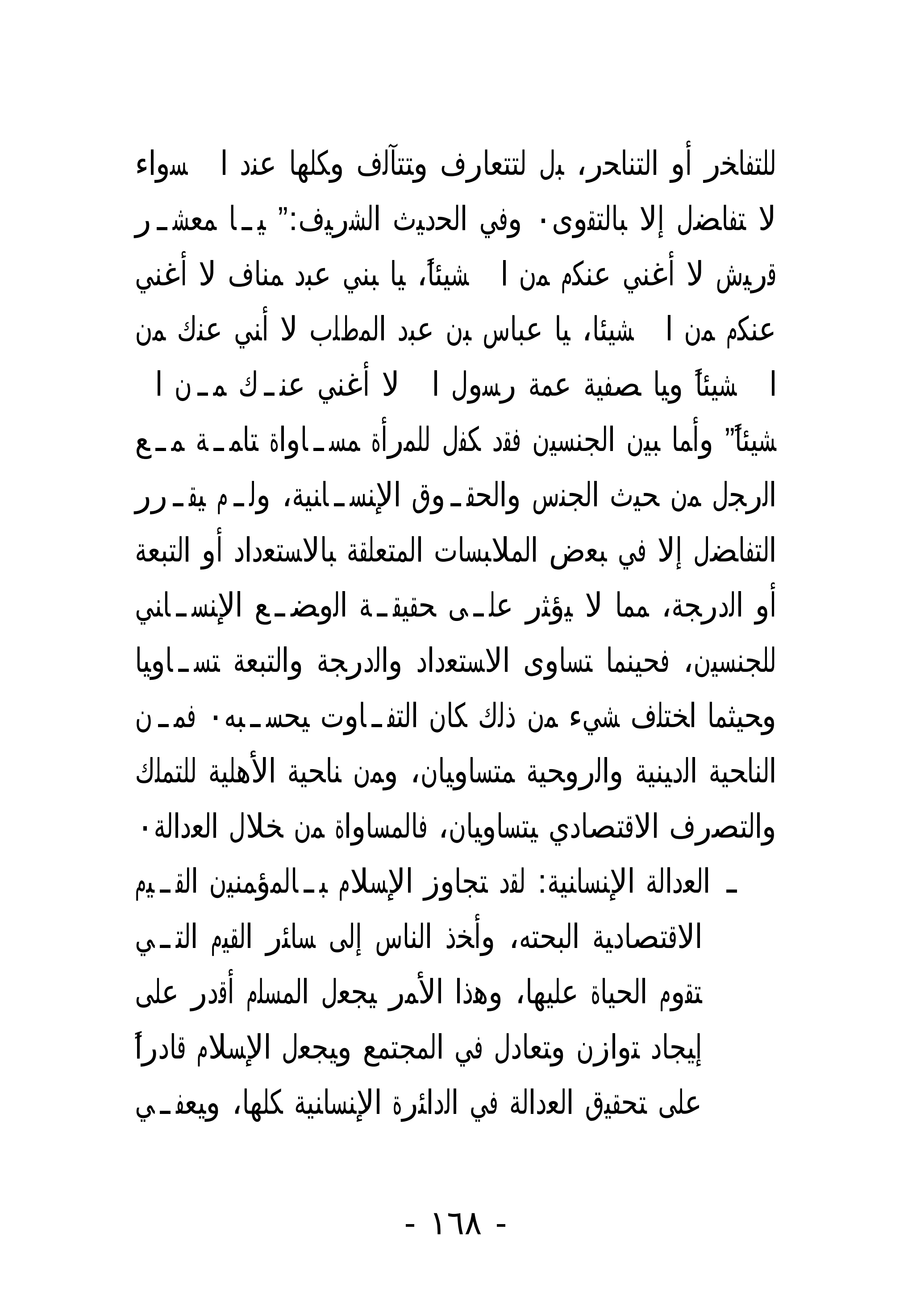

شعور العبادة والخضوع لعبد من عبـاد ا وامـتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل با ، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق أو الخوف على المكانة وهو شعور خبيث يغض مـن إحسـاس الفرد بنفسه، وقد يدعوه إلى قبول الذل وإلى التنـازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه، ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يحقق للناس العزة والكرامة وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظـة علـى العدل، وان يضمن بذلك كله، علاوة على التشـريع، عدالة اجتماعية مطلقة، لا يفرط فيها إنسان، لهذا كله يعني عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف علـى الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة، فالحيـاة بيـد ا وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة سـاعة أو بعض ساعة. ولذلك، يحارب الإسلام القيم الماديـة والعادات حتى يحصل المسلم على عقه فـي الحريـة والعدالة الكاملة، ويأخذ الإسلام المر من وجوهه كلها ومن مناحيه جميعاً، فيكفل بتحرير الوجدان تحريـراً مطلقاً لا يقوم علـى المعنويـات فحسـب ولا علـى



الاقتصاديات وحدها، ولكن يقوم عليها جميعاً، فيعرف للحياة واقعها وللنفس طاقتها ويستثير في الطبيعة غاية أشواقها وأعلى طاقاتها ويدفع بها إلى التحرر الوجداني كاملاً صريحاً، فبغير التحرر الكامل لن تقوى على عوامل الضعف والخضوع والعبودية، ولن تطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ولن تصبر على تكاليف العدالة حين تعطاها.

- المساواة الإنسانية كاملة: قرر الإسلام مبدأ المساواة باللفظ والنص ليكون كل شيء واضحاً ومقرراً منطوقاً، وفي الوقت الذي كان بعضهم يدعي ويصدق أنه من نسل الآلهة.. الخ، في هذا الوقت جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير في المحيا والممات في الحقوق والواجبات، أمام القانون وأمام ا ، في الدنيا والآخرة: لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلا للأتقى.

فالنفس البشرية نفس واحدة وزوجها منها ومنهما أنبت الرجال والنساء، فهم من أصل واحد، وهم أخوة في النسب وهم متساوون في الأصل والنشأة، فليست الشعوب والقبائل


للتفاخر أو التناحر، بل لتتعارف وتتآلف وكلها عند ا سواء لا تفاضل إلا بالتقوى. وفي الحديث الشريف:" يـا معشـر قريش لا أغني عنكم من ا شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من ا شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أني عنك من ا شيئاً ويا صفية عمة رسول ا لا أغني عنـك مـن ا شيئاً" وأما بين الجنسين فقد كفل للمرأة مسـاواة تامـة مـع الرجل من حيث الجنس والحقـوق الإنسـانية، ولـم يقـرر التفاضل إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد أو التبعة أو الدرجة، مما لا يؤثر علـى حقيقـة الوضـع الإنسـاني للجنسين، فحينما تساوى الاستعداد والدرجة والتبعة تسـاويا وحيثما اختلف شيء من ذلك كان التفـاوت بحسـبه. فمـن الناحية الدينية والروحية متساويان، ومن ناحية الأهلية للتملك والتصرف الاقتصادي يتساويان، فالمساواة من خلال العدالة.

- العدالة الإنسانية: لقد تجاوز الإسلام بـالمؤمنين القـيم الاقتصادية البحته، وأخذ الناس إلى سائر القيم التـي تقوم الحياة عليها، وهذا الأمر يجعل المسلم أقدر على إيجاد توازن وتعادل في المجتمع ويجعل الإسلام قادراً على تحقيق العدالة في الدائرة الإنسانية كلها، ويعنـي

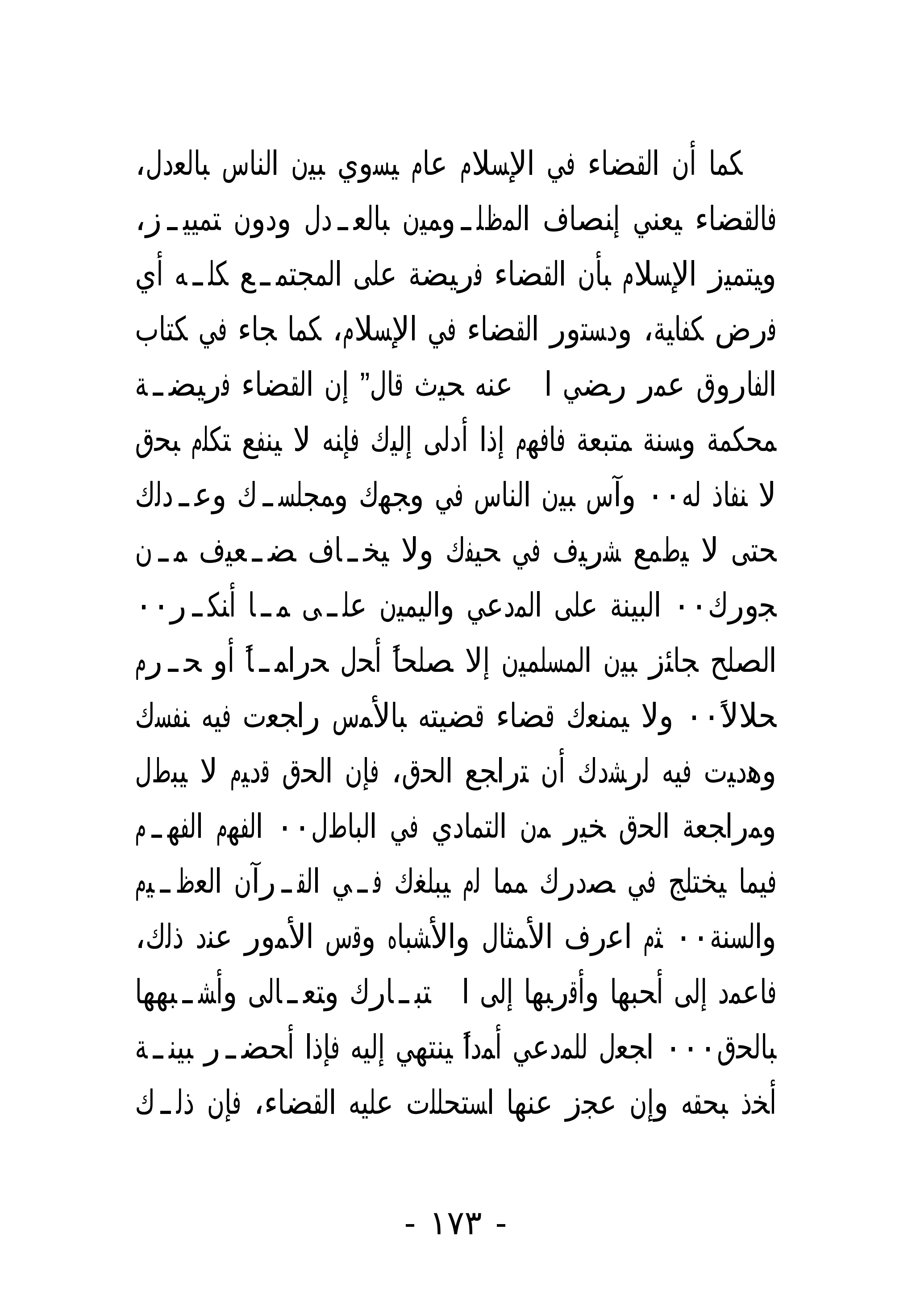
الإنسان من التفسير الضيق للعدالة كما تفهمها الشيوعية مثلاً، فالعدالة في نظر الإسلام مساواة إنسانية ينظر منها إلى تعادل جميع القيم بما فيها القيم الاقتصادية البحتة، وهي على وجه الدقة تكافؤ الفرص وترك المواهب بعد ذلك تعمل في الحدود التي لا تتعارض مع الأهداف العليا للحياة، ولذلك، فلقد قرر الإسلام مبدأ تكافؤ الفرص ومبدأ العدالة بين الجميع، ثم ترك الباب مفتوحاً للتفاضل بالجهد والعمل، ثم جعل القيم الأصيلة في المجتمع المسلم قيماً أخرى غير القيم الاقتصادية كما قال المولى الكريم (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١٠٧)٠ ويقول المولى عز وجل (يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات)(١٠٨)، وقال سبحانه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا)(١٠٩)٠ وهناك قيماً أخرى غير القيم الاقتصادية البحتة يحسب الإسلام حسابها ويجعلها هي القيم الحقيقية للمجتمع ويجعل منها وسيلة للتعادل في المجتمع، حين تتفاوت الأرزاق المالية بين الناس

بأسباب التفاوت المعقولة والقائمة على الجهد والموهبة لا على الوسائل المنكرة التي يحرمها الإسلام تحريما، ولذلك لا يفرض الإسلام المساواة الحرفية في المال لأن تحصيل المال تابع لاستعدادات غير متساوية، فالعدل المطلق يقتضي أن تتفاوت الأرزاق وأن نفضل بعض الناس على بعض فيها مع تحقيق العدالة الإنسانية بإتاحة الفرص المتساوية للجميع، فلا يقف أمام فرد حسب ولا نشأة ولا أصل ولا جنس ولا قيد واحد من القيود التي تغل الجهود(١١٠).

لهذا، نرى أن العدالة يوم أن سادت دنيا الناس هدأت النفوس، وأمن كل شخص على حقه، فلا ظُلم لأحد على أحد واختفت الرشوة من دنيا الناس، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الذي يسعى بين الطرفين، فالعدالة في الإسلام مطلقة، وبتحقيقها يسود بين الناس الأمن والراحة والمساواة، فالكل في ظلالها آمن على حقه، ويعمل باجتهاد وجد وصبر ومصابرة، لا يخاف أحد ظلم الآخر، ولا يخاف من اعتداء شخص عليه.

ونجد أن دولة الإسلام تلتزم بتحقيق العدالة بأوسع معانيها وفي شـتى المجـالات السياسـية والإداريـة والقضـائية والاجتماعية والدوليـة، ويتضـمن ذلـك حمايـة الحقـوق والحريات العامة والمساواة وممارسة الحكم على الشـورى بمعانيها السياسية والفنية. ففي المجال الاقتصادي تسـتهدف الدولة الإسلامية في سياستها الاقتصـادية تحقيـق عمـارة الأرض وتحقيق سبل العيش الكريم لرعاياها مع تحقيق تكافؤ الفرص والعدالة في توزيـع ثـروات الدولـة وخـدماتها، استرشاداً بقوله تعالى" كيلا يكـون دولـة بـين الأغنيـاء منكم"[١١١]، فالملكية الشرعية مقررة ومصونة في الإسـلام، ونجد عدالة الإسلام شاملة وتحكم تعاملها مع المسلمين وغير المسلمين في داخل الدولة وخارجها وفي العالم كله" لا ينهاكم ا عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا لـيهم إن ا يحـب المقسـطين"[١١٢]، فالإسلام لم يستعمل القوة ضد الديان المخالفة للإسلام وإنمـا استعمل القوة ضد العدوان ولـو صـدرت مـن المسـلمين أنفسهم.

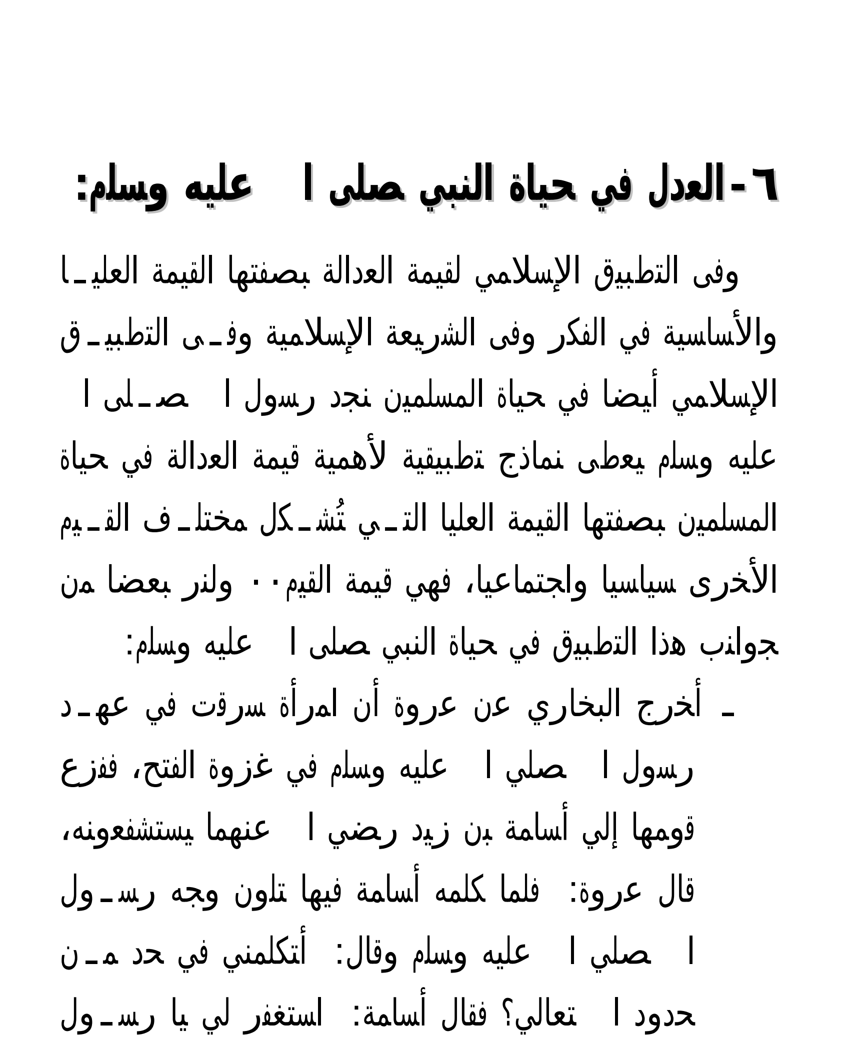
والبعد عن الظلم من أسباب إقامة العدل في الإسلام، فقال تعالى محذراً من الظلم" ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع"[(١١٣)]، وقال سبحانه" وما للظالمين من نصير"[(١١٤)]، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" **اتقوا الظلم فغن الظلم ظلمات يوم القيامة٠٠**" [(١١٥)]، ويحذرنا الرسول الكريم من عاقبة الظلم حين يقول في حديث عن عائشة رضي الله عنها" من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين"[(١١٦)]، ويعني أن من ظلم قدر شبر كلفه الله نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، وهي عاقبة فظيعة للظالم، كما أن الله يعاقب الظالم دنيويا وأخرويا بظلمه، قال الرسول الكريم" **إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿ وكَذَلِكَ أَخْذُ ربك إِذَا أَخَذَ الْقُرى وهِي ظَالِمةٌ إِن أَخْذَه أَلِيم شَدِيد ﴾** آية ١٠٢ سورة هود"[(١١٧)]٠ وقال صلوات الله وسلامه عليه" من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضة أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه"[(١١٨)]



كما أن القضاء في الإسلام عام يسوي بين الناس بالعدل، فالقضاء يعني إنصاف المظلـومين بالعـدل ودون تمييـز، ويتميز الإسلام بأن القضاء فريضة على المجتمـع كلـه أي فرض كفاية، ودستور القضاء في الإسلام، كما جاء في كتاب الفاروق عمر رضي ا عنه حيث قال" إن القضاء فريضـة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.. وآس بين الناس في وجهك ومجلسـك وعـدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخـاف ضـعيف مـن جورك.. البينة على المدعي واليمين علـى مـا أنكـر.. الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حرامـاً أو حـرم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، فإن الحق قديم لا يبطل ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.. الفهم الفهـم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك فـي القـرآن العظـيم والسنة.. ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها وأقربها إلى ا تبـارك وتعـالى وأشـبهها بالحق... اجعل للمدعي أمداً ينتهي إليه فإذا أحضـر بينـة أخذ بحقه وإن عجز عنها استحللت عليه القضاء، فإن ذلـك

أبلغ في العذر وأجل للعمى.. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً في قذف أو ظنيناً فـي ولاء أو قرابـة أو مجرباً عليه شهادة زور، فإن ا تعالى تولى منكم السـرائر ودرأ عنكم بالبيات.. إياك والغضـب والقلـق والضـجر والتأذي بالناس..." ولقد سن عمر مبدأ استقلال القضاء عن كل سلطان حتى سلطان الإمام، ففي سنوات حكمه سأل رجلاً له قضية: ما صنعت؟، فقال الرجل: قضي على بكذا، قـال عمر: لو كنت أنا لقضيت بغير ذلك، فقال صاحب القضـية: فما يمنعك والأمر إليك؟، فقال عمر: لو كنت أردك إلى كتاب ا أو إلى سنة نبيه صلى ا عليه وسلم، لفعلت ولكني أردك إلى رأيي والرأي مشترك.

ولذلك فمن الآداب المطلوبة للقاضي ألا يشتري بنفسه ولا بوكيل معلوم حتى لا يسامح في البيع، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقول: تجارة الولاة مفسدة وللرعية مهلكة، فكان يني القضاة بسعة الرزق عن التكسب والاتجار[١١٩].



٦-العدل في حياة النبي صلى ا عليه وسلم:

وفى التطبيق الإسلامي لقيمة العدالة بصفتها القيمة العليـا والأساسية في الفكر وفى الشريعة الإسلامية وفـى التطبيـق الإسلامي أيضا في حياة المسلمين نجد رسول ا صـلى ا عليه وسلم يعطى نماذج تطبيقية لأهمية قيمة العدالة في حياة المسلمين بصفتها القيمة العليا التـي تُشـكل مختلـف القـيم الأخرى سياسيا واجتماعيا، فهي قيمة القيم٠٠ ولنر بعضا من جوانب هذا التطبيق في حياة النبي صلى ا عليه وسلم:

ـ أخرج البخاري عن عروة أن امرأة سرقت في عهـد رسول ا صلي ا عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلي أسامة بن زيد رضي ا عنهما يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسـول ا صلي ا عليه وسلم وقال: أتكلمني في حد مـن حدود ا تعالي؟ فقال أسامة: استغفر لي يا رسـول ا ، فلما كان العشي قام رسول ا صـلي ا عليـه وسلم خطيباً فأثني علي ا بما هو أهله ثم قال:"٠٠أما بعد ! فإنما هلك الناس أنهم كـانوا إذا سـرق فـيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليـه

الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"٠

ثم أمر رسول ا صلي ا عليه وسـلم بتلـك المـرأة فقطعت يدها، فَحسنت توبتها بعد ذلـك وتزوجـت، وقالـت عائشة أم المؤمنين رضي ا عنها" كانت تأتي بعـد ذلـك فأرفع حاجتها إلي رسول ا (١٢٠)٠

- ووصى رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال" من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه، ومن كانت له حرمة في دمه فله من مثله والعدل عليه مثلها، فـإنهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد فـي سعة، ولكنهم أحرار أهل الذمة" وكان آخر ما تكلم فيه النبي صلى ا عليه وسلم" احفظـوني فـي ذمتـي" (١٢١).

- كما روي عنه" من آذى ذميا أو معاهداً فأنا خصـمه يوم القيامة" وقد ذكر الفقهاء أهل الذمة إذا تشـاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولـم يكفوا عنه، وإذا تنازعوا في حق وترافعوا فيـه إلـى حاكمهم لم يمنعوا منه، فإذا ترافعوا فيه إلى حاكمنـا

حكم بينهم بما يوجبه دين الإسلام، وتقام عليهم الحدود إذا آتوها، ومن نقض منهم عهده أبلغ مأمن ثم كـان حربياً، ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأموالهم٠(١٢٢)٠

ـ وطالبنا الرسول صلى ا عليه وسلم بأن ننشر العدالة على أوسع نطاق، فطلب من الحـاكم أو القاضـي أن يسمع الدعوى من الخصوم وأن يسمع من الطـرفين لقوله صلى ا عليه وسلم في وصيته للإمام على بن أبي طالب (يا على إذا جلس إليـك الخصـمان فـلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت مـن الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء)(١٢٣)٠

ـ وقال الأشعث بن قيس" كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال (شـاهداك أو يمينـه) فقلـت إنـه يحلـف ولا يبالي،فقال:من حلف على يمينه يقتطع بها مال إمريء مسلم لقي ربه وهو عليه غضبان"(١٣٤)

ـ وفي غزوة حنين، قال أبي قتـادة رضـي ا عنـه" خرجنا مع رسول ا صلي ا عليه وسلم عام حنين،

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجـلاً مـن المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضـربته مـن ورائه علي جبل عاتقة بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني فلحقت عمر رضي ا عنه فقلـت: ما بال الناس؟ فقال: أمر ا ، ورجعوا وجلس رسول ا صلي ا عليه وسلم فقال: من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست: فقال رسول ا صلي ا عليه وسلم مثله، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست فقال رسول ا مثله، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال رسول ا صلي ا عليه وسلم مثله، فقمت، فقال:مالك يا أبا قتادة؟ فأخبرتـه، فقال رجل: صدق، سلبه عندي فأرضه مني، فقال أبو بكر رضي ا عنه: لا ها ا إذا لا يعمد إلي أسـد من أسود ا يقاتل عن ا ورسوله فيعطيـك سـلبه، فقال النبي صلي ا عليـه وسـلم:صـدق فأعطـه، فأعطانيه فأتبعت به مخرقاً(أي حائطاً من نخل) فـي

بني سلمة،فإنه لأول مال تأثلتـه (أي جمعتـه) فـي الإسلام [١٣٥].

ـ وعن عبد ا بن أبي حدرد الأسلمي رضي ا عنـه أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم، فاستعدي عليـه، فقال: يا محمد إن لي علي هذا أربعة دراهـم وقـد غلبني عليها، قال: أعطه حقه، قـال: والـذي بعثـك بالحق ما أقدر عليها، قال: أعطه حقه، قال: والـذي نفسي بيده ما أقدر عليها قد أخبرته أنك تبعثنـا إلـي خيبر فأرجو أن تغنمنا شيئاً فأرجع فأقضـيه، قـال: أعطه حقه (وكان رسول ا إذا قال ثلاث لم يراجع) فخرج ابن أبي حدرد إلي السوق وعلي رأسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع العمامة عن رأسه فأتزر بهـا ونزع البردة فقال: أشتر مني هـذه البـردة، فباعهـا بأربعة دراهم، فمرت عجوز فقال: مالك يا صـاحب رسول ا ؟ فأخبرها، فقالت: هادونـك هـذا البـرد (لبرد عليها طرحته عليه)[١٣٦].

ـ وعن أم سلمة رضى ا عنها قالت: جاء رجلان مـن الأنصار يختصمان إلى رسول ا صـلى ا عليـه

وسلم في مواريث قد درست ليس لهما بينـه، فقـال النبي صلى ا عليه وسلم" إنكم تختصمون إلي وإنما أقضي برأيي فيما لم ينزل على فيه، فمن قضيت لـه فيه بحجته يقتطع بها شيئا من حق أخيه فـلا يأخـذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى يوم القيامة انتظاما في عنقه" فبكى الرجلان وقال كل واحد منهمـا: يـا رسول ا حقي له، فقال النبي:" أما إذا فعلتما فأذهبـا وتوخيا الحق وأقتسما واستهما، وليحال كـل واحـد منكما صاحبه"[(١٣٧)].

- وعن أبى سعيد رضى ا عنه قال: جاء إعرابي إلـى النبي صلى ا عليه وسلم يتقاضاه دينا كـان عليـه، فاشتد عليه حتى قال: أحـرج عليـك إلا قضـيتني، فانتهره أصحابه فقالوا: ويحك: تدرى من تكلم؟، فقال: إني أطلب حقي، فقال النبي صلى ا عليه وسلم: هلا مع صاحب الحق كنتم؟، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: إن عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينـا تمـر فنقضيك، فقالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسـول ا ، فاقترضه، فقضى الأعرابي وأطعمه، فقـال: أوفيـت

أوفى ا   لك، فقال: أولئك خيار الناس أنه لا قدسـت أمه لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع" أي مـن غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه"[(١٣٨)].

ـ وعن خوله بنت قيس امرأة حمزة بن عبـد المطلـب رضى ا   عنهما قالت: كان على رسول ا   صلى ا   عليه وسلم وسق من تمر لرجل من بنى ساعدة، فأتاه يقتضيه فأمر رسـول ا   رجـلا مـن الأنصـار أن يقضيه، فقضاه تمرا دون تمره، فأبى أن يقبله، فقـال: أترد على رسول ا   صلى ا   عليه وسلم؟ قال: نعـم ومن أحق بالعدل من رسول ا   صلى ا   عليه وسلم، فاكتحلت عينا رسول ا   صلى ا   عليه وسلم بدموعه ثم قال: صدق، ومن أحق بالعدل منى، لا قـدس ا   أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعتعه، ثـم قال: يا خوله: عديه وأقضيه، فانه ليس مـن غـريم يخرج من عند غريمه راضيا إلا صلت عليـه دواب الأرض ونون البحار وليس من عبد يلـوى غريمـه وهو يجد إلا كتبت عليه فى كل يوم وليلة أثما"[(١٣٩)].

- ولقد قررت أول وثيقة سياسية في الإسلام والتـي تـم إعلانها عقب هجرة الرسول صلى ا عليه وسلم إلى يثرب، وإنشاء أول دولة إسلامية بها، وهـي وثيقـة تسمى وثيقة المدينة والتي كتبها النبي محمد صلى ا عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهـل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، وجاء بهذه الوثيقة مبدأ عدم جواز إقرار الظلم وقاعـدة العـدل بأوسع معانيها الواجب إرساؤها بين المؤمنين وبيـنهم وبين اليهود من ساكني المدينة، فنصـت المـادة ١٣ على" أن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغـى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (أي طلب دفعاً على سـبيل الظلم) أو إثماً أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً" كذلك نصـت المـواد ١٥، و١٦، ٣٦، ٤٧ على إقامة العدل بين الناس، وهذه الوثيقـة تعلى من شأن العدالة في المجتمع السياسي الإسلامي من خلال التطبيق الفعلي لقيمة العدالة [(١٤٠)].

٧ ـ نماذج من تطبيق قيمة العدالة

فى حياة الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان ا عليهم

وكان الخلفاء الراشدين والصحابة يسعون إلـى تطبيـق العدالة فى كل مناحي الحياة باعتبار أن العدالة هي قيمة القيم وهى القيمة العليا فى المجتمع الاسلامى وفى الفكر الاسلامى ولذا، سنتعرض لنماذج من التطبيق الاسلامى للعدالة فى عهد الخلافة الراشدة التي وضحت العدالة تطبيقياً كأزهى ما تكون وفى حياة الصحابة رضوان ا عليهم.

١- نماذج من عدل أبى بكر الصديق رضى ا عنه خليفة رسول ا :

ـ أبوبكر الصديق رضي ا عنه وخليفة رسول ا يقول في أول خطبة له بعد توليه الخلافة (الضعيف فـيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضـعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء ا)

ـ وعن عبد ا بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق – رضى ا عنهم – قام يوم الجمعة فقـال: إذا كـان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا

أحد إلا بإذن. فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطـام، لعل ا يرزقنا جملا. فأتى الرجل فوجد أبـا بكـر وعمر - رضى ا عنهما - قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه. فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام، وقال: استقد. فقـال لـه عمر: وا لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكـر: فمن لي من ا يوم القيامة؟ فقال عمر: أرضه ؛ فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلـة ورحلهـا وقطيفـة، وخمسة دنانير فأرضاه بها.[(١٤١)]

- وعندما ولى أبو بكر عمر وأوصى بخلافته قال" إنـي استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن فارق وبدل فلا علـم لـي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب"[(١٤٢)].

٢- نماذج من عدل أمير المؤمنين الفـاروق عمـر رضى ا عنه:

يقول عمر بن الخطاب في وصيته لعبد ا بن قيس عندما ولاه القضاء" المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلود في حد أو مجربا عليه شهادة زور".

وقال عمر أيضاً: (فأيما رجل كانت لـه حاجـة أو ظلـم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذني فإنما أنا رجل مـنكم) الطبري ٢١٥/٤، ويقول أيضاً (وإني لأرجو ن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء ا وألا يبقـى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أن آتاه حقه ونصـيبه من مال ا ، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصـب إليـه يومـا) الطبري ٢١٦٠/٤ كما كتب عمر إلى أحد عماله (وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخـاء، والعدل وإن رئي لينا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطـل من الجور) الطبري ٥٨٥٠/٣

ـ ولعمر باع طويل في العدل الاجتماعي، حتـى بـين المسلم وغير المسلم، لأن الجميع يتمتعون بـالحقوق ومنها رعاية الدولة الاجتماعية، فلقد لقي عمر يهودياً

يسأل، فأرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هـذا فو ا ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثـم نخذلـه عنـد الهرم، فالفقراء في الأمة هم المسلمون، وهـذا مـن المساكين عند أهل الكتاب.

ـ وثبت أن عمر بن الخطاب رفعت إليه قضـية فشـهد رجل فقال له عمر: لسـت أعرفـك ولا يضـرك ألا أعرفك، ثم قال لصاحب القضية: ائت بمن يعرفـك، فقال رجل من الجالسين: أنا أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عمر: بأي شيء تعرفه؟، قال: بالعدالة والفضل، قال: هو جارك الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجـه في ليله ونهاره؟، قال: لا، قال عمر:فعاملته بالـدينار والدرهم الذين يستدل بهما على الورع؟ قال: لا، قال عمر: فرافقك في السفر الذي يستدل به على مكـارم الأخلاق؟ قال:لا، قال عمر:لست تعرفه).

ـ عن الشعبي قال: كان بين عمر وبين أبى بن كعب ـ رضى ا عنهما – خصومة. فقال عمر: اجعل بينى وبينك رجلا، فجعلا بينهما زيد بن ثابت رضـى ا عنه. فأتياه، فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا، وفى بيته

يؤتى الحكم. فلما دخل علبيه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال: ها هنا أمير المؤمنين ! فقال له عمـر: هذا أول جور جرت فى حكمك ولكـن أجلـس مـع خصمي، فجلسا بين يديه. فادعى أُبى وأنكـر عمـر فقال زيد لأبى: اعف أمير المؤمنين من اليمين ومـا كنت لأسألها لأحد غيره. فحلف عمر ثـم أقسـم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء (١٤٣).

- وعن زيد بن أسلم قال: كان للعباس بن عبد المطلـب - رضي ا عنهما - دار جنب مسجد المدينة. فقال له عمر رضي ا عنه: بعنيها، فأراد عمر أن يزيدها في المسجد، فأبي العباس أن يبيعها إياه. فقال عمـر: فهبها لي، فأبي عليه. فقال: خذ بيني وبينك رجـلاً، فأخذ أُبي بن كعب رضي ا عنه، فاختصـما إليـه. فقال أُبي لعمر: ما أري أن تخرجه مـن داره حتـى تُرضيه. فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب ا وجدته أم سنة من رسول ا صلي ا عليه وسلم؟ فقال أُبي: بل سنة من رسـول ا صـلي ا عليـه

وسلم. فقال عمر: وما ذاك؟ فقـال: إنـي سـمعت رسول ا صلي ا عليه وسلم يقول: إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام - لما بني بيت المقـدس جعل كلّما بني حائطاً أصبح منهدماً، فأوحي ا إليـه أن لا تبني في حق رجل حتى تُرضيه. فتركه عمـر فوسعها العباس رضي ا عنهمـا بعـد ذلـك فـي المسجد(١٤٤).

ـ وعن سعيد بن المسيب قال: أراد عمر رضي ا عنه أن يأخذ دار العباس بن عبد المطلب رضي ا عنـه فيزيدها في المسجد، فأبي العباس أن يعطيهـا إيـاه. فقال عمر: لآخذنها، قال: فاجعل بيني وبينك أُبي بـن كعب رضي ا عنه. قال: نعم. فأتيا أبياً، فذكرا له. فقال أبي: أوحي ا إلي سـليمان بـن داود عليهمـا الصلاة والسلام أن يبني بيت المقدس، وكانت أرضـاً لرجل فاشتري منه الأرض، فلما أعطاه الثمن قـال: الذي أعطيتني خير أم الذي أخذت منى؟ قـال: بـل الذي أخذت منك. قال: فإني لا أجيز. ثم اشـتراها منه بشيء أكثر من ذلك، فصنع الرجـل مثـل ذلـك

مرتين أو ثلاثاً، فاشترط عليه سليمان عليـه الصـلاة والسلام إني ابتاعها منك علي حكمك فلا تسألني أيهما خير. قال: فاشتراها منه بحكمه، فاحتكم اثني عشـر ألف قنطار ذهباً. فتعاظم ذلك سليمان عليه الصـلاة والسلام أن يعطيه. فأوحي ا إليه إن كنت تعطيـه من شئ هو لك فأنت أعلم، وإن كنت تعطيه من رزقنا فأعطه حتى يرضي، ففعل. قال: وأنا أري أن عباساً رضي ا عنه أحق بداره حتى يرضي. قال العباس: فإذا قضيت لي فإني أجعلها صدقة للمسلمين(١٤٥).

ـ وعن ابن عمر رضي ا عنهما قال: شرب أخي عبد الرحمن، وشرب أبو سروعة عتبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر رضي ا عنه، فسكرا. فلمـا أصبحا انطلقا إلي عمرو بن العاص رضي ا عنـه وهو أمير مصر فقالا: طهرنا، فإنا قد سـكرنا مـن شراب شربناه. قال عبد ا : فذكر لي أخي أنه سكر فقلت: ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما قـد أتيـا عمروا. فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأميـر بـذلك. فقلت لا تحلق اليوم علي رؤوس الناس، ادخل الـدار

أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخلا الدار.

قال عبد ا : فحلقت أخي بيدي ثم جلـدهم عمـرو، فسمع بذلك عمر فكتـب إلـي عمـرو رضـي ا عنهما:أن ابعث إلي بعبد الرحمن علي قتـب، ففعـل ذلك. فلما قدم علي عمر رضي ا عنه جلده وعاقبه لمكانه منه. ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصـابه قدره فمات، فيحسب عامة الناس إنما مات مـن جلـد عمر، ولم يمت من جلد عمر(١٤٦).

ـ وعن الحسن قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي ا عنه إلي امرأة مغيبة كان يدخل عليها فـأنكر ذلـك، فأرسل إليها فقيل لها: أجيبي عمر، فقال: يا ويلها! ما لها ولعمر. فبينما هي في الطريق فزعت فضـربها الطلق، فدخلت داراً، فألقت ولدها: فصـاح الصـبي صيحتين ثم مات: فاستشار عمر أصحاب النبي صلي ا عليه وسلم فأشار عليه بعضهم أن لـيس عليـك شئ، إنما أنت دال ومؤدب، وصمت علي رضـي ا عنه، فأقبل علي علي فقال: ما تقول؟ قال: إن كـانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كـانوا قـالوا فـي

هواك فلم ينصحوا لك، أري أن ديتـه عليـك فإنـك أفزعتها، وألقت ولدها في سببك، فأمر علياً رضي ا عنه أن يقسم عقله (أي ديته) علي قريش يعني يأخـذ عقله من قريش لأنه أخطأ(١٤٧).

ـ وعن عطاء قال: كان عمر بن الخطـاب رضـي ا عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم. فـإذا اجتمعـوا قال:"أيها الناس ! إني لم أبعث عمالي ليصـيبوا مـن ابشاركم، ولا من أموالكم ؛ إنما بعثتم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فلـيقم". فما قام أحد إلا رجل، قال فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. قال: فيم ضـربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص رضي ا عنه فقال: يا أمير المؤمنين ! إنك إن فعلت هـذا يكثـر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنـا لا أقيد وقد رأيت رسول ا صلي ا عليه وسلم يقص من نفسه. قال: فدعنا لنُرضيه. قال: دونكم فأرضوه، فافتدي منه بمأتي دينار كل سوط بدينارين(١٤٨).

ـ وعن أنس رضي ا عليه أن رجلاً من أهل مصر أتي عمر بن الخطاب رضي ا عنه فقـال: يـا أميـر المؤمنين ! عائذ بك من الظلم ! قال: عـذت معـاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسـبقته، فجعـل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكـرمين. فكتـب عمر إلي عمرو رضي ا عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه. فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضـربه بالسـوط ويقـول عمـر: أضرب ابن الأمين. قال أنس: فضرب وا ! لقـد ضربه ونحن نحب ضربه ؛ فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصري: ضع علـي صـلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين ! إنمـا ابنـه الـذي ضربني وقد استقدت منه. فقال عمر لعمرو: مذ كـم تعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني(١٤٩).

ـ وعن يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي ا عنه أن عامله علي البحرين ابن الجـارود أو ابن أبي الجارود أتي برجل يقال له أدرياس قامت

عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين، وأنه قد هم أن يلحق بهم فضرب عنقه وهو يقول: يا عمراه يـا عمـراه ! فكتب عمر رضي ا عنه إلي عاملـه ذلـك فـأمره بالقدوم عليه ؛ فقدم فجلس له عمر، وبيـده حربـة. فدخل علي عمر فعلي عمر لحيته بالحربة وهو يقول: أدرياس لبيك ! إدرياس لبيك ! وجعل الجارود يقول: يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهـم أن يلحق بهم. فقال عمر: قتلته علي همه وأينا لم يهمه لولا أن تكون سنة لقتلتك به(١٥٠).

ـ وعن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضي ا عنهمـا – ويداه في أذنه – وهو يقول: يا لبيكاه ! يا لبيكـاه ! قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائـه أن نهراً حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفناً. فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلاً يعلم غور النهر. فأتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد وذلك فى البرد فاكرهه فأدخله فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي يا عمراه ! فغرق فكُتـب إليه. فأقبل فمكث أياماً معرضاً عنه وكان إذا وجـد علي أحد منهم فعل به ذلك. ثم قال: ما فعل الرجـل

الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ! ما تعمدت قتله لم نجد شيئاً يعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا. فقال عمر: لرجل مسلم أحب إلي من كل شئ جئت به، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك فأعط أهله ديته، وأخرج فلا أراك(١٥١).

- وعن جرير أن رجلاً كان مع أبي موسى رضي ا عنهما- فغنموا - مغنماً فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه، فأبي أن يأخذه إلا جميعه فضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه ! فجمع شعر وذهب به إلي عمر رضي ا عنه. فأخرج شعراً من جيبه فضرب به صدر عمر. قال: مالك؟ فذكر قصته. فكتب عمر إلي أبي موسى - رضي ا عنهما:" سلام عليك ! أما بعد ! فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا وأني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ من الناس فاقتص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلأ فاقعد له في خلأ فليقتص منك".

فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص. فقال الرجـل: قـد عفوت عنه (١٥٢).

ـ وعن الحرماوي قال: كتب عمر بن الخطـاب إلـي فيروز الديلمي رضي ا عنهما:" أما بعد ! فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل، فإذا أتاك كتابي هـذا فأقدم علي بركة ا ، فأغز في سبيل ا ". فقدم فيروز فاستأذن علي عمر، فأذن له، فزاحمه فتي من قريش. فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي، فـدخل القرشـي علي عمر مستدمي. فقال له عمر: من فعل بك؟ قال: فيروز ! وهو علي الباب، فـأذن لفيـروز بالـدخول فدخل. فقال: ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين ! إنا كنا حديث عهد بملك، وإنك كتبت إلي ولم تكتب إليه، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له، فأراد أن يدخل في إذني قبلي، فكان مني ما قد أخبرك. قال رضـي ا عنه: القصاص ! قال فيروز: لابد؟ قـال: لابـد. فجثي فيروز علي ركبتيه بشيء سمعته من رسول ا صلي ا عليه وسلم ! سمعت رسول ا صـلي ا عليه وسلم ذات غداة وهو يقول: قتل الليلية الأسـود

العنسي الكذاب ! قتله العبد الصالح فيروز الـديلمي ! أفتراك مقتصاً منه بعد إذ سمعت هذا من رسـول ا صلي ا عليه وسلم ! قال الفني: قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول ا صـلي ا عليـه وسـلم بهذا. فقال فيروز لعمر: أفتري هذا مخرجـي ممـا صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره؟ قال: نعـم. قال فيروز: فأشهدك أن سيفي وفرسي وثلاثين ألفاً من مالي هبة له. قال: عفوت مأجوراً يا أخـا قـريش، وأخذت مالاً(١٥٣).

ـ وعن ابن عباس رضي ا عنهما قال: جاءت جاريـة إلي عمر بن الخطاب رضي ا عنه فقالت: إن سيدي اتهمني فأقعدني علي النار حتى احترق فرجي. فقـال لها عمر: هل رأي ذلك عليك؟ قالت: لا. قال: فهـل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا. فقال عمر: علي بـه ! فلما رأي عمر الرجل قال: أتُعذب بعذاب ا ؟ قال: يا أمير المؤمنين ! اتهمتها في نفسها. قال: أرأيت ذلـك عليها؟ قال: لا. قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا. قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسـول ا صـلي ا

عليه وسلم يقول لا يقاد مملوك من مالكه، ولا ولـد من والده لأقدتها منك، وضربه مائـة سـوط، وقـال للجارية: أذهبي فأنت حرة لوجه ا وأنت مـولاة ا ورسوله: أشهد لسمعت رسول ا يقول مـن حـرق بالنـار أو مثـل بـه فهـو حـر وهـو مـولي ا ورسوله(١٥٤).

ـ وعن مكحول أن عبادة بن الصامت رضـي ا عنـه دعا نبطياً يمسك له دابته عند بيت المقـدس فـأبي، فضربه فشجه. فاستعدي عليه عمـر بـن الخطـاب رضي ا عنه فقال له: ما دعاك إلي ما صنعت بهذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتي فـأبي، وأنا رجل في حدة فضربته. فقال: اجلس للقصاص. فقال زيد بن ثابت رضي ا عنه: أتقيد عبـدك مـن أخيك؟ فترك عمر رضي ا عنه القود وقضي عليـه بالدية(١٥٥).

ـ وعن سويد بن غفلة رضي ا عنه قال: لما قدم عمر رضي ا عنه الشام قام إليه رجل من أهـل الكتـاب فقال: يا أمير المؤمنين إن رجلاً من المؤمنين صـنع

بي ما ترى، قال: وهو مشجوج مضروب. فغضـب عمر رضي ا عنه غضباً شديداً ثم قـال لصـهيب رضي ا عنه: انطلق وانظر من صاحبه، فأتني به. فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالـك الأشـجعي رضي ا عنه ! فقال: إن أمير المؤمنين قد غضـب عليك غضباً شديداً فأت معاذ بن جبل رضي ا عنه فليكلمه، فإني أخاف أن يعجل إليك. فلما قضى عمر الصلاة قال: أين صهيب؟ أجئت بالرجل؟ قال: نعـم. وقد كان عوف أتى معاذاً فأخبره بقصته. فقام معـاذ فقال: يا أمير المؤمنين ! إنه عوف ابن مالك فاسـمع منه ولا تعجل إليه. فقال له عمر: مالك ولهذا؟ قـال: يا أمير المؤمنين ! رأيت هذا يسوق بـامرأة مسـلمة على حمار، فنخس بها ليصرع بها، فلم يصرع بهـا فدفعها فصرعت فغشيها أو أكب عليها. فقال له:ائتني بالمرأة فلتصدق ما قلت. فأتاها عوف فقال له أبوهـا وزوجها: ما أردت إلى صاحبتنا قد فضحتنا. فقالت: وا لأذهبن معه ! فقال أبوها وزوجها نحن نـذهب فنبلغ عنك. فأتيا عمر رضي ا عنه فأخبراه بمثـل

قول عوف، وأمر عمر باليهودي فصلب. وقال: مـا علي هذا صالحناكم، ثم قال: أيها الناس ! اتقوا ا في ذمة محمد، فمن فعل منهم هذا فلا ذمة له. قال سويد: فذلك اليهودي أول مصلوب رأيته في الإسلام(١٥٦).

ـ وعن عبد الملك بن يعلي الليثي أن بكر بن شداخ الليثي رضي ا عنه – وكان ممن يخدم النبـي صـلي ا عليه وسلم وهو غلام – فلما احتلم جاء إلـي النبـي صلي ا عليه وسلم فقال: يا رسول ا ! إني كنـت أدخل علي أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال. فقال النبـي صلي ا عليه وسلم: اللهم ! صدق قوله ولقه الظفر. فلما كان في ولاية عمر رضي ا عنه وجد يهـودي قتيلاً فاعظم ذلك عمر وجزع وصعد علـي المنبـر فقال: أفيما ولاني ا واستخلفني يفتك بالرجال، اذكر ا رجلاً كان عنده علم إلا أعلمني. فقام إليه بكر بن شداخ فقال: أنا به. فقال: ا أكبر بؤت بدمه. فهات المخرج فقال: بلي ! خرج فلان غازياً ووكلني بأهلـه فجئت فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول:

وأشعت غره الاسلام مني خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت علي ترائبها ويمسي علي جرداء لاحقة الحزام
كان مجامع الربلات منهـا فئام ينهضون إلي فئـام

فصدق عمر رضي ا عنه قوله، وأبطل دمه بدعاء النبي صلي ا عليه وسلم.[157]

ـ وعن أنس بن مالك رضي ا عنه قال: حاصرنا تستر فنزل الهرمزان علي حكم عمر رضي ا عنه فقدمت به علي عمر رضي ا عنه. فلما انتهينا إليه قال له عمر: تكلم. قال: كلام حي أو كلام ميت؟ قال: تكلـم لا بأس. قال: إنا وإياكم معاشر العرب ! ما خلي ا بيننا وبينكم، كنا نتعبدكم، ونقتلكم، ونغصـبكم. فلمـا كان ا معكم لم يكن لنا يدان. فقال عمر رضـي ا عنه: ما تقول؟ فقلت يا أمير المؤمنين ! تركت بعدي عدواً كثيراً، وشوكة شديدة، فإن قتلته ييأس القوم من الحياة ويكون أشد لشوكتهم. فقال عمـر رضـي ا عنه: استحي من قاتل براء بن مالك ومجزأة بن ثور رضي ا عنهما، فلما خشيت أن يقتله قلت: ليس إلى قتله سبيل، قد قلت له: تكلم لا بأس. فقال عمر رضي ا عنه: أرتشيت وأصبت منه؟ فقال: وا ما ارتشيب

ولا أصبت منه. قال: لتأتيني علي ما شهدت به بغيرك أو لأبدأن بعقوبتك. قال: فخرجت فلقيت الزبير بن العوام رضي الله عنه فشهد معي وأمسك عمر رضي الله عنه وأسلم يعني الهرمزان وفرض له[158].

- وعن يزيد بن أبي مالك قال: كان المسلمون بالجابية وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه رجل من أهل الذمة يخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه. فخرج عمر رضي الله عنه حتى لقي رجلاً من أصحابه يحمل ترساً عليه عنب. فقال عمر: وأنت أيضاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين ! أصابتنا مجاعة. فانصرف عمر رضي الله عنه وأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه[159].

- وعن سعيد بن المسيب أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر رضي الله عنه فرأي الحق لليهودي، فقضي له عمر به. فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق. فضربه عمر بالدرة وقال: ما يدريك؟ فقال اليهودي والله إنا نجد في التوراة: ليس قاضي يقضي بالحق إلا

كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه مادام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجاً وتركاه[١٦٠].

٣- نماذج من عدل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي ا عنه:

عن أبي الفرات قال: كان لعثمان رضي ا عنه عبد، فقال له: إني كنت عركت أذنك فاقتص مني، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان رضي ا عنه: أشد يا حبذا ! قصاص في الدنيا، لا قصاص في الآخرة[١٦١].

وعن نافع بن عبد الحارث قال: قدم عمر بن الخطاب رضي ا عنه مكة، فدخل دار الندوة في يوم الجمعة وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد فألقى رداءه علي واقف في البيت فوقع عليه طير من هذا الحمام فأطاره، فانتهزته حية فقتلته. فملا صلي الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان رضي ا عنه فقال: أحكما علي في شئ صنعته اليوم: ائني دخلت هذه الدار وأردت أن استقرب منها الرواح إلي المسجد، فألقيت ردائي علي هذا الواقف فوقع عليه طير من هذا الحمام، فخشيت أن يلطخه بسلحه فأطرته عنه، فوقع علي هذا الواقف الآخر، فانتهزته حية فقتله. فوجدت في

نفسي أني أطرته من منزل كان فيه آمنا إلي موقعة كان فيها حتفه. فقلت لعثمان بن عفان رضي ا عنه: كيف ترى في عنز ثنية عفراء تحكم بها علي أمير المـؤمنين؟ إنـي أري ذلك، فأمر بها عمر رضي ا عنه(١٦٢).

٤- نماذج من عدل الخليفة الرابع: علي بن أبـي طالب رضي ا عنه:

عن كليب قال: قدم علي علي رضي ا عنه مـال مـن أصبهان، فقسمه علي سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفـاً فكسـره علي سبعة وجعل علي كل قسم منها كسرة، ثم دعا الأمـراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطـي أولاً(١٦٣). وعـن عيسي بن عبد ا الهاشمي عن أبيه عن جده قال: أتت علياً رضي ا عنه امرأتان تسألانه عربية ومولاة لها. فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام، وأربعين درهماً. فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت وقالت العربية: يـا أميـر المـؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قـال لها علي رضي ا عنه: إني نظرت في كتاب ا عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل علي ولد إسـحاق – عليهمـا الصلاة والسلام(١٦٤).

وعن علي بين ربيعه قال: جاء جعده بن هبيرة إلي علـي فقال: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلي أحدهما من نفسه، أو قال: من أهله وماله، والآخر لـو يسـتطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا علي هذا قـال: فلهـزه علـي رضي ا عنه وقال: إن هذا شئ لو كان لي فعلت، ولكـن إنما ذا شئ (١٦٥).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: خرجت مع علـي بـن أبـي طالب رضي ا عنه إلي السوق فرأي أهـل السـوق قـد جاوزوا أمكنتهم. فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم. فقال: أليس ذلك إليهم سـوق المسـلمين كمصـلي المصلين؟ من سبق إلي شئ فهو له يومه حتى يدعه[١٦٦].

٥- عدل بعض الصحابة رضوان ا عليهم: نماذج مختارة:

روي أن وفداً من سمرقند وفدوا على عمر بن عبد العزيز فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين أُخرجوا، فنصـب لهم جميع بن حاضر الباجي، فحكم بإخراج المسلمين على أن

ينابذوهم على سواء، فكره أهل سـمرقند الحـرب وأقـروا المسلمين(١٦٧).

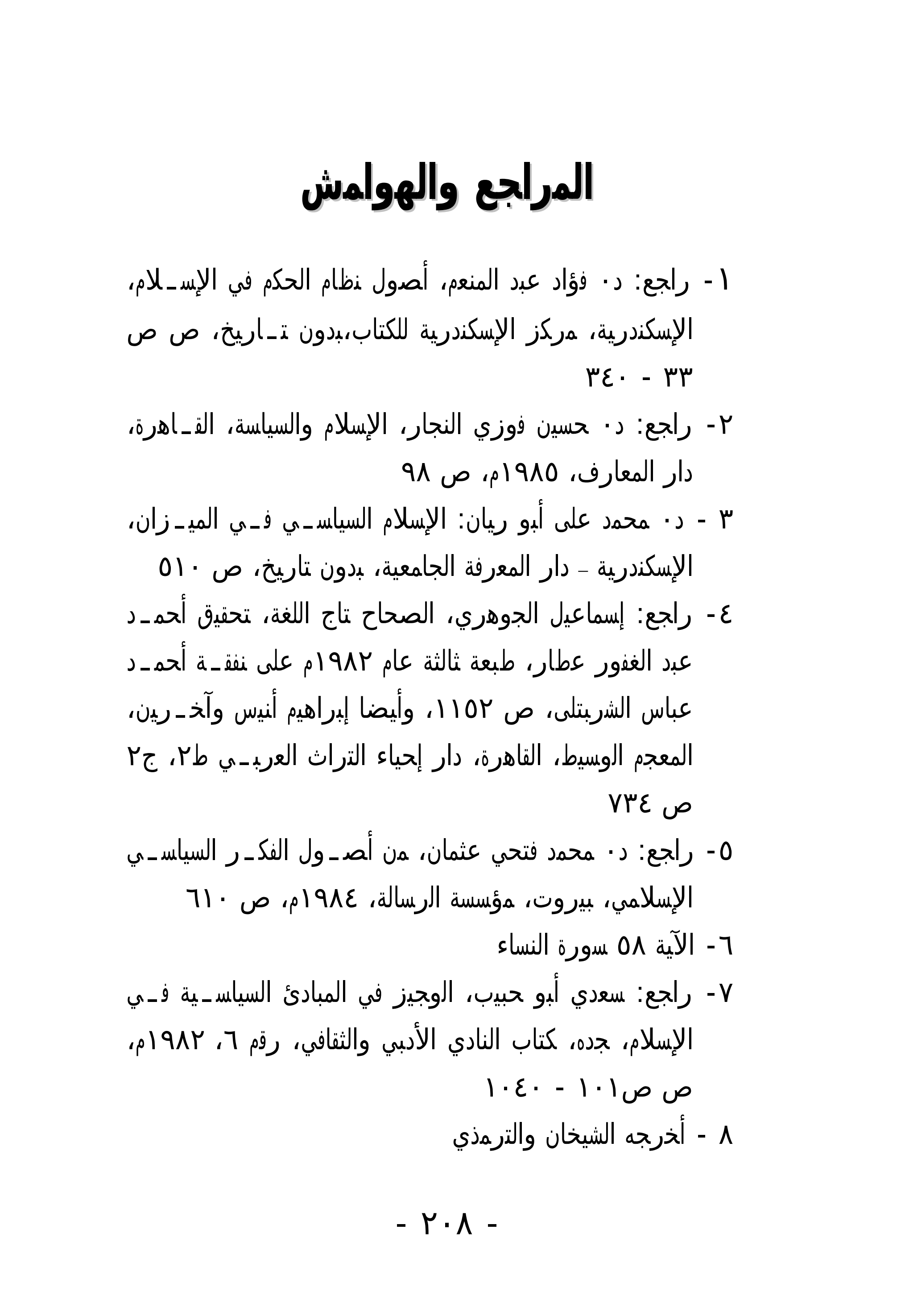
وروى الطبري في ابتداء أمر القادسية أن ربعي بن عامر دخل على رستم قائد الفرس في مجلسه فبادر القائد الفارسي بسؤال المجاهد المسلم: ما جاء بكم؟، فأجابه المجاهد المسـلم على الفور: ا ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلـى عبادة ا ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه.

عن ابن عمر رضي ا عنهما – فذكر الحديث بطوله في قصة خيبر، وفيه: كان عبد ا بن رواحه رضي ا عنـه يأتيهم كل عام، فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر. فشكوا إلي رسول ا صلي ا عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه. فقال: يا أعداء ا تطعموني السـحت؟ وا لقـد جئتم من عند أحب الناس إلي ولأنتم أبغض إلي من عـدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم، وحبي إيـاه علي أن لا أعدل عليكم. فقـالوا: بهـذا قامـت السـماوات والأرض(١٦٨).

وعن الحارث بن سويد قال: كان المقداد بن الأسـود – رضي ا عنهما -في سرية فحصرهم فعـزم الأميـر أن لا يجشر أحد دابته، فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة فضربه، فرجع الرجل وهو يقول ما رأيت كما لقيت اليوم قط. فمـر المقداد فقال: ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلد السيف وأنطلق معه حتى انتهي إلي الأمير فقال: أقده من نفسك. فأقاده فعفا الرجل، فرجع المقداد وهو يقول: لأموتن والإسلام عزيـز (١٦٩).

- يروى عن الإمام على رضي ا عنه أنه كتـب فـي وصيته لمالك بن الأشتر حين ولاه مصـر قـال".. ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية"(١٧٠).
- ومن تجارب عمر بن عبد العزيز في حمل الناس على الطاعة بالعدل ما رواه صاحب تذكرة ابن حمـدون، قال عمر" إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمـراً مـن العدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم، فأُخرج لهم معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا"(١٧١).

ـ ومن كلام الماوردي يخاطب الوزير ـ أي وزير ـ في كتابه أدب الوزير، يقول له"٠٠ وليس يختص بالعدل بالأموال دون الأقوال والأفعال، فعدلك بالأموال أن تؤخذ بحقها وتدفع إلى مستحقها لأنك في الحقوق سفير مؤتمن وكفيل مرتهن، عليك غرمها ولغيرك غنمها، وعدلك في الأقوال ألا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ولا العالم بخطاب المجهول، وتقف في الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة، ليكون إرغابك وإرهابك على وفق أسبابها من غير سرف ولا تقصير، فلسانك ميزانك، فاحفظ من رجحان أو نقصان٠٠"[١٧٢].



المراجع والهوامش

١- راجع: د. فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسـلام، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب،بدون تـاريخ، ص ص ٣٣ - ٣٤٠

٢- راجع: د. حسين فوزي النجار، الإسلام والسياسة، القـاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ٩٨

٣ - د. محمد على أبو ريان: الإسلام السياسـي فـي الميـزان، الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص ٥١٠

٤- راجع: إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة، تحقيق أحمـد عبد الغفور عطار، طبعة ثالثة عام ١٩٨٢م على نفقـة أحمـد عباس الشربتلى، ص ١١٥٢، وأيضا إبراهيم أنيس وآخـرين، المعجم الوسيط، القاهرة، دار إحياء التراث العربـي ط٢، ج٢ ص ٧٣٤

٥- راجع: د. محمد فتحي عثمان، من أصـول الفكـر السياسـي الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م، ص ٦١٠

٦- الآية ٥٨ سورة النساء

٧- راجع: سعدي أبو حبيب، الوجيز في المبادئ السياسـية فـي الإسلام، جده، كتاب النادي الأدبي والثقافي، رقم ٦، ١٩٨٢م، ص ص١٠١ - ١٠٤٠

٨ - أخرجه الشيخان والترمذي

٩- راجع: سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة، دار الشـــروق، ١٩٧٤م، ص ص ٩٢ - ٩٣، ص ص ٩٩ - ١٠١٠

١٠- رواه البخاري ومسلم٠

١١- رواه الإمام أحمد

١٢- راجع: د٠ محمد فتحي عثمان، من أصول الفكـر السياسـي الإسلامي، مرجع سابق، ١٩٨٤م، ص ص ٥٦-٥٧٠

١٣- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٥م، ط ٥، ص ص ٩٦ - ٩٧٠

١٤ - الآية ٤٨ سورة البقرة٠

١٥ - الآية ١٢٣ سورة البقرة٠

١٦ - من الآية ٢٨٢ سورة البقرة٠

١٧ - من الآية ٢٨٢ سورة البقرة٠

١٨ - الآية ٩٥ سورة المائدة٠

١٩ - الآية ٥٨ سورة النساء٠

٢٠ - الآية ١٠٦ سورة المائدة٠

٢١ - الآية ٧٠ سورة الأنعام٠

٢٢ - الآية ٧٦ سورة النحل

٢٣ - الآية ٩٠ سورة النحل٠

٢٤ - الآية ٩ سورة الحجرات٠

٢٥ - الآية ٢ سورة الطلاق٠



٢٦ - الآية ١٥ سورة الأنعام.

٢٧ - الآية ١٥ سورة الشورى.

٢٨ - الآية ٧٠ سورة الأنعام.

٢٩ - الآية ٣ من سورة النساء.

٣٠ - ١٢٩ سورة النساء.

٣١ - ١٣٥ سورة النساء.

٣٢ - الآية ٨ سورة المائدة.

٣٣ - الآية ١ سورة الأنعام.

٣٤ - الآية ١٥٠ سورة الأنعام.

٣٥ - الآية ١٨١ سورة الأعراف.

٣٦ - الآية ١٨١ سورة الأعراف.

٣٧ - الآية ٦٠ سورة النمل.

٣٨ - الآية ٨ سورة المائدة.

٣٩ - الآية ١٥٢ سورة الأنعام.

٤٠ - الآية ٣ سورة النساء.

٤١ - الآية ٨ سورة الممتحنة.

٤٢ - الآية ٩ سورة الحجرات.

٤٣ - الآية ١٤ سورة الجن.

٤٤ - الآية ٢٨٢ سورة البقرة.

٤٥ - الآية ٥ سورة الأحزاب.

٤٦ - الآية ٤٢ سورة المائدة.

٤٧ - الآية ٨ سورة الممتحنة.



٤٨ - الآية ١٨ سورة آل عمران.

٤٩ - الآية ٢١ سورة آل عمران.

٥٠ - الآية ١٢٧ سورة النساء.

٥١ - الآية ١٣٥ سورة النساء.

٥٢ - الآية ٨ سورة المائدة.

٥٣ - الآية ١٥٢ سورة الأنعام.

٥٤ - الآية ٢٩ سورة الأعراف.

٥٥ - الآية ٤ سورة يونس.

٥٦ - الآية ٤٧ سورة يونس.

٥٧ - الآية ٥٤ سورة يونس.

٥٨ - الآية ٨٥ سورة هود.

٥٩ - الآية ٩ سورة الرحمن.

٦٠ - الآية ٢٥ سورة الحديد.

٦١ - الآية ٣٥ سورة الإسراء.

٦٢ - الآية ١٨٢ سورة الشعراء.

٦٣ - الآية ٤٧ سورة الأنبياء

٦٤ - الآية ١٠ سورة الفتح.

٦٥ - الآية ١٧٨ سورة البقرة.

٦٦ - الآية ٢٨٣ سورة البقرة.

٦٧ - الآية ٧٢ سورة الأحزاب.

٦٨ - الآية ٥٨ سورة النساء.

٦٩ - الآية ٢٧ سورة الأنفال.



٧٠ - الآية ٨ سورة المؤمنون

٧١ - الآية ٧٥ سورة آل عمران٠

٧٢ - الآية ١٧٨ سورة البقرة٠

٧٣ - الآية ٤٠ سورة البقرة٠

٧٤ - الآية ١ سورة المائدة

٧٥ - الآية ١٥٢ سورة الأنعام٠

٧٦ - الآية ٩١ سورة النحل٠

٧٧ - الآية ٣٤ سورة الإسراء٠

٧٨ - الآية ٢٠ سورة الرعد٠

٧٩- من الآية ٩٠ سورة النحل٠

٨٠- الآية ٤٦ سورة فُصلت

٨١ - رواه مسلم

٨٢ - رواه الترمذي

٨٣ - رواه أبو داود

٨٤- سورة آل عمران الآية ١٦١

٨٥ - الآية ٢٦ سورة ص

٨٦ - الآية ٤٢ سورة المائدة

٨٧ - الآية ٦٠ سورة النساء

٨٨ - راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ط ٥، ص ٩٩

٨٩ - الآية ١٥ سورة الشورى

٩٠ - الآية ١٢٤ سورة البقرة

٩١ - الآية ١٥١ سورة آل عمران

٩٢- الآية ٢٢ سورة إبراهيم

٩٣- رواه البخاري

٩٤- متفق عليه

٩٥- رواه مسلم

٩٦- رواه مسلم

٩٧- الآيات ١٢٦،١٢٧ سورة النحل ٩

٩٨- الآيات ٢١-٢٤ الغاشية٩٩- الآية ٤٥ سورة ق

١٠٠- الآية ٩٩ سورة المائدة

١٠١- راجع: د٠ محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسـي الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ١٥٢-١٥٨

١٠٢- راجع: أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الـدين والدولة، الكويت، دار القلم، ١٩٧٧م، ص ١١٢

١٠٣- رواه الحاكم

١٠٤ - رواه مسلم

١٠٥ - رواه مسلم

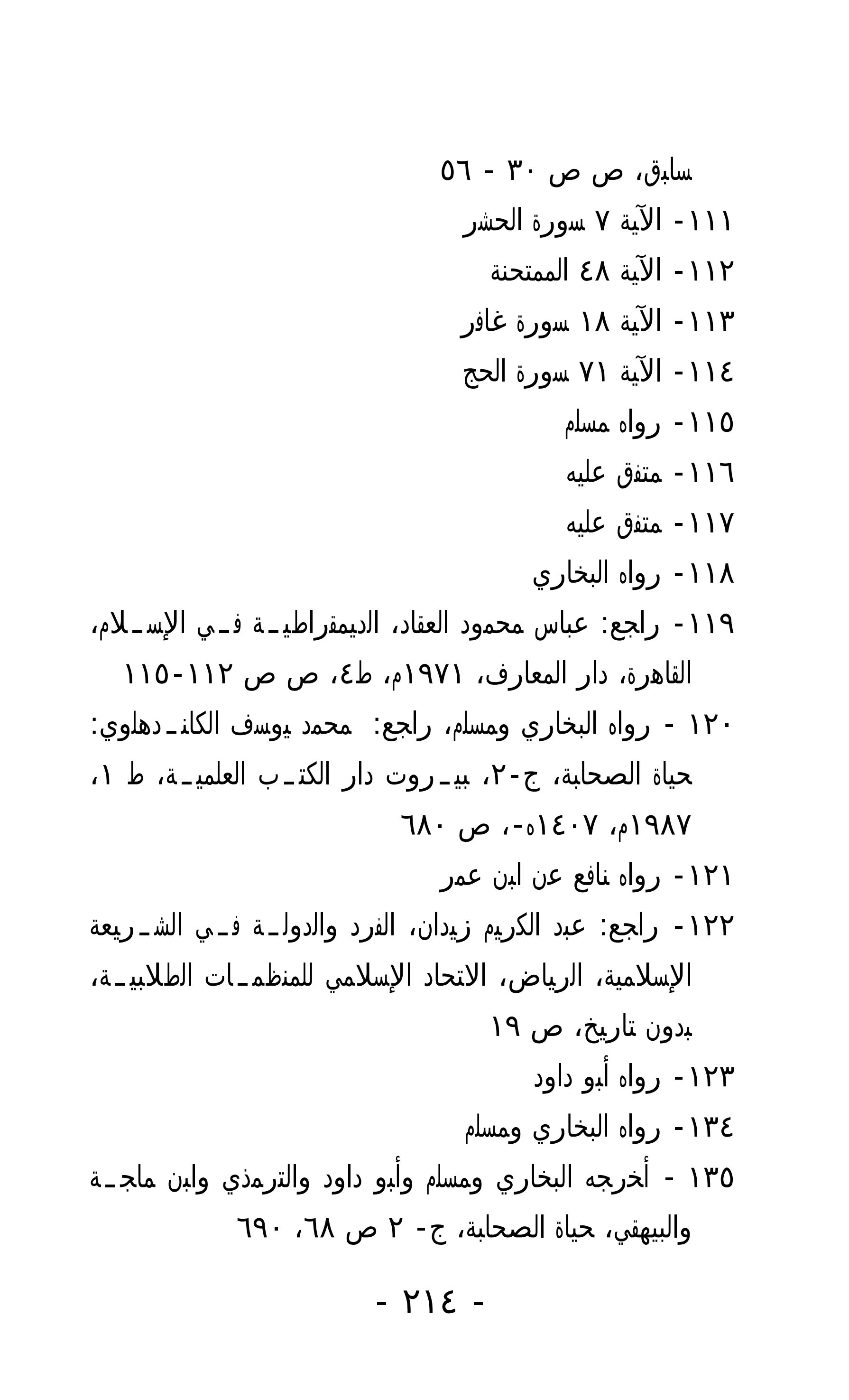
١٠٦- راجع سيد قطب، العدالة الاجتماعية، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٣٠

١٠٧- الآية ١٣ سورة الحجرات

١٠٨- الآية ١١ سورة المجادلة

١٠٩الآية ٤٦ سورة الكهف

١١٠- راجع سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسـلام، مرجـع



سابق، ص ص ٣٠ - ٥٦

١١١- الآية ٧ سورة الحشر

١١٢- الآية ٤٨ الممتحنة

١١٣- الآية ١٨ سورة غافر

١١٤- الآية ٧١ سورة الحج

١١٥- رواه مسلم

١١٦- متفق عليه

١١٧- متفق عليه

١١٨- رواه البخاري

١١٩- راجع: عباس محمود العقاد، الديمقراطيـة فـي الإسـلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م، ط٤، ص ص ١١٢-١١٥

١٢٠ - رواه البخاري ومسلم، راجع: محمد يوسف الكانـدهلوي: حياة الصحابة، ج-٢، بيـروت دار الكتـب العلميـة، ط ١، ١٩٨٧م، ١٤٠٧هـ-، ص ٦٨٠

١٢١- رواه نافع عن ابن عمر

١٢٢- راجع: عبد الكريم زيدان، الفرد والدولـة فـي الشـريعة الإسلامية، الرياض، الاتحاد الإسلامي للمنظمـات الطلابيـة، بدون تاريخ، ص ١٩

١٢٣- رواه أبو داود

١٣٤- رواه البخاري ومسلم

١٣٥ - أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجـة والبيهقي، حياة الصحابة، ج- ٢ ص ٦٨، ٦٩٠



١٣٦ - أخرجه ابن عساكر وأحمد، راجع حياة الصـحابة ص ٦٩ ج- ٢٠

١٣٧ - المرجع السابق ص ٦٩، ٧٠٠

١٣٨ - المرجع السابق ص ٧٠ أخرجه ابن ماجه والطبرانى٠

١٣٩ - المرجع السابق ص ٧٠ رواه أحمد والطبرانى٠

١٤٠- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ص ٩٢ - ٩٧

١٤١ - أخرجه البيهقى، راجع حياة الصحابة، المرجع السابق ص ٧١٠

١٤٢- راجع: د٠ محمد فتحي عثمان من أصول الفكر السياسـي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤٦

١٤٣ - أخرجه ابن عساكر والبيهقى، المرجع السابق ص ٧١٠

١٤٤ - المرجع السابق ص ٧٢٠

١٤٥ - المرجع السابق ص ٧٢٠

١٤٦ - أخرجه البيهقي، راجع المرجع السابق ص ٧٣٠

١٤٧ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٧٣، ٧٤٠

١٤٨ - أخرجه ابن سعد، المرجع السابق ص ٧٤٠

١٤٩ - أخرجه ابن جرير، المرجع السابق ص٧٥٠

١٥٠ - أخرجه ابن جرير، المرجع السابق ص٧٥٠

١٥١ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٧٥٠

١٥٢ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٧٥، ٦٧٠

١٥٣ - أخرجه ابن عساكر، المرجع السابق ص ٧٦٠

١٥٤ - أخرجه الطبراني وابن عساكر والبيهقي، المرجع السـابق



ص ٧٧٠

١٥٥ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٧٧٠

١٥٦ - أخرجه البيهقي وابن عساكر، المرجع السابق ص ٧٧، ٧٨٠

١٥٧ - أخرجه أبو نعيم وابن منده، المرجع السابق ص ٧٨

١٥٨ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٧٩٠

١٥٩ - أخرجه أبو عبيده، المرجع السابق ص ٨٠٠

١٦٠ - أخرجه الإمام مالك، المرجع السابق ص ٨٠٠

١٦١ - راجع حياة الصحابة، ج-٢، ص ٨١٠

١٦٢ - أخرجه الإمام الشافعي في مسنده، المرجـع السـابق ص ٨١٠

١٦٣ - أخرجه البيهقي وابن عساكر، المرجع السابق ص ٨١٠

١٦٤ - أخرجه البيهقي، المرجع السابق ص ٨١، ٨٢٠

١٦٥ - أخرجه ابن عساكر، المرجع السابق ص ٨٢٠

١٦٦ - أخرجه أبو عبيد، المرجع السابق ص ٨٢٠

١٦٧- راجع: د٠ محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسـي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٦٠

١٦٨ - أخرجه البيهقي – المرجع السابق ص ٨٢٠

١٦٩ - أخرجه أبو نعيم في الحلية المرجع السابق ص ٨٣٠

١٧٠ - راجع: عباس محمود العقاد: الديمقراطية فـي الإسـلام، مرجع سابق، ص ١٦٠٠

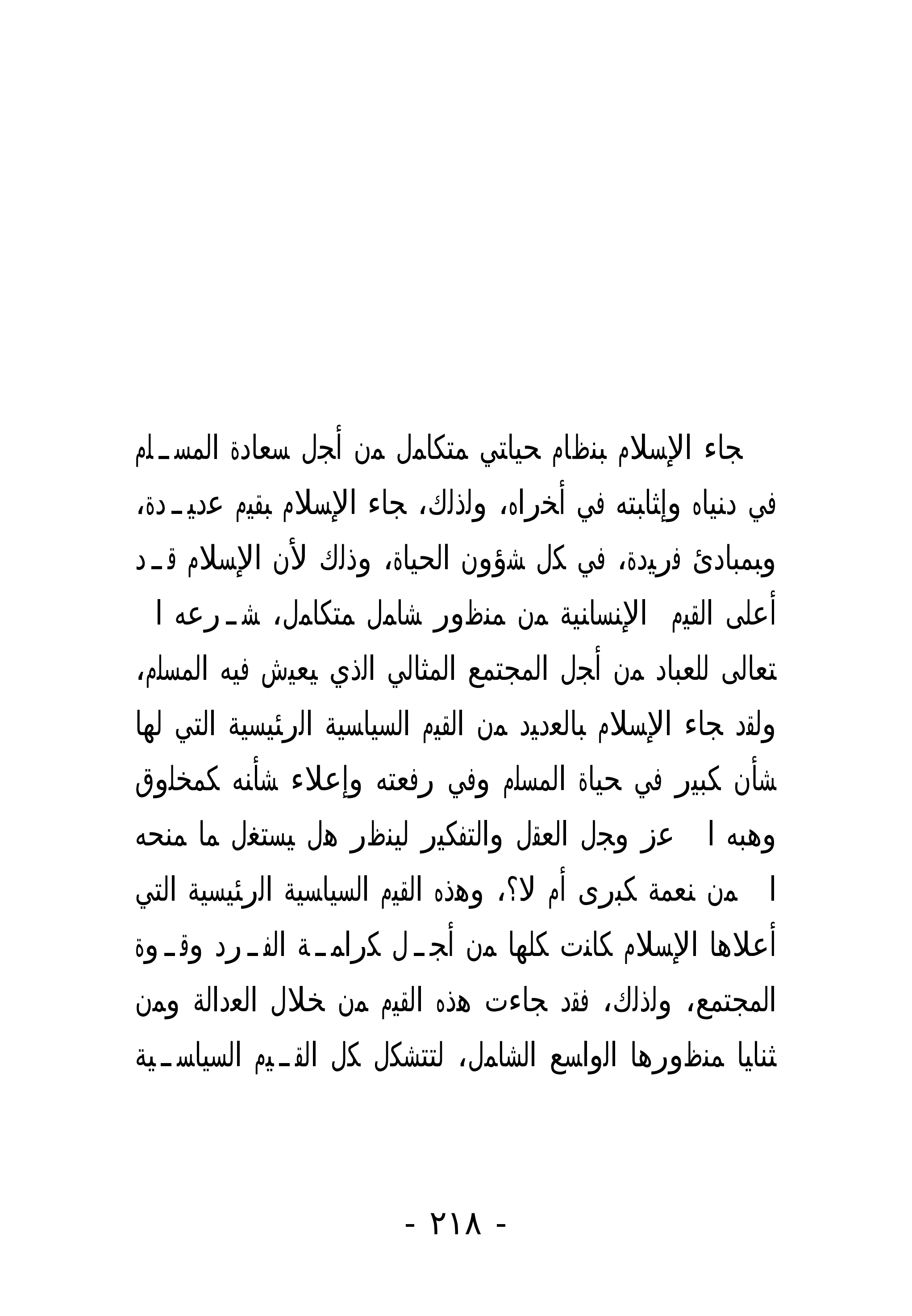
١٧١- المرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٦٠

١٧٢- المرجع السابق، ص ١٦٩٠

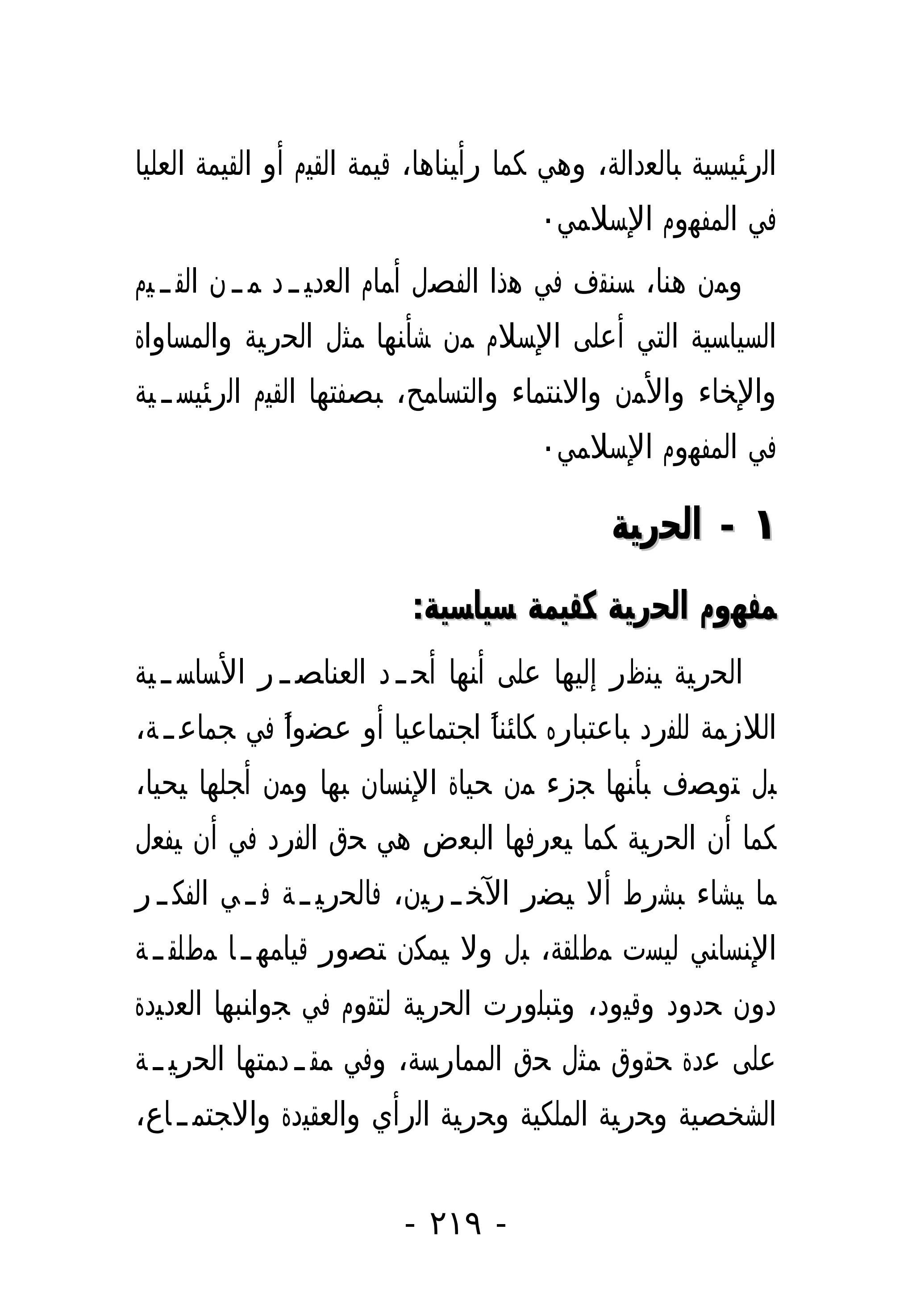
الفصل الثالث

القيم السياسية الرئيسية

في الإسلام



جاء الإسلام بنظام حياتي متكامل من أجل سعادة المسـلم في دنياه وإثابته في أخراه، ولذلك، جاء الإسلام بقيم عديـدة، وبمبادئ فريدة، في كل شؤون الحياة، وذلك لأن الإسلام قـد أعلى القيم الإنسانية من منظور شامل متكامل، شـرعه ا تعالى للعباد من أجل المجتمع المثالي الذي يعيش فيه المسلم، ولقد جاء الإسلام بالعديد من القيم السياسية الرئيسية التي لها شأن كبير في حياة المسلم وفي رفعته وإعلاء شأنه كمخلوق وهبه ا عز وجل العقل والتفكير لينظر هل يستغل ما منحه ا من نعمة كبرى أم لا؟، وهذه القيم السياسية الرئيسية التي أعلاها الإسلام كانت كلها من أجـل كرامـة الفـرد وقـوة المجتمع، ولذلك، فقد جاءت هذه القيم من خلال العدالة ومن ثنايا منظورها الواسع الشامل، لتتشكل كل القـيم السياسـية



الرئيسية بالعدالة، وهي كما رأيناها، قيمة القيم أو القيمة العليا في المفهوم الإسلامي.

ومن هنا، سنقف في هذا الفصل أمام العديـد مـن القـيم السياسية التي أعلى الإسلام من شأنها مثل الحرية والمساواة والإخاء والأمن والانتماء والتسامح، بصفتها القيم الرئيسـية في المفهوم الإسلامي.

١ - الحرية

مفهوم الحرية كقيمة سياسية:

الحرية ينظر إليها على أنها أحـد العناصـر الأساسـية اللازمة للفرد باعتباره كائناً اجتماعيا أو عضواً في جماعـة، بل توصف بأنها جزء من حياة الإنسان بها ومن أجلها يحيا، كما أن الحرية كما يعرفها البعض هي حق الفرد في أن يفعل ما يشاء بشرط ألا يضر الآخـرين، فالحريـة فـي الفكـر الإنساني ليست مطلقة، بل ولا يمكن تصور قيامهـا مطلقـة دون حدود وقيود، وتبلورت الحرية لتقوم في جوانبها العديدة على عدة حقوق مثل حق الممارسة، وفي مقـدمتها الحريـة الشخصية وحرية الملكية وحرية الرأي والعقيدة والاجتمـاع،

إلى جانب سائر الحريات التي أُطلق عليها الحريات السياسية، وهي تلك التي تخول الفرد المشاركة في إدارة شؤون الحكم عن طريق الانتخاب والتصويت والاستفتاء والترشيح، فالحرية من وجهة نظر البعض، هي مراكز قانونية للأفراد، ولا يمكن ممارسة الحرية بغير تنظيم يحميها من اعتداء الآخرين ويمنع الآخرين من الاعتداء على حرية الفرد.

ويبين بعض المفكرين أن العدالة هي أقوى ضمان لحماية الحقوق والحريات، لأن العدالة تصون وتحصن وتحافظ على الحريات وتحمي ممارستها من أي زلل أو شطط، وهذا الرأي يتفق مع ما جاء به الإسلام من إعلاء قيمة العدالة لتكون قيمة القيم في المجتمع الإسلامي والإنساني [(١)].

الحرية قيمة أساسية في الفكر الإسلامي وفي الحياة الإسلامية وفي القيم الإسلامية السياسية والاجتماعية، ولكنها قيمة تتشكل وتتبع قيمة العدالة. فالحرية مفتوحة في الإسلام بشرط أن تكون في إطار المبادئ الإسلامية وبشرط ألا تُحدث أضراراً للآخرين وبالتالي لا تحقق ظلماً للآخرين. فالحرية هي أساس أي وجود إنساني، وسلب الحرية هو سلب

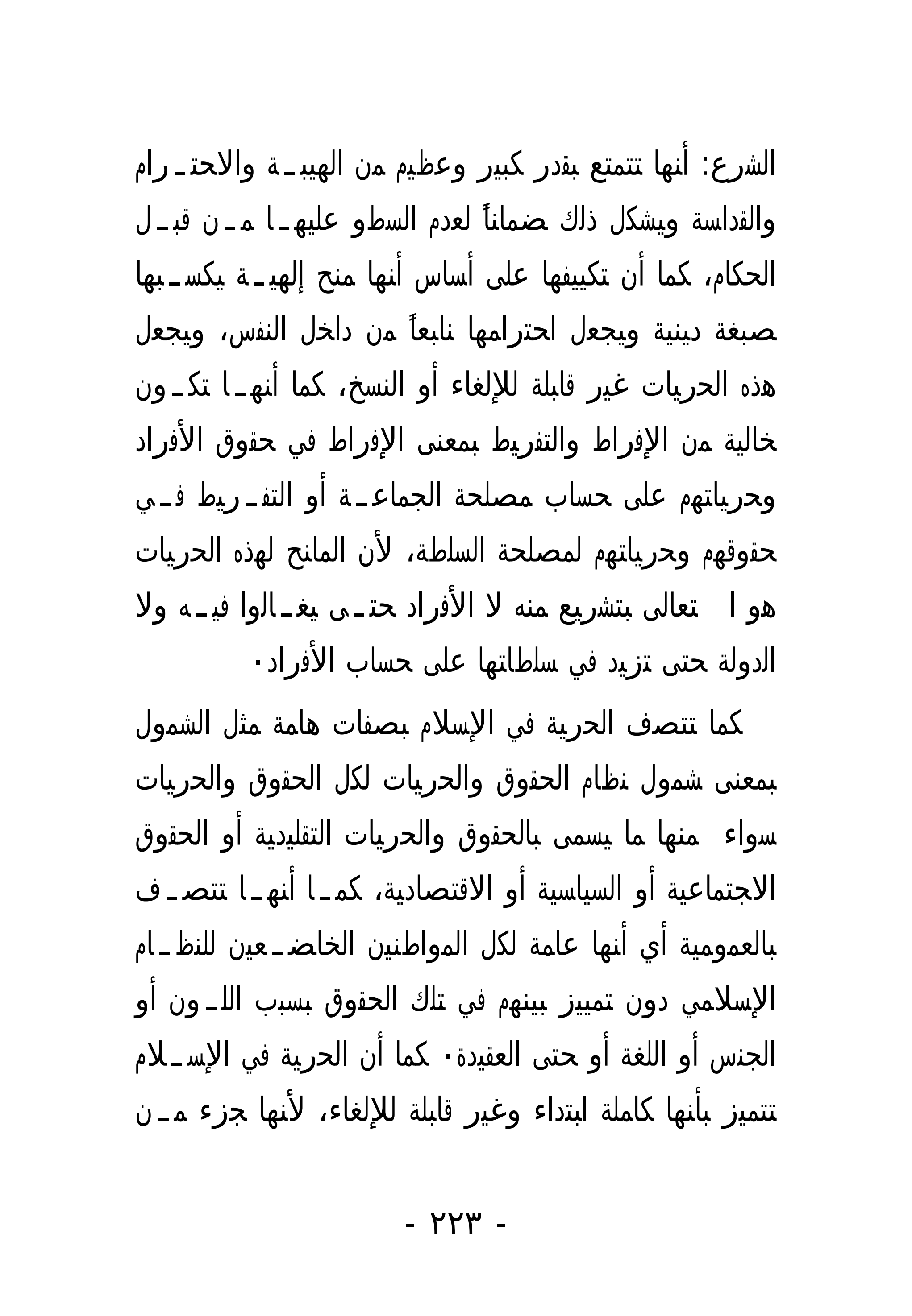
للإنسانية، لأن ا خلق سيدنا آدم على الفطرة وفطره على الحرية، حرية الطاعة وحرية المعصية، ليبقى مسؤولاً عن اختياره، فآدم قد عبد ربه مختاراً وأكل من الشجرة المحرمة مختاراً، ولذلك فوجوده الإنساني مرهون بتلك الحرية التي منحه ا إياها، والحرية لا تكون إلا بالعدل وإلا صارت فوضى، فالفرد يحتاج إلى الحرية من خلال احتياجه للعدالة وللقانون الذي يفرض لتحقيق العدالة والمساواة بين الرعية، فالقانون والعدالة تشكلان رادعاً لنفس الإنسان ونوازعه ولنفسه الأمارة بالسوء، كما أنه في نفس الوقت يحفظ له حريته من أي عدوان أو جور من قبل الآخرين [٢].

فالإنسان في المفهوم الإسلامي ليس بمخلوق ولا عبد ولا مربوب إلا تعالى، ولذلك لا يفرض على الإنسان أن يطيع أحد من بني جنسه وليس للإنسان أن ينال منصب الحاكمية المطلقة على أخيه الإنسان، كما لا يرغم إنسان على امتثال غيره لمجرد أنه أمره غير أمر ا تعالى، وأن الغاية الرئيسية لنزول القرآن هي أن ينزع عن رقبة الإنسان عبودية غير ا ويمنحه الحرية التامة في الرأي والتفكير وإعلان ما في ضميره بعد أن يجعله عبداً المطاع

الحقيقي، وأن القرآن لهو الكتاب الذي حارب عبودية الإنسان للإنسان، وهو لا يعترف لأي فرد بحقه في أن يحل لنفسه ما يشاء أو يجعل من نفسه حاكماً تكون أوامره ونواهيه مطاعة بصورة تكسبه مكانة الإله والمعبود بالنسبة للذين يطيعـون، فالتوحيد من نتائجه اللازمة الحرية[٣].

الحرية الشخصية هبة إلهية:

كما أن الحرية في الإسلام ليست منحـة مـن مخلـوق لمخلوق، يمن بها عليه إن شاء أو يسلبها منه متى شاء، بـل هي حقوق قررها ا له بمقتضى فطرته الإنسـانية، فهـي حقوق ثابتة دائمة بحكم الطبيعة والشريعة جميعاً، فا تبارك وتعالى خلق الإنسان ومنحه حق الحياة وكرمه وفضله وبناء على ذلك منحه حقوقاً وحريات ثابتة في شـريعته وأعطـاه العقل والإرادة ليكون مسؤولاً عن تصرفاته وأعماله، ولذلك، فالإرادة مناط الحرية، وهـي مقيـدة بالشـرع الإسـلامي، والشريعة الإسلامية إذ تقرر مسؤولية كل فرد مكلـف عـن أعماله وتصرفاته ولا تكون المسـؤولية إلا حيـث تكـون الحرية، فقرر الشرع الحرية والحقوق المختلفة كمنح إلهية لا فضل لمخلوق فيها، ومن نتائج تلك الحرية التـي فرضـها

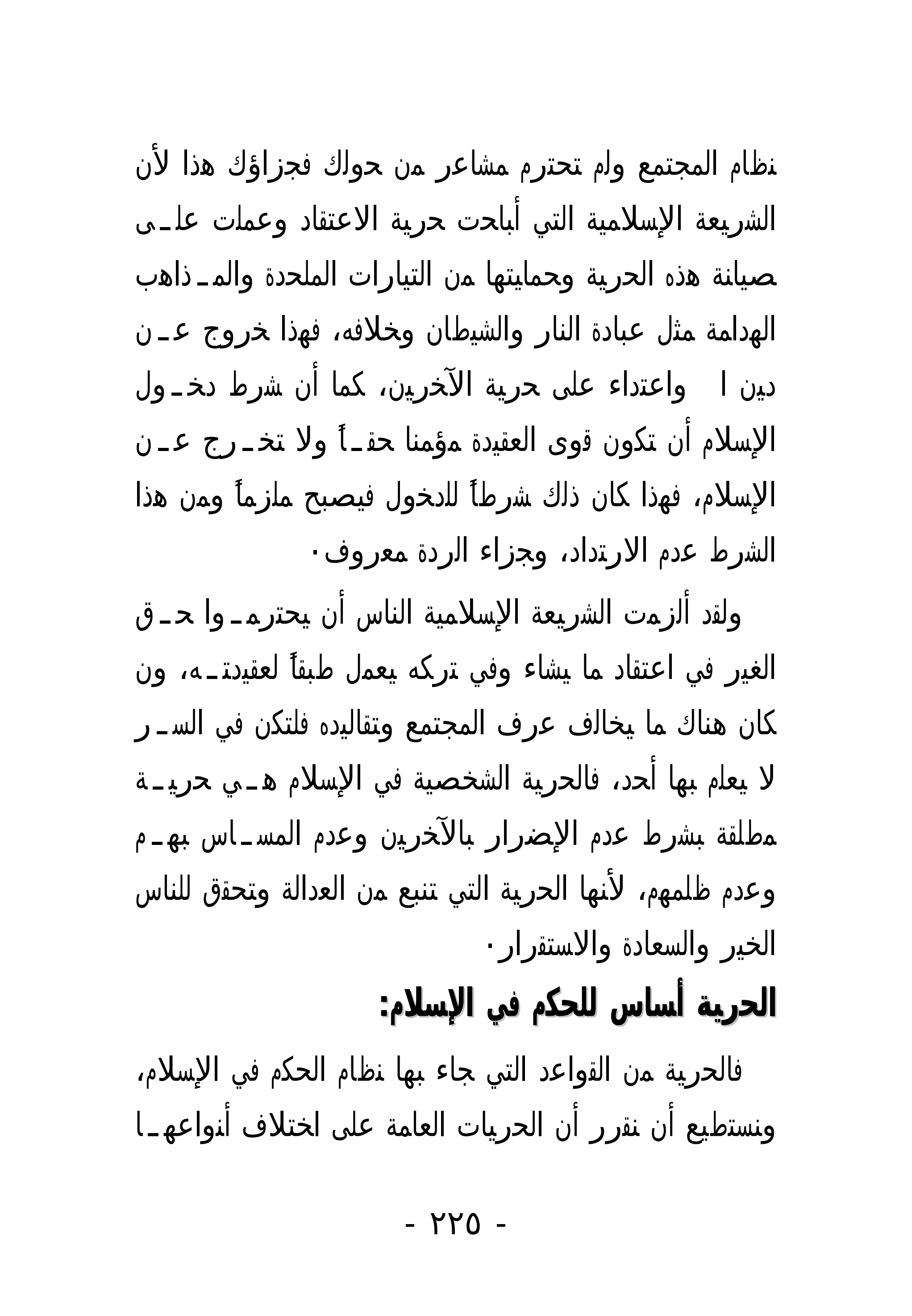


الشرع: أنها تتمتع بقدر كبير وعظيم من الهيبـة والاحتـرام والقداسة ويشكل ذلك ضماناً لعدم السطو عليهـا مـن قبـل الحكام، كما أن تكييفها على أساس أنها منح إلهيـة يكسـبها صبغة دينية ويجعل احترامها نابعاً من داخل النفس، ويجعل هذه الحريات غير قابلة للإلغاء أو النسخ، كما أنهـا تكـون خالية من الإفراط والتفريط بمعنى الإفراط في حقوق الأفراد وحرياتهم على حساب مصلحة الجماعـة أو التفـريط فـي حقوقهم وحرياتهم لمصلحة السلطة، لأن المانح لهذه الحريات هو ا تعالى بتشريع منه لا الأفراد حتـى يغـالوا فيـه ولا الدولة حتى تزيد في سلطاتها على حساب الأفراد.

كما تتصف الحرية في الإسلام بصفات هامة مثل الشمول بمعنى شمول نظام الحقوق والحريات لكل الحقوق والحريات سواء منها ما يسمى بالحقوق والحريات التقليدية أو الحقوق الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، كمـا أنهـا تتصـف بالعمومية أي أنها عامة لكل المواطنين الخاضـعين للنظـام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللـون أو الجنس أو اللغة أو حتى العقيدة. كما أن الحرية في الإسـلام تتميز بأنها كاملة ابتداء وغير قابلة للإلغاء، لأنها جزء مـن

الشريعة الإسلامية ومن خصائصها الكمال لاتصافها بصـفة مشرعها وهو ا عز وجل، كما أن من خصائصـها أنهـا ليست مطلقة في النظام الإسلامي، وإنما هـي مقيـدة بعـدم الإضرار بمصالح الجماعة، تطبيقـاً لمبـدأ لا ضـرر ولا ضرار، وهو يعني العدل المطلق في الإسلام وفي الحيـاة٠ فمثلا حق الملكية أقره النظام الإسلامي للأفراد ولكنـه لـم يجعله مطلقا بل قيده بقيود تضمن مصلحة الجماعة وكـذلك كل الحريات الأخرى(٤)٠

والإسلام لم يكتف بتقرير صيانة النفس وحمايتها، بل أقر حرية العبادة وحرية الفكر وحرية الاختيار لكل شيء: مثـل حرية اختيار المهنة التي يمارسها لكسـب عيشـه وحريـة الاستفادة من جميع مؤسسات الدولة، إن الحرية في الإسـلام حرية فردية وجماعية، فالفرد حر ولكن يجب أن تكون هـذه الحرية منضبطة على قيم الحـق وأدب الجماعـة والعـرف السائد، فمثلاً إذا أعلن الإنسان الخروج عن عقيـدة الإسـلام فهو مرتد لأنه أعلن على الملأ عدم اعترافه با بعد أن آمن به، فغن قال هذه حريتي، فالرد عليه بأن الحرية مصونة مع الانضباط على القيم الأخلاقية، وما دمت قد خرجـت علـى



نظام المجتمع ولم تحترم مشاعر من حولك فجزاؤك هذا لأن الشريعة الإسلامية التي أباحت حرية الاعتقاد وعملت علـى صيانة هذه الحرية وحمايتها من التيارات الملحدة والمـذاهب الهدامة مثل عبادة النار والشيطان وخلافه، فهذا خروج عـن دين ا   واعتداء على حرية الآخرين، كما أن شرط دخـول الإسلام أن تكون قوى العقيدة مؤمنا حقـاً ولا تخـرج عـن الإسلام، فهذا كان ذلك شرطاً للدخول فيصبح ملزماً ومن هذا الشرط عدم الارتداد، وجزاء الردة معروف.

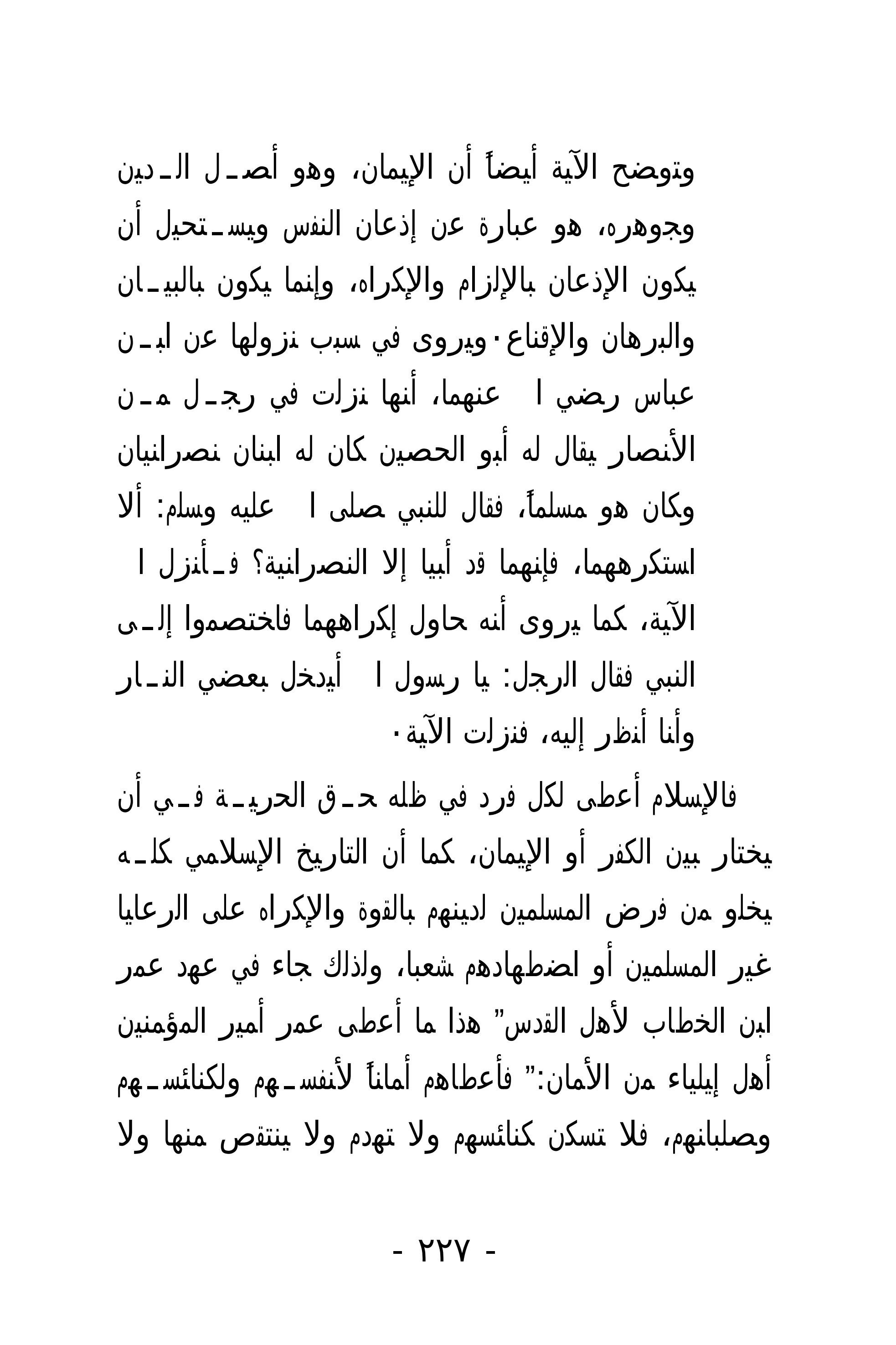
ولقد ألزمت الشريعة الإسلامية الناس أن يحترمـوا حـق الغير في اعتقاد ما يشاء وفي تركه يعمل طبقاً لعقيدتـه، ون كان هناك ما يخالف عرف المجتمع وتقاليده فلتكن في السـر لا يعلم بها أحد، فالحرية الشخصية في الإسلام هـي حريـة مطلقة بشرط عدم الإضرار بالآخرين وعدم المسـاس بهـم وعدم ظلمهم، لأنها الحرية التي تنبع من العدالة وتحقق للناس الخير والسعادة والاستقرار.

الحرية أساس للحكم في الإسلام:

فالحرية من القواعد التي جاء بها نظام الحكم في الإسلام، ونستطيع أن نقرر أن الحريات العامة على اختلاف أنواعهـا

للأفراد والجماعات قد أحلت محلها محلهـا فـي الشـريعة الإسلامية، فالإسلام نص على الحريـات الفرديـة وحريـة المعتقد (الحرية الدينية) وعلى الحريات السياسية والاجتماعية بمختلف أنواعها ومنها حرية الفكـر والحريـات المعنويـة والحرية الاقتصادية وحرية التجـارة والتملـك والصـناعة والرأي والكلمة وحرية التنقل والحركة وكلها وليدة التكـريم الإلهي للإنسان والتي يحيا الإنسان بمقتضاها حيـاة كريمـة ومن هذه الحريات:

- الحرية الدينية أو حرية المعتقد: كانت هنـاك ديانـات سماوية موجودة، وما زالت، وعلى الـرغم مـن أن دعوة الإسلام جاءت إلى النـاس كافـة،فغن القـرآن الكريم قد تضمن مبدأ الحرية الدينية في عدة مواضع، منها ﴿**لاَ إِكْرَاه فِي الدين**﴾ [(5)]، أي لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام، فالنفي بمعني النهي، ونزلت هذه الآية حينما استأذن الرسول بعض الصحابة فـي إكراه أولاد بني النضير الذين جلوا عن المدينة علـى الإسلام ومنعهم من الخروج مع آبائهم اليهود، غير أن الرسول لم يأذن بذلك، وكان ذلك قبـل فـتح مكـة،



وتوضح الآية أيضاً أن الإيمان، وهو أصل الدين وجوهره، هو عبارة عن إذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان والإقناع. ويروى في سبب نزولها عن ابن عباس رضي ا عنهما، أنها نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً، فقال للنبي صلى ا عليه وسلم: ألا استكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل ا الآية، كما يروى أنه حاول إكراههما فاختصموا إلى النبي فقال الرجل: يا رسول ا أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه، فنزلت الآية.

فالإسلام أعطى لكل فرد في ظله حق الحرية في أن يختار بين الكفر أو الإيمان، كما أن التاريخ الإسلامي كله يخلو من فرض المسلمين لدينهم بالقوة والإكراه على الرعايا غير المسلمين أو اضطهادهم شعبا، ولذلك جاء في عهد عمر ابن الخطاب لأهل القدس" هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان:" فأعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا

من خيرها ولا من صلبهم ولا يكرهون ولا يضار أحد منهم، ونفس هذا أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر عند فتحهـا [٦]. ويتبع هذه الحرية أيضاً حرية المناقشات الدينية، فينصح ا تعالى المسلمين أن يلتزموا العقل والمنطق في مناقشاتهم مع غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى وأن يكون أساس الإقناع هو الحجة والدليل المنطقي، قال تعـالى" وادع إلـى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بـالتي هـي أحسن"[٧].

وكما يقول الإمام محمد عبده:"كان معهودا عنـد بعـض الملل، ولا سيما النصارى، حمل الناس على الـدخول فـي دينهم بالإكراه، وهذه المسألة ألصق بالسياسة منهـا بالـدين، لأن الإيمان، وهو أصل الدين وجوهره، عبارة عن إذعـان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكـراه ونمـا يكون بالبيان كما جاء الإسلام بذلك"[٨]

- الحرية السياسية: وهناك حرية واسـعة فـي العمـل السياسي في الإسلام، حرية سياسية شـاملة تتضـمن النقد السياسـي والمشـاركة السياسـية والممارسـة السياسية وحرية الكلمة وحرية الفكر، وليس أدل على

ذلك بالحرية الشاملة والمساجلة الرائعة للنبي الكـريم وصحابته الأبرار في الحديبية، والتي كانـت مثـالا للعمل السياسي الكامل، ولم يكـن موقـف الحديبيـة الموقف الوحيد بين الرسول وأصحابه، لأن الصحابة كانوا أحراراً مع الرسول في جميع مواقـف السـلم والمعاهدات، وكانوا كذلك في جميع الشؤون الخاصة لا يجدون حرجاً في أن يبوحوا بما في صدورهم ومن أن يعلنوا مخالفتهم أو معارضتهم، ومن المؤكد أن كل شورى إنما هي في حقيقتها حرية كاملة، كمـا أخـذ الرسول صلى ا عليه وسلم في بعض الأحيان بأقوال المعارضين، فنزل عن رأيهم، لمـا رأى فيـه مـن الصواب، وكان ذلك في أمور هامة لحياة المسـلمين مثل موقعة أحد وصلح غطفان وغيرها [٩].

وفي حديث عبادة بن الصامت قول فصل فـي مسـاحة الحرية السياسية الواسعة في الإسلام حيث قال" بايعنا رسول ا على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهلـه وعلـى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في ا لوم لائم"[١٠].

والحرية السياسية متاحة لكل الناس، والمراد بهذه الحرية أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية، فالحرية السياسية متاحة للجميع في ظل الإسلام من خلال المشاركة السياسية والنقد السياسي والتوجيه السياسي والممارسة السياسية والمعارضة السياسية، لأن الإسلام يبني المواطن الإيجابي الفاعل في بيئته ومجتمعه.

ويعلن أحد المفكرين، أن الحرية السياسية في الإسلام تقوم على المبادئ التالية[١١]:

- أنها حق لكل مواطن، لا يحد منها حد، إلا أن تؤدي إلى شر أو فتنة فعند ذلك تمنع أو يحد منها دفعاً لضرر الأكبر.
- يجب على رئيس الدولة أن يعمل جهده على تهيئة الجو في المجتمع المسلم لممارسة الحرية السياسية على الصورة التي يريدها الإسلام وفي حدود نظامه وأن يربي الناس على هذه الحرية.

- أن على رئيس الدولة أن يوطد نفسه علـى الصـبر وتحمل ما قد يلاقيه من نقد من المواطنين.
- يجب أن يخضع الحاكم للنقد البناء الحق من أي إنسان جاءه لأن الحق أحق أن يتبع والحق فوق الجميع.

ـ حرية التنقل: ويقصد به حق الشخص في التنقل داخل بلاده أو الخروج منها والعودة إليها دون ثمة قيـد إلا المصلحة العامة، ودعا الإسلام للتنقل لكافة الأغراض السياحية واكتساب الرزق، كما قيد السفر يكون عقوبة على ما يقوم به الفرد من فساد فـي الأرض ليكـون جزاؤه النفي من الأرض.

ـ حرية التعلم والتعليم: وهي حق كل فرد في أن يأخـذ نصيباً من العلم، وحق الفـرد فـي أن ينقـل علمـه وتجاربه للآخرين، وكانـت دعـوة الإسـلام للـتعلم والتعليم دعوة واسعة وأساسية، وكذلك حرية المـتعلم في تعلم ما يشاء (أي بما يتناسب مع قدراته وميولـه ورغباته)، حتى أن الإسلام جعل تعلم العلوم الشرعية واجبا مفروضاً وجعل تعلم العلـوم الحياتيـة واجبـاً كفائياً.

- حرية الرأي: تستند حرية الرأي في الإسلام إلى أساسين: الأول: الشورى وهو حق للأفراد وواجب على الحكام، والثاني: تكليف كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقرير هذا الواجب يستلزم إبداء الرأي بحرية في المنكر المراد تغييره أو المعروف المأمور به، وحرية الرأي واسعة في الإسلام، ولكنها مقيدة بمصلحة الجماعة ولهذه المصلحة مجموعة من القيود: أن يكون قصد صاحب الرأي بذل النصح الخالص، وأن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس العلم والفقه، فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم في الأمور الاجتهادية ولا يجوز إحداث فتنة في الشريعة بحجة إبداء الرأي، كما لابد وأن يراعي المعاني الأخلاقية في الإسلام، فلا يجوز للفرد الخوض في الأعراض وسباب الناس وإلصاق النقائص بهم بحجة حرية الرأي، فالحرية تقف عند الحد الذي تتحول فيه إلى أداة فساد وإضرار لقوله تعالى (لا يحب ا الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم)[١٢]. وحرية الرأي من

حرية الفكر، فالعقل خاصة الإنسان وامتيازه وشـرفه وهو مناط التكليف والخطاب الإلهي، فبالعقـل كـان الإنسان إنساناً وكان امتيازه وتفضيله علـى غيـره، ولذلك كان التفكير فطـرة إنسـانية وعمـل العقـل ورسالته، بل وطلب اله عز وجل منا أن نتفكر في كل شيء حتى خلق السماوات والأرض، قال تعـالى" إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون ا قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هـذا بـاطلاً سـبحانك فقنـا عـذاب النار"[١٣].

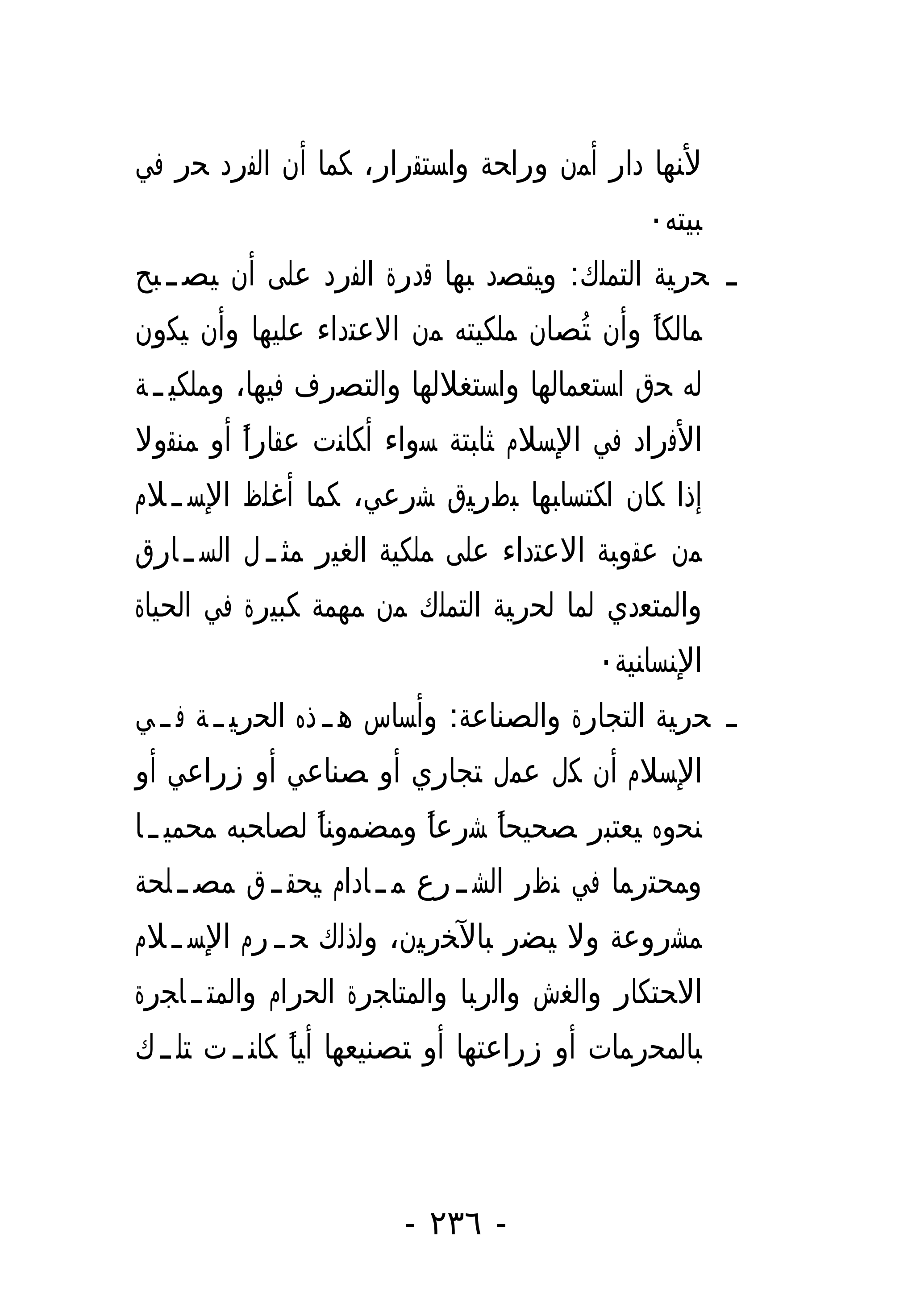
- فالإسلام يطلب من المسلم وغيـر المسـلم الاجتهـاد والتفكير واستنفاذ الطاقة الفكرية واسـتنباط الأحكـام وكل شيء في سبيل استخدام العقل بحرية تامة وكاملة ومطلقة وخصوصاً في الاجتهاد، ولذلك كان وجـود المذاهب الفقهية تطبيق كامل لحرية الفكر في الإسلام، فكان أبو حنيفة النعمان وهو الإمام الأعظم يقول:" هذا رأي أبو حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا

بخير منه فهو أولى بالصواب" والإمام مالك يقـول:" أنا أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيـي، فمـا وافـق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق فاتركوه" وهـذا الأمر غاية إعمال حرية الفكر والـرأي حتـى فـي المسائل الدينية [١٤].

ـ حرية الضمير: وهي أساسية في الإسلام، حيـث لـم يضع الإسلام قيوداً على الضمير الإنساني تحول بينه وبين الانطلاق والتقدم، فصلة المرء بخالقـه صـلة مباشرة لا تحكمها وساطة ولا طقوس كهنوتية، وهي صلة يحكمها الضمير ويحكمها قانون الأخلاق، وهـو قانون مرن يوائم النفس البشرية ويساير التقـدم فـي مختلف البيئات وفي شتى الأزمنة والعصور: قوامـه الكرامة الإنسانية أولا واتساع النظر والتسامح ثانيـاً، كما أن حرية الضمير في الإسـلام تعنـي ألا يـرى الإنسان إلا ما يؤمن به ولا يقول إلا ما يعتقـد أنـه الحق، فلا مداجاة في الإسلام ولا نفاق، وما من إنسان إلا ويحمل وزر نفسه، ولا تذر وازرة وزر أخرى[١٥]

ـ حق الأمن للفرد يساعد في حريته الكاملة: ويقصد بحق الأمن حماية الإنسان في نفسه وماله وعرضه وكذلك سلامته ومنع الاعتداء عليه أو التحقير من شـأنه أو تعذيبه واضطهاده سواء أكان ذلك من أفراد المجتمـع أو الدولة إلا بحكم قضائي أو لمصلحة عامة، فحرمت الشريعة الإسلامية الاعتداء على أي شخص أخـر إلا إذا كان ظالماً، قال تعـالى (فـلا عـدوان إلا علـى الظالمين)[١٦]، وقول الرسول صلى ا عليـه وسـلم (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ومالـه)[١٧]،والحريات كلها مكفولة في هذا الحديث الشريف.

ـ حرية المسكن: لأن المسكن هو الذي يأوى الشـخص إليه ويتقي فيه حر الصيف وبرد الشتاء ويكـون لـه مكاناً آمناً للاستقرار والسكن. وكـذلك فالسـكن لـه حرمات وحقوق، فلا يجوز اقتحامـه دون إذن مـن صاحبه إلا إذا وجد مبرر شرعي أو قانوني وتحـت إشراف السلطة المختصة وهي العدل، كمـا حرمـت الشريعة الإسلامية التجسس على الأفراد في مساكنهم

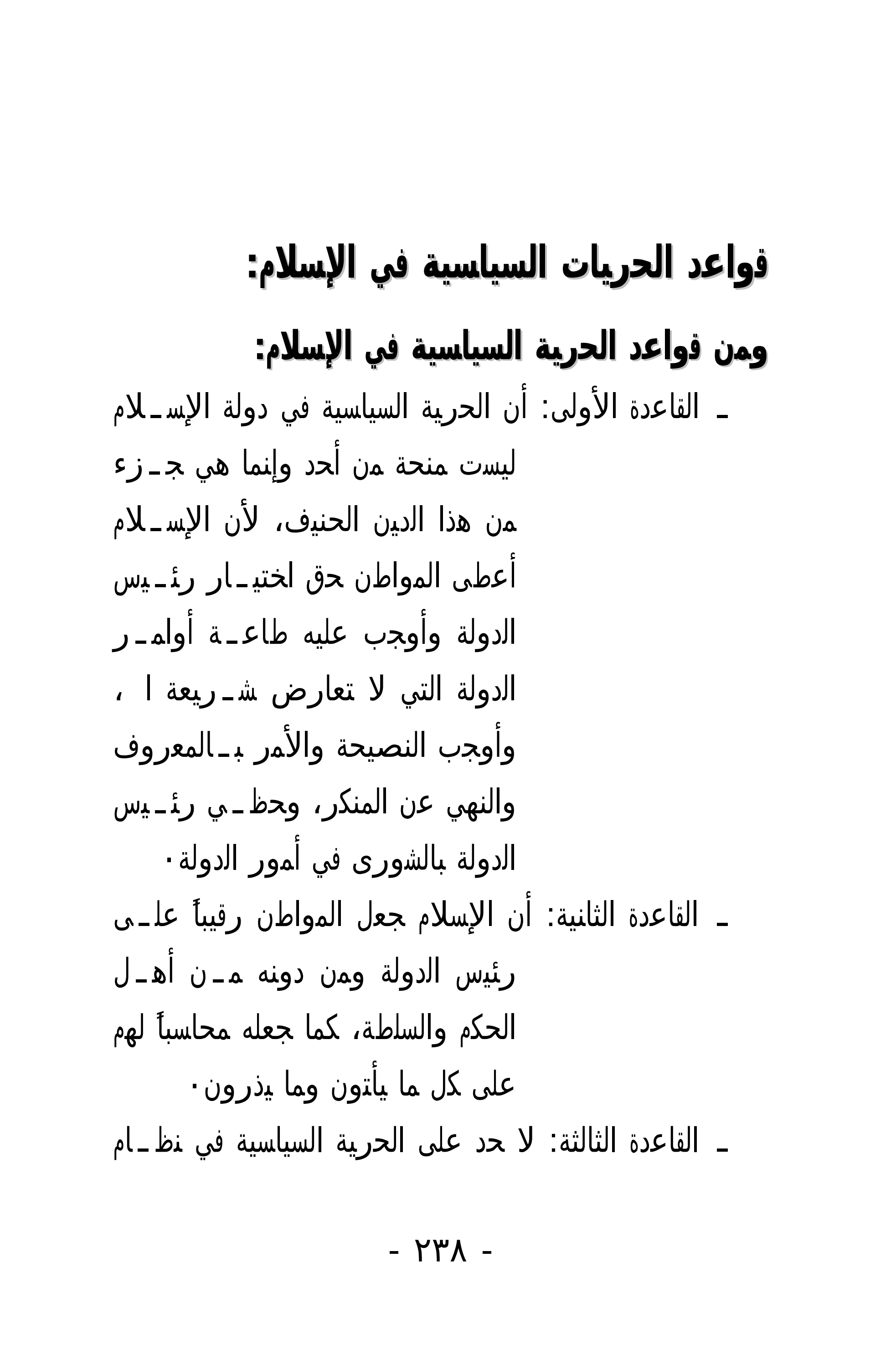


لأنها دار أمن وراحة واستقرار، كما أن الفرد حر في بيته.

- حرية التملك: ويقصد بها قدرة الفرد على أن يصبح مالكاً وأن تُصان ملكيته من الاعتداء عليها وأن يكون له حق استعمالها واستغلالها والتصرف فيها، وملكية الأفراد في الإسلام ثابتة سواء أكانت عقاراً أو منقولا إذا كان اكتسابها بطريق شرعي، كما أغلظ الإسلام من عقوبة الاعتداء على ملكية الغير مثل السارق والمتعدي لما لحرية التملك من مهمة كبيرة في الحياة الإنسانية.
- حرية التجارة والصناعة: وأساس هذه الحرية في الإسلام أن كل عمل تجاري أو صناعي أو زراعي أو نحوه يعتبر صحيحاً شرعاً ومضموناً لصاحبه محميا ومحترما في نظر الشرع مادام يحقق مصلحة مشروعة ولا يضر بالآخرين، ولذلك حرم الإسلام الاحتكار والغش والربا والمتاجرة الحرام والمتاجرة بالمحرمات أو زراعتها أو تصنيعها أياً كانت تلك

المحرمات، لضمان مصلحة الناس والمجتمع في هذه التجارة أو الصناعة أو الزراعة.

- وهذه الحريات تعني حق الحياة في المجتمع الإسلامي والإنساني دون قيود تحط مـن مركـز الإنسـان أو تضعفه، ودون الإضرار بحقوق وحريات الآخـرين، وهذه الحريات حريات أخلاقية قبل كل شيء، فالحرية مسألة نسبية لا تتحقق كاملـة لأي فـرد كـان، لأن الحرية الكاملة لشخص تعني أنه يفعل كل مـا يريـد وقتما يريد أينما يريد أو لا يفعل شيئاً على الإطـلاق، وهذه الحرية لا توجد إلا في عـدم وجـود مجتمـع أساساً، ولما كانت الحرية لا تقوم إلا بـين الأفـراد، فكانت هذه الحرية نشاط نسبي تحدده علاقـة الفـرد بالجماعة، ولكي يحصل الفرد على نصيبه من الحرية يجب أن يحترم حقوق وحريات الآخرين[١٨].



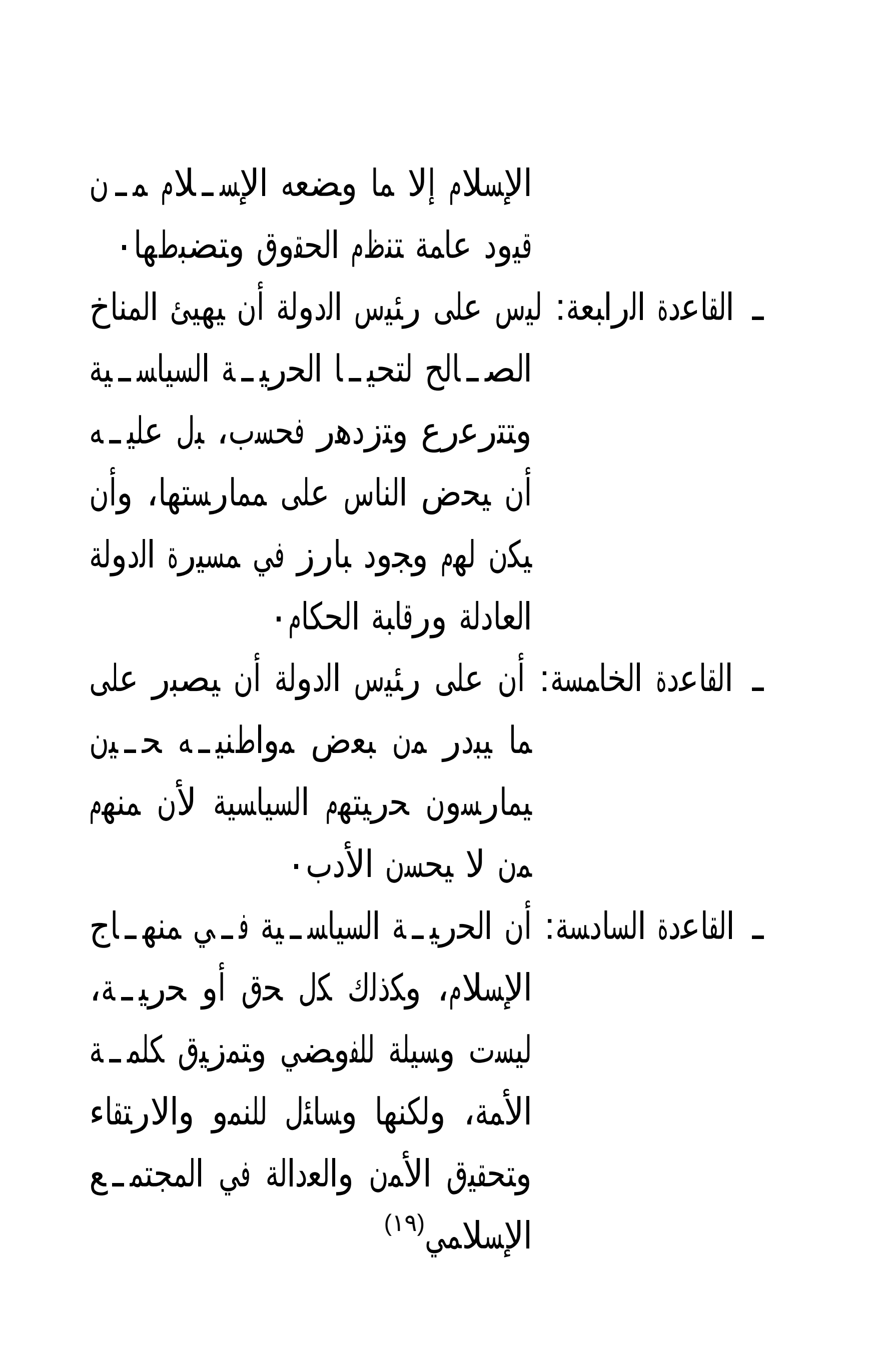
قواعد الحريات السياسية في الإسلام:

ومن قواعد الحرية السياسية في الإسلام:

ـ القاعدة الأولى: أن الحرية السياسية في دولة الإسلام ليست منحة من أحد وإنما هي جزء من هذا الدين الحنيف، لأن الإسلام أعطى المواطن حق اختيار رئيس الدولة وأوجب عليه طاعة أوامر الدولة التي لا تعارض شريعة ا ، وأوجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحظي رئيس الدولة بالشورى في أمور الدولة.

ـ القاعدة الثانية: أن الإسلام جعل المواطن رقيباً على رئيس الدولة ومن دونه من أهل الحكم والسلطة، كما جعله محاسباً لهم على كل ما يأتون وما يذرون.

ـ القاعدة الثالثة: لا حد على الحرية السياسية في نظام



الإسلام إلا ما وضعه الإسـلام مـن قيود عامة تنظم الحقوق وتضبطها.

ـ القاعدة الرابعة: ليس على رئيس الدولة أن يهيئ المناخ الصـالح لتحيـا الحريـة السياسـية وتترعرع وتزدهر فحسب، بل عليـه أن يحض الناس على ممارستها، وأن يكن لهم وجود بارز في مسيرة الدولة العادلة ورقابة الحكام.

ـ القاعدة الخامسة: أن على رئيس الدولة أن يصبر على ما يبدر من بعض مواطنيـه حـين يمارسون حريتهم السياسية لأن منهم من لا يحسن الأدب.

ـ القاعدة السادسة: أن الحريـة السياسـية فـي منهـاج الإسلام، وكذلك كل حق أو حريـة، ليست وسيلة للفوضي وتمزيق كلمـة الأمة، ولكنها وسائل للنمو والارتقاء وتحقيق الأمن والعدالة في المجتمـع الإسلامي[١٩]

وكذلك أعطى الإسلام للإنسان حرية الكلمة، بحيث يقـول ما يعتقد أنه حق ويدافع عنه بلسانه وقلمـه، ولقـد أعطـى الإسلام للإنسان أن يبدي رأيه في شئون الحياة العامـة مـن تصرفات الناس وهو ما يسمى بالنقـد، بشـرط أن يكـون الغرض من هذا النقد تصحيح مسار الآخرين وعدم التشهير بأحد لأن رسول ا صلى ا عليـه وسـلم يقـول (الـدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول ا ؟، قال: وارسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، وكذلك يعطي الإسـلام حريـة للفـرد ليشارك في اختيار الحاكم إما عن طريق بيعة جمهور الشعب ورضاه بمن اختاره أو أن يكون ذلك عن طريق الانتخـاب، لأن المسلم في الدولة مطالب بأن يشارك في صنع القـرار، ولن يكون ذلك إلا إذا شارك الإنسان في اختيار الحاكم، لأن التهرب من الإدلاء بالرأي هو موقف سلبي، والإسلام لا يقر السلبية في حياة الناس ولا يرضى أن تكون السلبية خلقاً من أخلاق المسلمين، كما أن الإسلام يحثنا على المشاركة بحرية في تقرير مصير أوطاننا، فلقد أمرنا الرسول صلى ا عليه وسلم بذلك حين قال" من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمس ناصحاً وارسوله ولكتابه ولإمامـه ولعامـة

المسلمين فليس منهم"[٢٠]، وما أروعها من دعوة إلى الحرية الشاملة الكاملة التي تنبع من مفهوم إنسـاني متكامـل يبـدأ بالعدل الذي يشكل مجموعة القيم الإنسانية والسياسـية، ثـم يندرج تحته الحرية والمساواة والانتماء وغيـره مـن القـيم السياسية والإنسانية.

والإسلام دعانا للمشاركة الجادة فـي العمـل السياسـي باختيار أصدق وأحسن الممثلين لنا في المجالس النيابية التي تُمثل أهل الحل والعقد، وذلك من أجل أن يكون المحكوم من بيننا، ومن أجل غاية نبيلة هـي ضـمان لأمـن المجتمـع وسلامته، ولذلك قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم" خيار أئمتكم الذين تحبـونهم ويحبـونكم وتصـلون علـيهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم، قال أحد الصحابة: يا رسـول الله أفـلا ننابذهم عند ذلك؟، قال الرسول: لا.. ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولّى عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكـره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة"[٢١]

فحرية الإنسان ليس عليها من حدود أو قيود إلا ما نهـت عنه الشريعة الإسلامية مما يضر بالنفس أو المال أو يفسـد

حال الجماعة الإسلامية، وليست الشريعة تعاليم غيبية يجمـد أمامها أو يقصر دون إدراكها الفكر، فهي توائم بين حريـة الإرادة وحرية العقل، ومشيئة الإنسان فيهـا وليـدة العقـل والإدراك، وفيها ما يحض على التفكير ويدعوا إليـه، ومـا ضرب ا الأمثال للناس لا ليدعوهم إلى التفكير وما يبـين لهم الآيات إلا ليتأملوا ويتفكروا، فمن عبارات القرآن: أفـلا يعقلون؟ ـ أفـلا يتفكـرون؟ ـ أفـلا يتـدبرون؟ ـ أفـلا يبصرون؟ ـ أليس منكم رجل رشيد؟ ـ أفلا تتـذكرون؟ ـ وكلها تطلق حرية التفكير والتأمل، فلا حرية للإنسان بـدون حرية للتفكير، فحرية التفكير قرين حرية الرأي، وهي حرية ترمي في النهاية إلـى تـوقير الحيـاة وإعـلاء الكرامـة الإنسانية[٢٢].

والإسلام أول من أخرج الناس من العبودية إلى الحريـة، فالعبودية في المفهوم الإسلامي لا تكون إلا عـز وجـل (إياك نعبد)[٢٣]، والعبودية عز وجل تُحقق للإنسان كمـال الحرية وأسمى درجات الحرية البشرية، فهو حر إزاء كـل صنوف القهر التي يتعرض لها، وإنه لا يستشعر القهر أمـام موجود غير ا ، ولا يستشعر القهر أمام الطبيعة أو البيئة أو

النفس أو الأسرة أو المجتمع أو الزعيم أو المال أو المال أو الشهوة أو الحرمان أو السجن أو الموت، إنـه لا يستشـعر القهر أمام شيء من ذلك، لأنه قد استفرغ حاجته للعبودية في توجهه   وحده، فاستشعر الحرية كاملة في أسمى معانيهـا وفي أسمى درجاتها البشرية وأصفى معانيها الإنسانية.

ولقد أنعم ا   علينا بحرية الفكر وحرية البحـث العلمـي والحرية المسؤولة في العقيدة، فلقد قال سـبحانه وتعـالى(لا إكراه في الدين) بعد أن يكون (قد تبين الرشد مـن الغـي) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شـاء فليكفـر) وأنعم ا   علينا بالحرية المسؤولة في العبادة، فلقد جاء فـي عهد الأمان من عمر إلى أهل إيلياء (إنه لا تسكن كنائسـهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من أموالها ولا يكرهون علـى دينهم ولا يضار أحدهم) وأنعم ا   علينا بالحريـة السياسـية المسؤولة أيضاً، يقول أبو بكر الصديق رضي ا   عنه فـي أول خطبة له بعد أن تولى الخلافة (أيها الناس إنـي وليـت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فتـابعوني وإن صـدفت فقوموني، القوى فيكم قوى حتى آخذ الحق منـه والضـعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له، أطيعوني ما أطعت ا   ورسوله

وإن عصيت فلا طاعة لي عليكم) وتأتي هذه الحرية السياسية في أوسع معانيها في الشورى الذي هو جزء مـن التكـاليف الشرعية الإسلامية على المسلم وليست ترفا يمارسه الفرد أو الجماعة بل واجبا يلتزم به المجتمع، فالحرية مفهومها واسع وهي من القيم الرئيسية في الفكر الإسلامي.

فالحرية السياسية مكفولة بأوسع معانيها في الإسلام، نعـم هي مكفولة كجناح من أجنحة الحكم، وعدم القيام بالحرية هو خيانة للأمانة التي أعطانا ا إياها، فالأمانة تقتضي أن نعلن عن رأينا بكل صدق وبكل صراحة ووضوح دون لـبس أو دون تضليل، فلقد قال ا عز وجل" ولا تكتمـوا الشـهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وا بما تعملون عليم"[٢٤]، وكـذلك قال ا عز وجل يحثنا على ذلك" يا أيهـا الـذين آمنـوا لا تخونوا ا والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون"[٢٥].

ولا بد أن نعلم أن الحرية السياسية في الإسلام هي أساس صلاح الحكم وقوة الدولة ورقي الأمة، ففيها تصان الكرامـة وتزدهر القيم والفضائل وتتفتح القرائح والعبقريـة وترعـى الحقوق وينتشر العدل وتعم السعادة وتعمر الـبلاد ويسـعد العباد، فالدولة في المنهاج الإسلامي السياسي لم تولد بفضل

أحد، وإنما ولدت مع ظهور هذا الدين الخالد في مجتمـع لا عهد له بالدولة ولا بأصول الحكم والسياسة، ورئـيس دولـة الإسلام لم يل الرئاسة إلا بإرادة الأمة وبيعتها بغية تحقيـق رسالة الدولة في حماية الدين والسهر على مصـالح الأمـة، فإن قام بذلك كانت له على الأمة حقوق، وإلا جاز للأمـة أن تسترد منه الرئاسة لتعطيها لمن تريد، وهذه قمة الحرية وقمة الاختيار[٢٦].

الحرية والمعارضة:

الحرية بجميع أنواعها كانت ومازالت قاعدة أصيلة مـن قواعد نظام الحكم في الإسلام، سواء أكانت حرية فرديـة أو اجتماعية أو سياسية أو دينية، ومادامت هذه القاعدة أصلاً من أصول الإسلام فإن المعارضة نتيجة طبيعية لها.

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تطبيقاً لقول الحـق (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تؤمرون بالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون با)[٢٧]، تعني أن الحاكم مراقب مـن كل فرد من أفراد الأمة يحاسبه على الزلة والهفوة وينبهه إلى الخطأ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فـرض علـى

المسلمين ولكنه فرض كفايه إذا فعله البعض سقط عن الباقي.

كما أن المعارضة في السيرة حافلة، فلقد روي عن سلمان بن ربيعه قال: قال عمر: قسم النبي قسماً فقلت: يا رسول ا وا لغير هؤلاء أحق به منهم، فقال: إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش وبين أن يبخلوني ولست بباخل)[٢٨]، ويدل على المعارضة وموافقة لرأي عمر.

ومن المعارضة الشديدة ما ظهر بعد صلح الحديبية، فهو موقف معارضة واضح في أمر سياسي مهم، لأنه من خلاله تعلقت الحرب بين الرسول صلى ا عليه وسلم وبين قريش عشر سنين. كما ظهرت المعارضة عقب وفاة النبي صلى ا عليه وسلم في اجتماع السقيفة في بني ساعده بين الأنصار والمهاجرين.

وهناك مواقف عديدة للمعارضة منها معارضة عمر لأبي بكر، ومعارضة المرأة لعمر في تحديد المهور ومعارضة طلحة والزبير لعمر وغيرها من المواقف الإسلامية التي تُثبت أن الحرية والمعارضة ركن أساسي من أركان النظام السياسي في الإسلام[٢٩].

والإسلام أعطي المسلم حرية واسعة، فهي مبدأ من مبادئ الإسلام وقيمه من قيمه العظيمة، وعندما نقرأ قـول الحـق ﴿ **ولَقَد كَرمنَا بنِي آدم وحملْنَاهم فِي الْبر والْبحرِ ورزقْنَاهم من الطيباتِ وفَضلْنَاهم علَى كَثِيرٍ ممن خَلَقْنَا تَفْضِـيلاً**﴾[٣٠]، نتعرف على أن الكرامة هي الحرية، فما يوجد أعظـم مـن الحرية كرامة ومن الحرية تفضيلاً، ذلـك أن الحريـة روح الحياة وجوهرها وأن حياة بلا حرية تصبح تافهـة الشـكل والمظهر ورثة بلا مضـمون، كمـا أن الإسـلام لا يكلـف الإنسان بأحكامه إلا لمن لديه حرية الإرادة وحرية الاختيار، لقوله عز وجل ﴿**مِنْكُم من يرِيد الـدنْيا ومِـنْكُم مـن يرِيـد الآخِرةَ**﴾[٣١]، فالحرية وفق المنهج الإسلامي ليست مطلقة ولا سائبة، لأن الإنسان يحتل في النظام الإسلامي مكانة رفيعـة، فحرية الإنسان في الإسلام مقيدة بنوعين من القيـود: الأول: لضبط سلوكه حتى لا تنحط ذاته إلى الدونية التي لا تليق به، فيفقد كرامته ويفقد تفضيله على الكثير مما خلق ا ،والثاني: لضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمـع الواحـد، ولضبط علاقـة الإنسـان بـالمجتمع والمجتمـع بالإنسـان

والمجتمعات البشرية بعضها ببعض،إذ بغير هـذا الضـبط تضيع الحقوق وتعم الفوضى وينتشر الظلم[٣٢].

ولعل من أهم الحريات التي تُظهر ارتباط الحرية بالعدالة في الفكر والفقه الإسلامي هي حرية القاضي واستقلاله، وهي من الحريات التي نالتها السلطة القضائية أخيراً مـن خـلال استقلال السلطات، فالقاضي له كامل الحرية في قضائه فـي الحياة الإسلامية، وأن يقضي بما يؤدي إليه اجتهاده ولو كان على خلاف مذهبه، وليس حتى لقاضي سلطان على قاضـي آخر، لأن القاضي مهمته الأساسية هي نشر العـدل ورفـع الظلم، فلابد من حرية كاملة تامة له، وهذا نموذج آخر مـن الحريات التي كفلها الإسلام (٣٣)

ولقد قال الشاعر العربي أبو تمام في الحرية(٣٤):

سأصـرف وجهي من بلاد غدا بها

لساني معقوداً وقلبي مقفلا

وإن صريح الحزم والرأي لأمريء

إذا بلغته الشمس أن يتحولا

أسمى الحريات السياسية:

وهناك في الإسلام حرية كاملة للاعتقـاد، فلقـد نـادى الإسلام بحرية الاعتقاد في وقت كانت البشرية ترزخ تحـت عبودية التقليد في العقيدة والإيمان، وكانت الأمم لا تتصـور أن حرية الاعتقاد موجودة، قال تعالى (وقل الحق من ربكـم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظـالمين نـاراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشـوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)[٣٥]، وقال سبحانه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لهـا وا سميع عليم)[٣٦]، وقال عز وجل (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنـت تكـره النـاس حتـى يكونـوا مؤمنين)[٣٧]

القرآن الكريم يؤصل مبادئ الحرية:

أعطي القرآن الحرية الكاملة للمسـلم بشـرط ألا يـؤذي الإنسان الآخر وإلا وجبت العدالة٠٠ فالحرية تتشكل وتنبثـق من العدالة٠ قال تعالي" كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثي بالأنثى"[٣٨]

وقال عز وجل" يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثـوا النساء كرهاً"[٣٩]. وقال عز وجل" وإذا طلقتم النساء فـبلغن أجلهن فلا تعضلوهن"[٤٠]. وقال تعالي" ولا تصـعر خـدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا"[٤١].وقال ا تعالي" ولا تمش في الأرض مرحا"[٤٢] وقـال سـبحانه" لـيس علـي الضعفاء ولا علي المرضي ولا علي الذين لا يجـدون مـا ينفقون حرج"[٤٣]، وقال تعالي" فمن نكث فإنما ينكث علـي نفسـه" [٤٤] وقـال سـبحانه" هـل جـزاء الإحسـان إلا الإحسان"[٤٥]. وقال عـز وجـل" وجـادلهم بـالتي هـي أحسن"[٤٦]. وقال ا تعالي" ثم جعل من بعـد ضعف قـوة ثم جعـل من بعـد قـوة ضـعفا وشـيبا"[٤٧]، وقـال ا تعـالي"ولقـد علمنـا المسـتقدمين مـنكم ولقـد علمنـا المستأخرين"[٤٨].

مواقف من الحرية في عهد الرسول والصحابة:

منح محمد صلى ا عليه وسلم البشر لأتباعه المتضامنين معه والمستميتين له حرية في التفكير والرأي لم يمنح مثلهـا أي رجل عظيم متفان في حب المساواة والديمقراطية، منحها لمن كان تحت إمرته من بني جنسه، وإذا تأملنا فيمـا كـان

لرسول ا في قلوب أتباعه من حب عميق ومكانـة سـامية وإجلال غير محدود، لرأينا في الجانب الآخر كيف كان يميز دائماً بين مكانته الشخصية ومكانته النبوية في معاملاته لهـم وتصرفاته معهم، وكيف كان يخولهم الحرية التامة في الرأي والتفكير ويحفزهم على الاختلاف معه في آرائه الصادرة عن مكانته الشخصية مع جعله إياه يطيعونه طاعة غير محـدودة على كل جوانبه النبوية، وهو عندما يعمل شيئاً من الناحيـة الشخصية يطلب منهم التفكير الحر والاستقلال العقلي وينفخ هذه الروح في نفوس أتباعه فيروضهم على أقـوم وأسـمى المبادئ الديمقراطية، ويعلمهم أبعاد مزاولة الحرية الفكريـة تجاه كل إنسان حتى تجاه الرسول شخصـياً، فتـراه يقـول لأصحابه: إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء مـن ديـنكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنـا بشـر[(٤٩)]. وبالإضافة إلى ما سبق الاستشهاد به، فنقف أمام بعض نماذج ممارسة الحرية في عهد النبي وصحابته:

- وثيقة المدينة المنورة التي كتبها الرسـول صـلى ا عليه وسلم عقب هجرته للمدينـة وتأسـيس الدولـة الإسلامية بها، والتي أعطت للمسلمين من المهاجرين

والأنصـار واليهـود القـاطنين بالمدينـة الحقـوق والواجبات ومن أهمها حرية الاعتقاد لليهود كما جاء في البند ٢٥ لليهود دينهم وللمسلمين ديـنهم مـواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، كما نصت المادة ٤٧ مـن هذه الوثيقة على مبدأ الحرية الشخصية (إن من خرج فهو آمن ومن قعد آمن بالمدينة) لأن الحرية الشخصية في جوهرها هي حق الأمن أي حق الفـرد فـي أن يمون آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عـرض أو مال أو مأوى وله الحرية في أن يروح ويغدو [٥٠].

ـ قصة ريحانة مع رسـول ا : روى الطبـري، كـان لرسول ا جارية من بني قريظـة سـمها ريحانـة، اصطفاها لنفسه من نسائهم، فكانت عند الرسول حتى توفي عنها وهي في ملكه، وكان الرسول قد عـرض عليها أن يتزوجها فقالت: يا رسول ا بل تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك، وكانت حين سباها قـد امتنعت عن الإسلام وأبت إلا اليهودية، فلم يكرههـا حتى أسلمت من تلقاء نفسها.

- وفي معاملاته صلى ا عليه وسلم كـان يـنفخ روح المساواة والحرية الفكرية حتى في العبيد والإماء، فلقد روي أنه كانت في المدينة جارية تدعى بربرة، لمـا اعتقها أهلها فارقت زوجها وكانت لا تحبـه، وكـان زوجها مولعاً بها، فشق عليه فراقها، وجعل يتبعهـا في كل مكان يبكي وليتشفع إليها النـاس، فقـال لهـا رسول ا : لو رجعت إليه، فقالت: أتأمرني يا رسول ا ؟، قال لها: لا آمرك ولكن أشفعه إليـك، فقالـت: فإذن لا أريد الرجوع إليه.

- النصارى يصلون صلاتهم في مسجد الرسـول: روى ابن هشام أنه لما قدم رؤساء نجران على الرسـول، دخلوا عليه المسجد حين صلى العصر، عليهم ثيـاب الحبرات (من برود اليمن) فلما حانت صلاتهم قـاموا في مسجد رسول ا يصـلون، فقـال رسـول ا : دعوهم، فصلوا إلى المشرق.

- لا يفتن أحد عن دينه: نلاحظ أنه تكاد تجد في جميـع الكتب التي وجهها الرسول إلى القبائل التي أسلمت أو التي عاهدها عبارة واحدة تتردد فيها جميعاً وهي (من

كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفـتن عنهـا وعليه الجزية)[51] ومعنى لا يفتن أي أنـه لا يحمـل بالإكراه على الخروج من دينه،وهـذا قمـة الحريـة السياسية في عهد النبي صلى ا عليه وسلم.

- فإذا بلغنا عهد الخلفاء الراشدين خاصة وجدنا الحريات العامة بأوسع معانيها بين جميـع الطبقـات، وبـين الصحابة خاصة وفي جميع الشؤون، ومن ذلك أن أبو يكر سوى بين الناس في العطاء يوم تولى الخلافـة، فآتاه عمر يقول له: أتسوي بين من هاجر الهجـرتين وصلى القبلتين ومن أسلم عام الفتح (أي فـتح مكـة) أهو خوف السيف؟، فقال له أبو بكر: إنما عملـوا وأجورهم على ا وإنما الدنيا دار بلاغ.، فقال عمر: لا أجعل من قاتل رسول ا كمن قاتل معه، فلما تولى عمر الخلافة وضع الديوان فضل السابقة.

- وكان أبو بكر إذا قال شيئاً برأيه يقول: هذا رأيي فـإن يكن صواباً فمن ا ون يكن خطأً فمني واستغفر ا ، ويقول عمر بن الخطاب: لا تجعلوا أخطاء الرأي سنة للأمة، ويقول الإمام مالك: إنمـا أنـا بشـر أخطـئ

وأُصيب، فانظروا ما في رأيي فكلما وافـق الكتـاب والسنة فخـذوه وكلمـا لا يوافـق الكتـاب والسـنة فاتركوه[٥٢].

- ويوم أحس أبو بكر بقرب خاتمته استشار الناس فـيمن يخلفه، ثم قرر أن يعهد إلى عمر بن الخطـاب، ولـم يرق ذلك لطلحة والزبير لأنهما كان يريـان أن فـي عمر التسلط على الناس ولا سلطان له، فكيف إذا هو ولّى الخلافة؟، فاستأذنا على أبي بكر فأذن لهما، فقالا له:ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا عمر؟، فقـال: أقول استخلفت عليهم خير أهلك.

وهذه الجرأة تدخل في باب المعارضة السياسية، والتـي تغلب فيها حكم الأكثرية على رأي الأقلية.

- وكان لعمر عبد نصراني اسمه أسق، حدث فقال: كنت عبداً نصرانياً لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغي أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم (فأبيت، فقال: لا إكـراه فـي الدين، فلما حضرته الوفاة احتضنني وقـال: اذهـب حيث شئت. وهذه حرية اعتقاد كاملة.

- كما روى عبد ا بن مصعب قال: قـال عمـر بـن الخطاب وهو على المنبر: لا تزيدوا في مهور النساء عن أربعين أوقيه، وإن كانت بنت ذي القصة (يعنـي يزيد بن الحصين وكان من الأغنياء) فمن زاد ألقيـت الزيادة في بيت المال. فقالـت امـرأة مـن صـف النساء:ما ذاك لك !، فقال عمر: ولم؟، قالت: لأن ا تعالى قال وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شـيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً (النساء الآيـة ١٩) فقـال عمر:امرأة أصابت وأخطأ عمر !، وهذا دليل علـى حرية الرأي والحرية السياسية الكاملة.

- وقصة عمران بن سوده مع عمر بن الخطاب وقولـه له: عابت أمتك منك أربعاً، فلما سردها دافع عنها، ثم تقبل رأي عمران، وكان يقول له في كل مـرة: قـد أصبت، ورجع عنها، وهو القائل لعمرو بن العـاص: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

- ولما وقعت الواقعة بين على وطلحة والزبير وعائشـة جرت مناقشة عامة حرة في مسـجد البصـرة بـين الحسن بن على وعمار بن ياسر ومسرون ابن الأجدع

وأبي موسى الأشعري، ثم اشترك فيها من كان حاضراً في المسجد وهي من اصح الأمثال على تطبيق مبدأ الحرية.

والأمثلة على الحرية وتطبيقها في العهود الإسلامية المختلفة عديدة وكثيرة[٥٣].

آراء في الحرية في المفهوم الإسلامي لدى بعض الفقهاء:

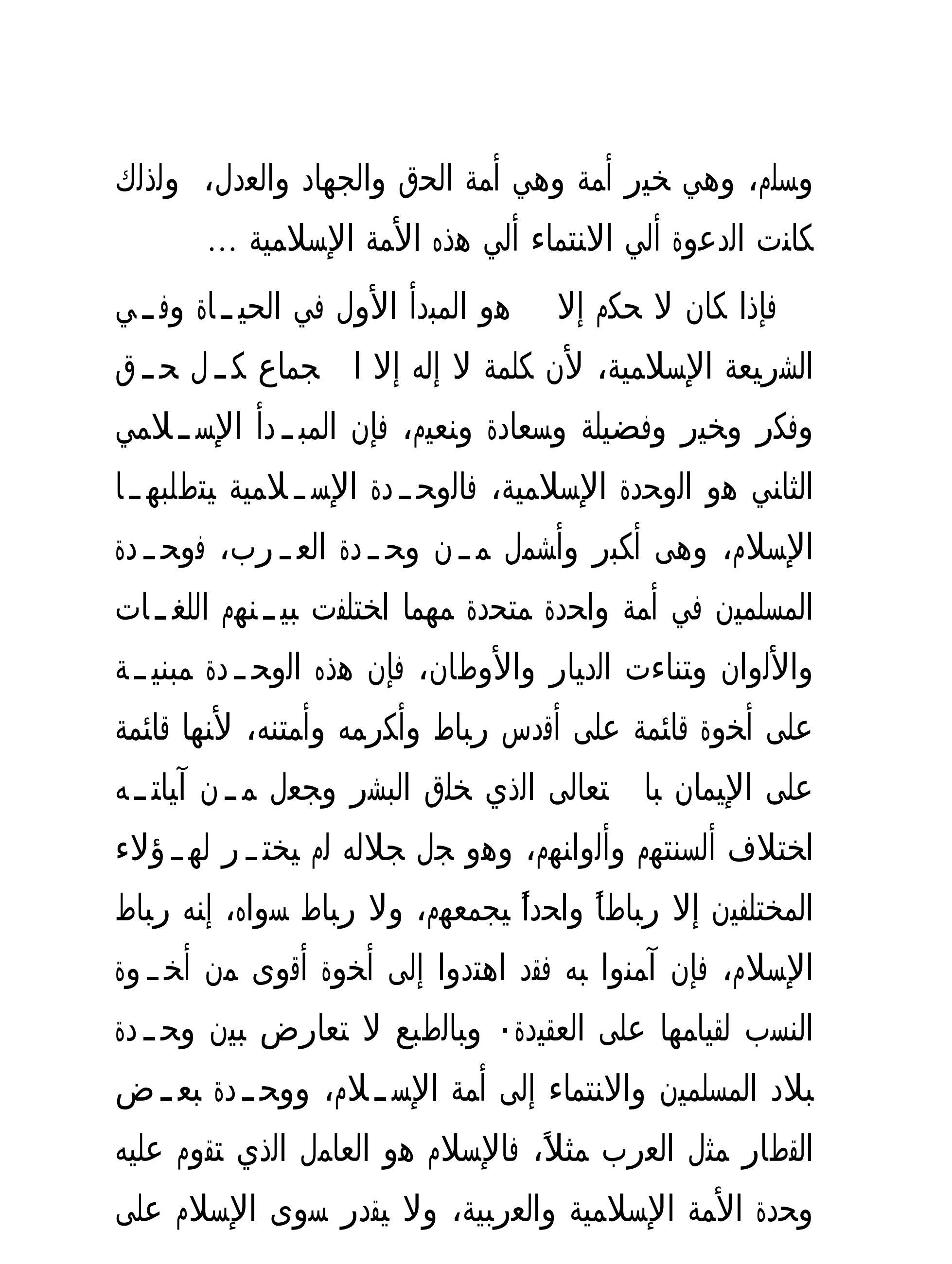
- ذهب الشيخ محمد أبو زهرة[٥٤] إلى أن الحرية الفردية في الإسلام لا تتصور إلا مقيدة، وإن الحر حقاً هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية الذي يضبط نفسه ويتجه بها إلى معالى الأمور، فهو لا يعتدي ويعطي لغيره ما يعطيه لنفسه ولأولاده ولأهله.
- الشيخ نديم الجسر يقول:إن جميع النصوص الشرعية الواردة بشأن الحرية الفردية في الإسلام في باب المعاملات والعقوبات والأخلاق الاجتماعية واستقصاها وجمعها على صعيد واحد وقارن بينها وجدها تتلاقى على المفهوم الآتي (لقد ولد الناس كل

الناس أحراراً، وحريتهم في الحياة مطلقة في كل شيء وتبقى مطلقة حتى تصطدم بالحق والخير (العدالة) سواء كان خير الفرد أو خير العائلة أو خير المجتمع، فإن الحرية الفردية تقف وتنكمش وتتقيد عند حدود العدالة) [55].

ونكتفي بهذه الأمثلة لمفهوم ومبدأ الحرية، باعتبارها قيمة رئيسية وأساسية في العقيدة الإسلامية وفي الفكر والتطبيق والعمل الإسلامي على مر الأزمنة والعصور، ولا شك أن تشكيل قيمة الحرية من خلال القيمة العليا في المجتمع وهي العدالة، أعطى للحرية في المنظور الإسلامي نكهة وشكل خاص يتميز بأنه الحرية المسؤولة الكاملة الملتزمة والمنتجة، وليست هي الفوضى والعشوائية بل والأنانية المفرطة التي نراها في كثير من الحريات المزعومة في عالم اليوم.

٢ ـ الانتماء إلي الأمة الإسلامية الواحدة

الأمة الإسلامية أمة موجودة بالفعل منذ يوم إعلان الإسلام ونزول الوحي علي سيدنا محمد صلي ا عليه



وسلم، وهي خير أمة وهي أمة الحق والجهاد والعدل، ولذلك كانت الدعوة ألي الانتماء ألي هذه الأمة الإسلامية ...

فإذا كان لا حكم إلا هو المبدأ الأول في الحيـاة وفـي الشريعة الإسلامية، لأن كلمة لا إله إلا ا جماع كـل حـق وفكر وخير وفضيلة وسعادة ونعيم، فإن المبـدأ الإسـلامي الثاني هو الوحدة الإسلامية، فالوحـدة الإسـلامية يتطلبهـا الإسلام، وهى أكبر وأشمل مـن وحـدة العـرب، فوحـدة المسلمين في أمة واحدة متحدة مهما اختلفت بيـنهم اللغـات والألوان وتناءت الديار والأوطان، فإن هذه الوحـدة مبنيـة على أخوة قائمة على أقدس رباط وأكرمه وأمتنه، لأنها قائمة على الإيمان با تعالى الذي خلق البشر وجعل مـن آياتـه اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وهو جل جلاله لم يختـر لهـؤلاء المختلفين إلا رباطاً واحداً يجمعهم، ولا رباط سواه، إنه رباط الإسلام، فإن آمنوا به فقد اهتدوا إلى أخوة أقوى من أخـوة النسب لقيامها على العقيدة. وبالطبع لا تعارض بين وحـدة بلاد المسلمين والانتماء إلى أمة الإسـلام، ووحـدة بعـض القطار مثل العرب مثلاً، فالإسلام هو العامل الذي تقوم عليه وحدة الأمة الإسلامية والعربية، ولا يقدر سوى الإسلام على

جمع رابطة المسلمين، ولذلك فالانتماء لأمة الإسلام من أهم القيم التي يجب الحفاظ عليها في عالمنا الإسلامي [٥٦].

ويقوم مفهوم الأمة في الإسلام على أساس عقيدي فكري" أيدلوجي" لا على أساس عرقي" أثنولوجي"، كما يقوم مفهوم الدولة على نفس الأسـاس، لا علـى أسـاس جغرافـي أو تاريخي" جيوبولتيكي" كما سنرى في الآيات القرآنية، ومـن هنا قامت أمة الإسلام ودولته على أساس إنسـاني عـالمي، ويرفض الإسلام لأمته ودولته أن تنغلقا على عصبية ضيقة، ففي الحديث" ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منـا مـن قاتل على عصبية" وهو يفتح السبيل لاسـتعراب أي مسـلم، فمن تعلم القرآن فهو عربي، فإنما العربية لسان وليست عرقاً ودماً، ومن تعلم القرآن فقد درب على اللسان العربي المتين كما تعلن الآيات ١٩٥ الشعراء و ١٠٣ النحل و٣٧ الرعـد و٢٨ الزمر و٧ الشورى و ١٢ الأحقاف و٢ يوسف والآيتان ٢، ٢٤ من سورة فصلت والآية ٣ من سورة الزخرف.

والإسلام دين عالمي الطبيعة والمعنى، ولذلك فإن رسـالة الإسلام وجهت للناس كافة، ولابد من نشر رسالة الإسلام في العالم بكل الوسائل الممكنة، قال تعالى" تبارك الـذي نـزل

الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا"[٥٧]، وقال سـبحانه" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"(٥٨)، وكذلك" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونـذيرا"[٥٩]، ولـذلك تنشـر الدولـة الإسلامية هداية دينها بسلوكها العملي المستقيم في سياسـتها الداخلية وفي المجال الدولي وذلك بحفظ العهـد ومناصـرة الحق ومقاومة العدوان والتعاون مع الجميـع علـى الخيـر والنفع.

ونقف أمام نص قرآني عظيم يجسد الانتمـاء إلـى أمـة واحدة هي أمة الإسلام، فيقول الله تعـالى مخاطبـا رسـوله الكريم" وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هـو الـذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فـي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم، إنـه عزيز حكيم"[٦٠]، فالألفة بين أبناء الأمة لا يمكن أن تـتم إلا بهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

فالإسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعاً، فلا جـرم أن يكون الاتحاد تحت راية التوحيد، فتوحيد الإلـه وتوحيـد الأديان جميعاً في دين الله وهو الإسلام، ولذا تصـبح قيمـة الانتماء لدين الله الإسلام من أهم القيم للمسلمين.

وسنري بعضا من الأدلة والنصوص بخصـوص هـذا الانتماء لأمتنا الإسلامية.

١- القرآن الكريم والأمة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ **ربنَا واجعلْنَا مسلِمين لك ومِن ذُريتِنَا أُمـةً مسلِمةً لك** ﴾ [٦١]. وقال سبحانه﴿ **تِلْك أُمةٌ قَد خلَتْ لَها مـا كَسبتْ ولَكُم ما كَسبتُم**﴾[٦٢]، وا تعـالى يقـول:﴿ **وكَـذَلِك جعلْنَاكُم أُمةً وسطًا لتَكُونُوا شُهداء**﴾[٦٣]. وقال عز وجـل:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف"[٦٤]. وقال عز وجل" كنتم خير أمـة أخرجـت للنـاس تـأمرون بالمعروف"[٦٥]. وقال المولى جل جلاله" ومن أهل الكتـاب أمة قائمة يتلون آيات ا "[٦٦]. وقال سبحانه" ولـو شـاء ا لجعلكم أمة واحدة"[٦٧]. وقال ا تعالى" منهم أمة مقتصـدة وكثير منهم ساء ما يعملون"[٦٨]. وقال عز وجل" ولو شـاء ربك لجعل الناس أمة واحـدة"[٦٩]. وقـال تعـالى" كـذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم"[٧٠]. وقال سـبحانه" تتخذون أيمانكم وخلا بينكم أن تكونوا أمة"[٧١]. وقال ا عز وجل:" ولو شاء ا لجعلكم أمة واحدة ولكـن يضـل مـن يشاء"[٧٢]. وقال سبحانه وتعالى" أن هذه أمتكم أمة واحـدة

وأنا ربكم فاعبدون"[٧٣]. وقال عز وجـل" ولـو شـاء ا لجعلكم أمة واحدة"[٧٤]. وقال ا تعالى" وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"[٧٥]، فا عز وجل يجعل في الآيـة الأخيرة وما قبلها أن اتباع الدين الحق، مهما اختلفت لغـاتهم وألوانهم وتناءت ديارهم، أمة واحدة يلفهم الدين بأخوة سامية وقلب واحد. ولذلك يؤكد ا على وحـدة المسـلمين فقـال سبحانه" وأطيعوا ا وأطيعوا الرسول ولا تنازعوا فتفشـلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن ا مع الصابرين"[٧٦].

وأنه إذا نظرنا إلى التطبيق العملي لرسول ا صـلى ا عليه وسلم في أول وثيقة بعد ظهور الدولة الإسلامية الأولى وهي وثيقة المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلـى يثرب، نجد أن المادة الثانية بعد المقدمة (المادة الأولى) تعلن أن المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب أمة واحدة من دون الناس،وهي بذلك حددت الانتماء للأمة الإسلامية كقيمة رئيسية وكأساس للمواطنة في الدولة الإسلامية الجديدة، بـل ولقد أحلت هذه الوثيقة الرابطـة الدينيـة الإسـلامية محـل الرابطة القبلية فعبرت عن المسلمين بـأنهم أمـة مـن دون

الناس، وذلك مما يعلى من شأن الانتماء للدين الإسلامي دون النظر إلى أصول المسلمين القبلية أو النسبية[٧٧].

كما أن الشرع الإسلامي يعطي للمسلمين شخصية حقوقية واحدة، فلقد قال المصطفى عليـه الصـلاة والسـلام" ذمـة المسلمين واحدة.."[٧٨]، وقال صلى ا عليه وسلم" يجيـر على المسلمين أحدهم"[٧٩].

ولقد أمرنا رسول ا بالالتزام بالجماعة فن في ذلك خير كثير، فقال عليه الصلاة والسلام" أمركم بخمس ا أمرنـي بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن مـن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع"[٨٠]، وقال" من أراد منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليزم الجماعة"[٨١]، وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الـوداع" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقـاب بعـض"[٨٢]، ولذلك يعلن ابن تيميه أنه كان مـن أصـول أهـل السـنة والجماعة لزوم الجماعة.

القيمة العليا للمسلمين: الدين الإسلامي الحنيف

إذا كنا في مجال البحث عن القيم في حياة المسلمين، فأننا نجد أن الإسلام ذاته اعظم القيم في حيـاه المسـلمين، فهـو

القيمة الإسلامية الكبرى والنعمة الكبيرة التي أنعـم ا   بهـا على عباده المسلمين، فالحمد   علي نعمه الإسلام وكفي بها نعمه.

فإذا كان ا   عز وجل هو رب العباد وهـو الواحـد الأحد الفرد الصمد، فهو المثل الأعلى للمسلمين:

قال تعالى ﴿ **لِلَّذِين لاَ يؤْمِنُون بِالآخِرةِ مثَلُ السـوءِ و ـ الْمثَلُ الأعلَى** ﴾[٨٣]، ولذلك كان الإسلام ذاته هو القيمة العليا للمسلمين لأن الإسلام هو الدين القيم. قال تعالي" قل أننـي هداني إلى صراط مستقيم ديناً قيماً"[٨٤] وقال سبحانه" وذلـك دين القيمة" [٨٥]. وقال عز وجل" رسول من ا   يتلو صـحفاً مطهرة فيها كتب قيمة" [٨٦]. وقال سبحانه" ﴿ **ذَلِـك الـدين الْقَيم فَلاَ تَظْلِموا فِيهِن أَنْفُسكُم**﴾ [٨٧]. وقال عز وجل ﴿ **أَمر أَلا تَعبدوا إِلا إِياه ذَلِك الدين الْقَـيم**﴾ [٨٨]، وقـال سـبحانه وتعالى ﴿**ذَلِك الدين الْقَيم ولَكِن أَكْثَـر النـاس لاَ يعلَمـون**﴾" (٨٩). وقال تعالى﴿ **فَأَقِم وجهك لِلدين الْقِيمِ مِن قَبلِ أَن يأْتِي يوم لا مرد لَه مِن ا ـ** ﴾[٩٠]. وقال عز وجل" ولم يجعل لـه عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه" [٩١].

ولذلك نجد أن سيادة القانون المكتوب ألا وهـو القـرآن الكريم مبدأ تقوم عليه الدولة الإسلامية، لأن القـرآن قـانون ملزم للجميع، وعلى حكومة الدولة الإسلامية أن تطيع أحكام الكتاب والسنة بين الناس، وتوضحها بكل السبل، وأن توجـه الأسرة والمدرسة والإعلام إلى تربيـة النفـوس والعقـول والسلوك وفق دعوة الإسلام وهداية الدين، وأن تشـيع فـي المجتمع التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿ **وَأُوحِـيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [٩٢]، وقـال سـبحانه" وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" [٩٣].

٣- الشورى القيمة الديمقراطية الإسلامية

مبدأ الشورى٠٠ وقيمة الشورى مشتقة من مبدأ الإجمـاع الذي يعتبر أصلا من أصول الأحكام الشرعية في الإسـلام وقاعدة من قواعـد الحكـم فـي الإسـلام وعليـه تقـوم الديمقراطية٠٠

ولذلك تصبح الشورى من المفاهيم الأساسية فـي الفكـر السياسي في الإسلام، ويرى جمع من المفكرين أن الشـورى ينبغي أن تكون الأسلوب المميز للحكم في الإسلام(٩٤)٠٠

مفهوم الشورى:

والشورى تطلق في اللغة على عدة معاني منها: استخراج الرأي، يقال: شاورت فلاناً أي أظهرت ما عنده وما عنـدي، فالتشاور والمشاورة والمشورة هي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته مـن موضعه واستخرجته منه، فالشورى ببساطة اسـتطلاع رأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق٠

قال تعالى﴿ **والذِين استَجابوا لِـربهم وأَقَـاموا الصـلاةَ وأَمرهم شُورى بينَهم ومِما رزقْنَاهم ينْفِقُـون** ﴾[٩٥]٠ وهـذه الآية مكية وقبل أن تقوم للمسلمين دولة، وهذا يدل علـى أن الشورى من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة، وقال عـز وجل" فبما رحمة من ربك لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فـي الأمـر فـإذا عزمـت فتوكـل علـى ا إن ا يحـب

المتوكلين"[٩٦]، وقد نزلت الآية عقب غزوة أحد التي أصاب المسلمون فيها ما أصابوا نتيجة الشورى التي نزل الرسـول صلى ا عليه وسلم عن رأيه نتيجة المشاورة ومع ذلك أمره ا بعد هذه الأحداث بأن يستغفر لأصحابه وبأن يشاورهم في كل ما يحتاج إلى مشورة، ويتضـح مـن هـذه الآيـات أن الشورى قلب النظام السياسي الإسلامي.

ولقد نزلت آيتي الشورى ولم يكن في الناس يومئذ أحـد من الموافقين أو المخالفين يطالب بالشورى أو يتحدث عنهـا أو يشكون فقدانها، وإنما جاء التنزيل العزيز بهذا الأمر لأن المجتمع الذي يراد له الاستقرار والاستمرار ينبغي أن يقـوم على الشورى، فالشورى في الإسلام كانت نتيجة حكم إلهي، وكانت تهدف إلى إنشاء المجتمع الصالح المسـتقر وبنائـه وإرساء قواعده الثابتة التي لا تتزعزع.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن خطابه تعالى لرسـوله بقوله (وشاورهم في الأمر) لم يكن من قبيل حاجة الرسـول إلى المشاورة، فهو غني عنها بما رزق من اختياره للرسالة، وإنما كان من قبيل تعليم الناس وإرشادهم إلى أمثل الطـرق

التي يجب أن يتبعوها في شؤون الدنيا وليكون الرسول أسوة لهم في كل ما يأتون وما يدعون.

فالشورى علم على دولة الإسلام وأمة الإسلام، ولهذا فهي تسمي دولة أو أمة الشورى، والشورى ظاهرة فكرية فريـدة ربى عليها الإسلام من آمن به، وهي قيمة خالدة فـي حيـاة وفكر الأمة الإسلامية، فنصوص الشورى حسب النزول لهـا سر إلهي، فهي تلفت النظر إلى حقيقة من حقائق الأمة التـي يصفها الإسلام بأنها أمة الشورى، وهي عرض لمل يجب أن تسلكه الأسرة من تشاور، وهي خطاب لرئيس الدولة حتى لا يكون موقعه في ذروة السلطة حاجبا لها عـن الأمـة التـي رفعته المكانة العليا والكبيرة وحتى لا يغفـل عـن حقيقـة حرص عليها الإسلام(٩٧).

ونلاحظ أن هناك شورى وقفت على طلب النبي الكـريم (أي أن الرسول هو الذي سأل الناس أن يشيروا عليه) وفـي ذلك في أحد أن رسول ا صلى ا عليه وسلم لمـا سـمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها، قال لأصحابه: أشيروا على ماذا أصنع؟ فقالوا: يا رسول ا أخرج بنا إلـى هـذه الأكلب، فقالت الأنصار: يا رسول ا ما غَلَبنَا عدونا قط أتانا

في ديارنا، فكيف وأنت فينا؟ فدعا رسول ا صلى ا عليه وسلم عبد ا بن أبى سلول ولم يدعه قط قبلها، فقـال: يـا رسول ا أخرج بنا إلى هذه الأكلاب، واستشار الرسول رأس المنافقين ولم يهمل استشارته، ثم بعد ذلك دعـا رسـول ا بدرعه فلبسها، فلما رآه قد لبس سلاحه ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا نُشير على رسول ا والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه فقالوا: اصنع ما رأيت، فقال الرسول: لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته(أي الدرع) فيضعها حتى يقاتل) [٩٨].

وهناك شورى جاءته من بعض الصحابة ابتداء من غيـر طلب مثل شورى حرب بدر، وشورى شاورها الرسول قبل التنفيذ وهي شورى ثلث ثمار المدينة إلـى غطفـان، فكـان الرسول في هذا الموقف وهو رسـول ا ورئـيس الدولـة والزعيم السياسي والقائد العسكري يعزم أمراً تراءى له فيـه مصلحة المسلمين،حتى إذا اقترب من الإبرام استشـار أهـل الحقوق فاستمع إلى حججهم،فلما ساغ منطقها ورأى قوتهـا عدل عن رأيه ولم يبرم ما عزم عليه[٩٩].

نطاق الشورى:

فهل تجب الشورى في كل شؤون الحيـاة الإسـلامية، أم أنها تجب في بعض الأمور دون البعض الآخر، بمعنـى أي الموضوعات تكون محلاً للشورى في الدولة الإسلامية، مـن أجل التطبيق العملي الصحيح لها، وهناك رأيان في ذلك:

- الرأي الأول: تقع الشورى في جميع الأمور التـي لا وحي فيها، فقال ابن تيميه" الشورى فيما لم ينزل فيه وحي من أمور الحرب والأمور الجزئية وغير ذلـك من الأمور الاجتهادية"
- الرأي الثاني: لا تكون الشورى إلا في أمور الحـرب، ونادي بهذا الرأي الشافعي وقتـادة والربيـع وابـن إسحاق.
- ومن يستقرئ أحوال الشورى التي جرت فـي عهـد النبي صلى ا عليه وسلم وكذلك في عهد الصـحابة يتضح له خطأ من قال بأن الشورى محصـورة فـي أمور معينة محددة، فلقد تمت الشـورى فـي جمـع القرآن والاستخلاف وفي الحرب والسلم وفي أمـور

الأحكام وأمور المصلحة وأمور الملك وفـي أحكـام العقوبة وفي استحقاق الدية وغير ذالك[(١٠٠)]٠

نماذج من تطبيق الشورى في حياة المسلمين:

١- الرسول صلي ا عليه وسلم القائـد المسـلم في تطبيق الشورى:

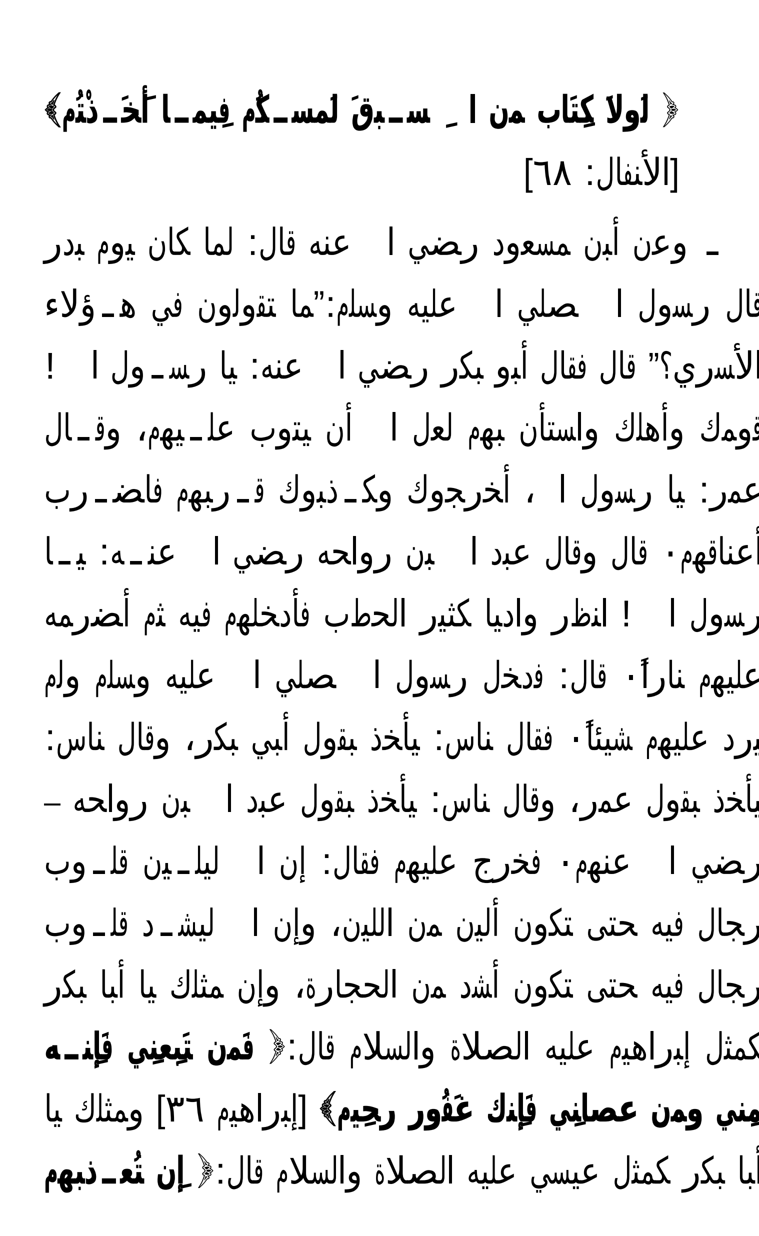
وضع رسول ا صلى ا عليه وسـلم الأسـاس لنظـام الشورى في زمانه، فكلما نزل به أمر لم يتلق في بابه حكماً من عند ا يشاور فيه في الجماعة من أهل الرأي، حتى أن أبي هريرة رضي ا عنه قال" ما رأيت أحداً أكثر مشـاورة لأصحابه من النبي عليه الصلاة والسلام" رواه الترمذي وقال حديث حسن، ومن نماذج تطبيق الشورى في حيـاة النبـي صلي ا عليه وسلم:

- استشار النبي صلى ا عليه وسلم أصحابه حـين أراد أن يختار طريقاً لجمعهم على مواقيت الصلاة، ونتيجة لهذه الشورى قرر في النهاية أن يتم الآذان للإعـلان عن مواقيت الصلاة(١٠١)٠

ـ حديث عمر رضي ا عنه فـي قصـة بـدر وفيـه:
واستشار رسول ا صلي ا عليه وسلم أبا بكـر، وعلياً، وعمر - رضي ا عنهم: فقال أبو بكـر: يـا رسول ا   هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإنـي أري أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة علـي الكفار، وعسي أن يهديهم ا فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول ا صلي ا عليه وسلم:"ما تـري يـا ابـن الخطاب؟"، قال قلت:وا ما أري ما رأي أبو بكـر، ولكن أري أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضـرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكـن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم ا أنـه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوي رسول ا صـلي ا عليـه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلـت وأخـذ مـنهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلي النبي صلي ا عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول ا   أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فـإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

فقال رسول ا صلي ا عليه وسلم:" للذي عـرض
علي أصحابك من أخذهم الفداء قـد عـرض علـي
عذابكم أدني من هذه الشجرة شجرة قريبة". وأنـزل
ا تعالي:﴿ **ما كان لِنَبِـي أن يكُـون لَـه أَسـرى**﴾
[الأنفال: ٦٧] الآية(١٠٢).

ـ وعن أنس رضي ا عنه قال: استشـار رسـول ا
صلي ا عليه وسلم الناس في الأسارى يـوم بـدر
فقال:" إن ا قد أمكنكم منهم، فقال عمر بن الخطاب
رضي ا عنه: يا رسول ا أضرب أعناقهم. قال:"
فأعرض عنه رسول ا صلي ا عليه وسلم ثم عاد
عليه السلام. فقال:" يا أيها الناس إن ا قد أمكـنكم
منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس". فقال عمر مثل ذلك
فأعرض عنه عليه السلام. ثم عاد عليه السلام فقـال
مثل ذلك. فقال أبو بكر رضي ا عنه: يا رسول ا
نري أن تعفو عنهم وأن تقبل مـنهم الفـداء. قـال:
فذهب عن وجه رسول ا صلي ا عليه وسـلم مـا
كان من الغم ثم عفا عنهم وقبل منهم الفداء، وأنزل ا



﴿ لولا كتاب من ا سبق لمسكم فيما أخذتم﴾ [الأنفال: ٦٨]

ـ وعن ابن مسعود رضي ا عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول ا صلي ا عليه وسلم:"ما تقولون في هؤلاء الأسري؟" قال فقال أبو بكر رضي ا عنه: يا رسول ا ! قومك وأهلك واستأن بهم لعل ا أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول ا ، أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم. قال وقال عبد ا بن رواحه رضي ا عنه: يا رسول ا ! انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً. قال: فدخل رسول ا صلي ا عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد ا بن رواحه – رضي ا عنهم. فخرج عليهم فقال: إن ا ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين، وإن ا ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال:﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾ [إبراهيم ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسي عليه الصلاة والسلام قال:﴿ **إن تعذبهم**

فَإِنهم عِبادك وإِن تَغْفِر لهم فَإِنـك أَنـتَ الْعزِيـز الْحكِـيم﴾ [المائدة: ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليـه الصـلاة والسلام قال:﴿ **رب لاَ تَذَر علَى الأَرض مِن الْكَافِرِين ديـارا﴾** [نوح: ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليـه الصـلاة والسلام قال:﴿ **ربنَا اطْمِس علَى أَموالِهِم واشْدد علَى قُلُوبِهِم فَلاَ يؤْمِنُوا حتى يروا الْعذَاب الأَلِيم﴾** [يونس: ٨٨] أنتم عالـة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق. قال عبد ا فقالـت: يا رسول ا ! إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سـمعته يـذكر الإسلام. قال: فسكت. قال: فما رأيتني في يوم أخـوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليـوم حتـى قـال: إلا سهيل بن بيضاء. قال: فأنزل ا :﴿ **ما كَان لِنَبِي أَن يكُون لَه أَسرى﴾** [الأنفال: ٦٧] – إلي آخر الآيتين(١٠٤).

ـ وعن الزهري قال لما اشتد علي الناس الـبلاء بعـث رسول ا صلي ا عليه وسلم إلي عيينة بن حصن، والحارث بن عوف المـري وهمـا قائـداً غطفـان، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة علـي أن يرجعـا بمـن معهما عنه وعن أصحابه. فجري بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح

إلا المراوضة. فلما أراد رسول ا صلي ا عليـه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلي السعدين، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا: يـا رسـول ا أمـراً تحبـه فنصنعه أم شيئاً أمرك ا به لابد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم ؛ وا ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عـن قـوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلي أمر ما. فقال له سعد بن معاذ رضي ا عنه: يا رسول ا ! قد كنا وهؤلاء علي الشـرك با ، وعبادة الأوثان، لا نعبد ا ولا نعرفه وهـم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً، أفحين أكرمنا ا بالإسلام، وهدانا له، وأعزنـا بـك، وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا مـن حاجـة ؛ وا لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم ا بيننا وبينهم. فقـال النبي صلي ا عليه وسلم: أنت وذاك. فتناول سـعد بن معاذ رضي ا عنه الصحيفة فمحا ما فيهـا مـن الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا[١٠٥].

ـ وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: جاء الحارث إلي رسول ا صلي ا عليه وسلم فقال: ناصـفنا تمـر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً، فقـال: حتـى أستأمر السعود سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ رضي ا عنهما – يعني يشاورهما. فقالا: لا وا ما أعطينا المدينة من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقـد جـاء ا بالإسلام. فرجع إلى الحارث فأخبره. فقال:غدرت يا محمد. وعند الطبراني عن أبي هريرة رضي ا عنه قال: جاء الحارث الغطفاني إلي رسول ا صلي ا عليه وسلم فقال: يا محمد ! شاطرنا تمـر المدينـة. فقال: حتى استأمر السعود، فبعث إلي سعد بن معـاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بـن خيثمـة وسعد بن مسعود رضي ا عنهم فقال: إني قد علمت إن العرب قد رمتكم عن قوس واحـدة وأن الحـارث سألكم تشاطروه تمر المدينة، فإن أردتـم أن تـدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد. فقالوا: يـا رسـول ا ! أوحي من السماء فالتسليم لأمـر ا أو عـن رأيـك وهواك، فرأينا نتبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد

الإبقاء علينا فوا لقد رأيتنا وإياهم علي سـواء، مـا ينالون منا تمرة إلا شراء أو قري. فقال رسـول ا صلي ا عليه وسلم: هو ذا، تسمعون مـا يقولـون، قالوا: غدرت يا محمد[١٠٦].

ـ واستشار الرسول بعد حصاره الطائف لمـدة خمسـة عشر يوما دون أن ينال منهم، فسأل نوفل بن معاوية الديلي وقال: يا نوفل، ما ترى في المقام عليهم، فقال: يا رسول ا ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضيرك، فرفع الرسـول عـنهم الحصـار وارتحل المسلمون وجاء أهل الطائف مسلمين بعد ذلك (١٠٧).

ـ واستشار النبي صلى ا عليه وسلم في طلاق عائشـة بعد حادثة الإفك، استشار أسامة بن زيد وعلى بن أبي طالب[١٠٨].

٢- مشاورة أبو بكر الصديق رضي ا عنه:

ـ وعن القاسم أن أبا بكر الصديق رضي ا عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقـه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، ودعـاً عمـر

وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد ابن ثابت رضي ا عنهم ؛ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وإنما يصير فتوى النـاس إلا هؤلاء. فمضي أبو بكر علي ذلك، ثم ولي عمـر فكان يدعو هؤلاء النفر، وكان الفتوى تصـير وهـو خليفة إلي عثمان وأُبي وزيد(١٠٩).

ـ وعن عبيده قال: جاء عيينة بن حصين والأقـرع بـن حابس إلي أبي بكر رضي ا عنهم فقال: يا خليفـة رسول ا ! إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ، ولا منفعة ؛ فإذا رأيـت أن تقطعناهـا لعلنـا نحرثهـا، ونزرعها ؛ فأقطعها إياهما وكتب لهما عليهـا كتابـاً وأشهد فيه عمر رضي ا عنه وليس فـي القـوم، فانطلقا إلي عمر ليشهداه. فلما سمع عمـر مـا فـي الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه ومحاه، فتـذمرا وقالا مقالة سيئة. قال عمر: إن رسول ا صلى ا عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليـل وان ا قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا رعـى ا عليكما إن رعيتما. فأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران

فقالا: وا   ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بـل هو ولو شاء كان. فجاء عمر، مغضبا حتـى وقـف على أبى بكر فقال: أخبرني عن هـذه الأرض التـي اقتطعتها هذين الرجلين، أرض هي لك خاصة أم هي بين المسلمين عامة؟ قال: بل هـي بـين المسـلمين عامة. قال: فما حملك أن تخـص هـذين بهـا دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولي، فأشاروا على بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الـذين حولك أو كل المسلمين أوسعت مشورة ورضا، فقـال أبو بكر: قد كنت قلت لك: انك أقوى على هذا منـى ولكنك غلبتني (١١٠).

- وعن الصعب بن عطية بن بلال عن أبيه وعن سـهم بن منجاب قالا: خرج الأقرع، والزبرقان إلى أبى بكر رضى ا   عنهم فقالا: اجعل لنـا خـراج البحـرين ونضمن لك أن لا يرجع من قومنا أحد، ففعل وكتـب الكتاب. وكان الذي بختلاف بينهم طلحة بن عبيـد ا   وأشهدوا شهودا منهم عمر رضى ا   عنه. فلما أتـى عمر بالكتاب ونظر فيه لم يشهد ثم قال: ولا كرامـة،

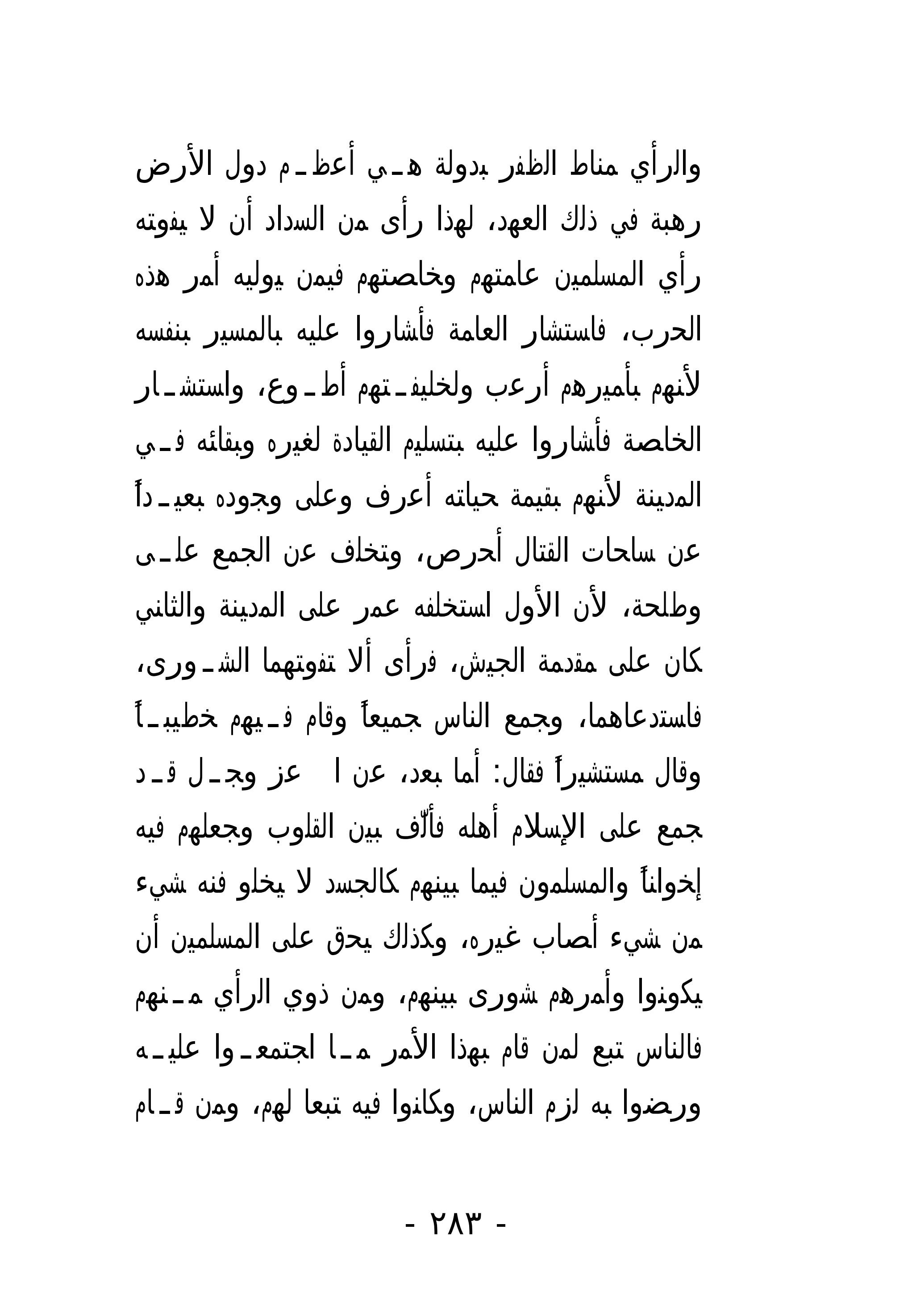
ثم مزق الكتاب ومحاه، فغضب طلحة وأتى أبا بكـر فقال: أنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر غير أن الطاعة لي، فسكت [111].

- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: كتـب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم شاور في الحرب فعليك به [112].

٣ ـ مشاورة عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

استشار عمر كثيراً في كل أمور المسلمين، ومن مواقفـه في الشورى جعله أمر الخلافة من بعده في ستة يتشـاورون فيما بينهم لاختيار أحدهم ورضي بذلك المسلمون، واستشـار في التاريخ من بداية الهجرة، وكانت العـرب تـؤرخ بعـام الفيل، وشاور في حد الخمر وفي قتال الفرس ودخول الشـام والطاعون قد وقع بها، ومن أقواله رضـي الله عنـه فـي الشورى" أنه من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له ولا الذي بايعه" وقال" أنه لا خير في أمر أُبرم عـن غير شورى"[113].

- وفلقد عزم عمر على محاربة الفـرس، ولمـا كانـت محاربة الفرس بات حينذاك أمراً حتميا حيث أن القوة



والرأي مناط الظفر بدولة هـي أعظـم دول الأرض
رهبة في ذلك العهد، لهذا رأى من السداد أن لا يفوته
رأي المسلمين عامتهم وخاصتهم فيمن يوليه أمر هذه
الحرب، فاستشار العامة فأشاروا عليه بالمسير بنفسه
لأنهم بأميرهم أرعب ولخليفـتهم أطـوع، واستشـار
الخاصة فأشاروا عليه بتسليم القيادة لغيره وبقائه فـي
المدينة لأنهم بقيمة حياته أعرف وعلى وجوده بعيـداً
عن ساحات القتال أحرص، وتخاف عن الجمع علـى
وطلحة، لأن الأول استخلفه عمر على المدينة والثاني
كان على مقدمة الجيش، فرأى ألا تفوتهما الشـورى،
فاستدعاهما، وجمع الناس جميعاً وقام فـيهم خطيبـاً
وقال مستشيراً فقال: أما بعد، عن ا   عز وجـل قـد
جمع على الإسلام أهله فألّف بين القلوب وجعلهم فيه
إخواناً والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو فنه شيء
من شيء أصاب غيره، وكذلك يحق على المسلمين أن
يكونوا وأمرهم شورى بينهم، ومن ذوي الرأي مـنهم
فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر مـا اجتمعـوا عليـه
ورضوا به لزم الناس، وكانوا فيه تبعا لهم، ومن قـام

بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا بـه
لهم، يا أيها الناس إني إنما كنت كرجل مـنكم حتـى
صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيـت أن
أُقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت
ومن خلفت(ويعني عين خاف علياً وطلحة لأنهما لـم
يحضرا الرأي الأول) ولما انتهى عمر من خطبتـه
أشار عليه طلحة وعلى بما أشار عليه عامة النـاس،
ونهاه العباس وعبد الرحمن بن عوف عن هذا الرأي،
وقال ابن عوف: أقم وابعث حبذا، فقد رأيت قضاء ا
اك في جنودك قبلُ وبعد، فإنه إن تهزم جيوشك لـيس
كهزيمتك، وإنك إن تقتل أو تهزم فـي أنـف الأمـر
خشيت أن لا يكبر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله
إلا ا أبـدا٠٠وبالفعـل وافـق عمـر علـى هـذا
الرأي(١١٤).

ـ وعن أبى جعفر أن عمر بن الخطاب رضى ا عنـه
خطب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم رضـى
ا عنهما فقال على: إنما حبست بنـاتي علـى بنـى
جعفر، فقال عمر: أنكحيها يا على ! فو ا ما علـى

ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد !، فقال على: قد فعلت. فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر وكانوا يجلسون على وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضى ا عنهم. فإذا كان الشيء يأتى عمر بن الخطاب من الآفاق جاءهم فأخبرهم بذلك فاستشارهم فيه. فجاء عمر فقال: زفوني، فزفوه وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟، قال: بابنة على بن أبى طالب، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إن النبي صلى ا عليه وسلم قال: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبى، وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضا(١١٥).

- ويروى الطبري أن أم كلثوم بنت على بن أبي طالب وكانت زوجة عمر بن الخطاب، بعثت إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش (أديمة الطيب) من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد، فأبلغه لها، وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت بنت نبيهم، وكاتبتها وكافأتها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى البريد إلى عمر

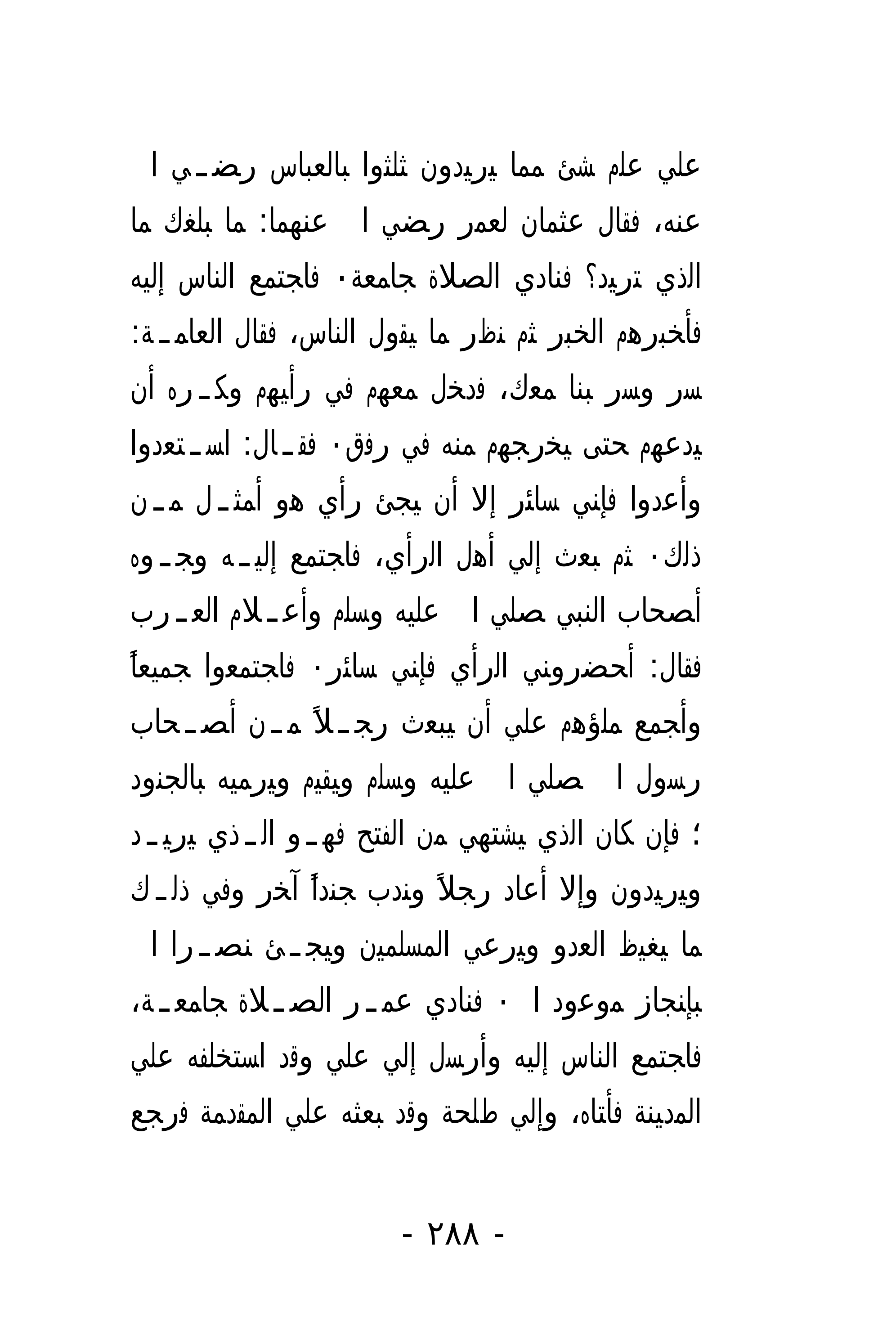
أبي بإمساكه ودعا: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين، وقال: لا خير في أمر أُبرم عـن غيـر الشورى من أموري، قولي في هدية أهدتها أم كلثـوم لامرأة ملك الروم فأهدت إليها امرأة ملك الروم؟، فقال قائلون: هو لها بالذي لها وليست امرأة الملـك بذمـة فتصانع به ولا تحت يدك، فقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمناً، فقـال عمر: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها، فأمر بردهـا إلـى بيت المال ورد عليها بقدر هديتها(١١٦).

ـ وعن عطاء بن يسار رضي ا عنه: أن عمر وعثمان رضي ا عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضـي ا عنهما فيشير مع أهل بدو ويفتـي فـي عهـد عمـر وعثمان وإلي يوم مات. وعن يعقوب بن يزيد قـال: كان عمر بن الخطاب رضي ا عنه يستشير عبد ا بن عباس رضي ا عنهما في الأمر إذا أهمه ويقول: غص غواص !، وعن سعد ابن أبي وقاص رضي ا عنه قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألب لبـاً،

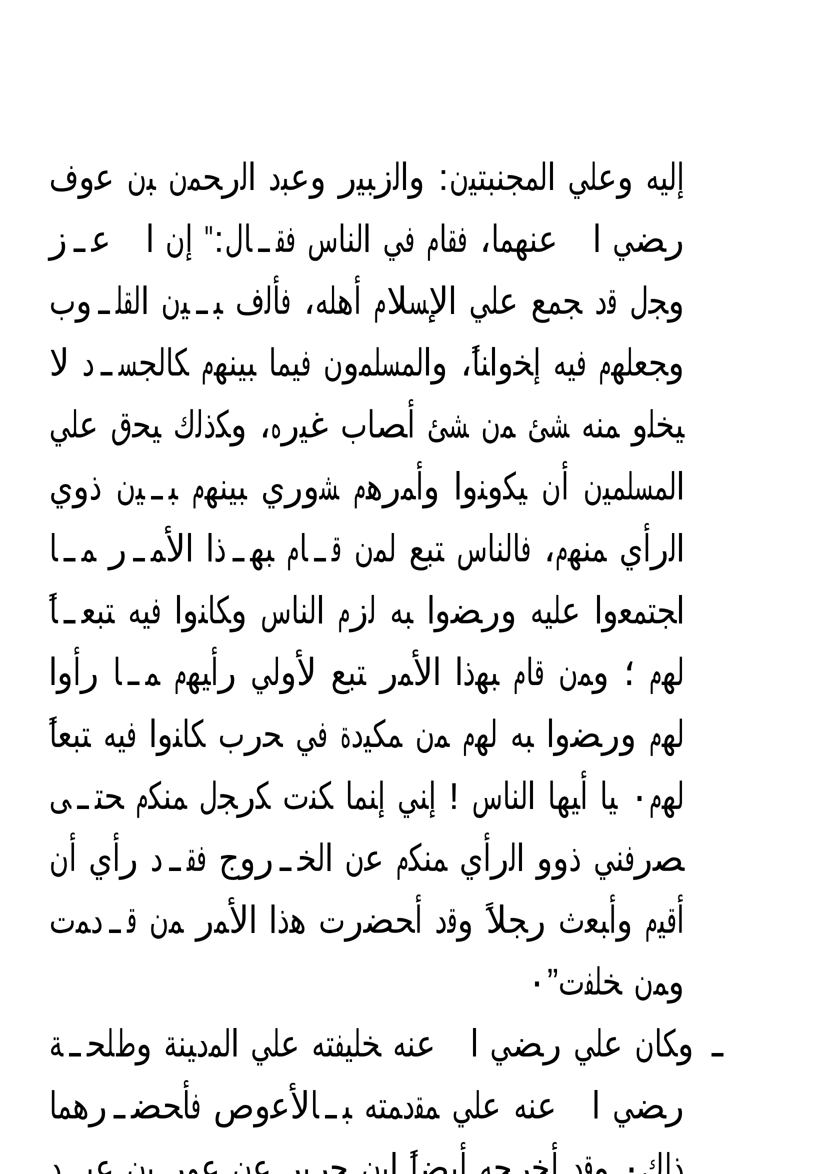
ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقـد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقـول: قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله فإن حوله لأهـل بدر من المهاجرين والأنصار. وأخرج البيهقي وابن السمعاني عن ابن شهاب قال: كان عمر بن الخطاب رضي ا عنه إذا نزل الأمر المعضل دعـا الفتيـان فاستشارهم يقتفي حدة عقولهم(١١٧).

ـ وعن ابن سيرين قال: إن كان عمـر بـن الخطـاب يستشير حتى أنه كان ليستشير المرأة، فربما أبصـر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به(١١٨).

ـ وعن محمد وطلحة وزياد رضي ا عنهم بإسـنادهم قالوا: خرج عمر حتى نزل علي ماء يدعي صـراراً فعسكر به، ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقـيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شئ رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف رضي ا عنهما، وكان عثمان يدعي في إمارة عمر رديفاً (قالوا: والرديف بلسـان العرب الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذاك للرجـل الذي يرجونه بعد رئيسهم) وكانوا إذا لم يقدر هـذان



علي علم شئ مما يريدون ثلثوا بالعباس رضـي ا
عنه، فقال عثمان لعمر رضي ا عنهما: ما بلغك ما
الذي تريد؟ فنادي الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إليه
فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس، فقال العامـة:
سر وسر بنا معك، فدخل معهم في رأيهم وكـره أن
يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق. فقـال: اسـتعدوا
وأعدوا فإني سائر إلا أن يجئ رأي هو أمثـل مـن
ذلك. ثم بعث إلي أهل الرأي، فاجتمع إليـه وجـوه
أصحاب النبي صلي ا عليه وسلم وأعـلام العـرب
فقال: أحضروني الرأي فإني سائر. فاجتمعوا جميعاً
وأجمع ملؤهم علي أن يبعث رجـلاً مـن أصـحاب
رسول ا صلي ا عليه وسلم ويقيم ويرميه بالجنود
؛ فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهـو الـذي يريـد
ويريدون وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر وفي ذلـك
ما يغيظ العدو ويرعي المسلمين ويجـئ نصـرا ا
بإنجاز موعود ا . فنادي عمـر الصـلاة جامعـة،
فاجتمع الناس إليه وأرسل إلي علي وقد استخلفه علي
المدينة فأتاه، وإلي طلحة وقد بعثه علي المقدمة فرجع



إليه وعلي المجنبتين: والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي ا عنهما، فقام في الناس فقـال:" إن ا عـز وجل قد جمع علي الإسلام أهله، فألف بـين القلـوب وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسـد لا يخلو منه شئ من شئ أصاب غيره، وكذلك يحق علي المسلمين أن يكونوا وأمرهم شوري بينهم بـين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قـام بهـذا الأمـر مـا اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعـاً لهم ؛ ومن قام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم مـا رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم. يا أيها الناس ! إني إنما كنت كرجل منكم حتـى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخـروج فقـد رأي أن أقيم وأبعث رجلاً وقد أحضرت هذا الأمر من قـدمت ومن خلفت".

ـ وكان علي رضي ا عنه خليفته علي المدينة وطلحـة رضي ا عنه علي مقدمته بـالأعوص فأحضـرهما ذلك. وقد أخرجه أيضاً ابن جرير عن عمر بن عبـد العزيز رضي ا عنه قال: لما انتهي قتل أبي عبيـد

بن مسعود إلي عمر رضي ا عنه واجتمـاع أهـل فارس علي رجل من آل كسري نادي في المهاجرين والأنصار، وخرج حتى أتي صراراً[119].

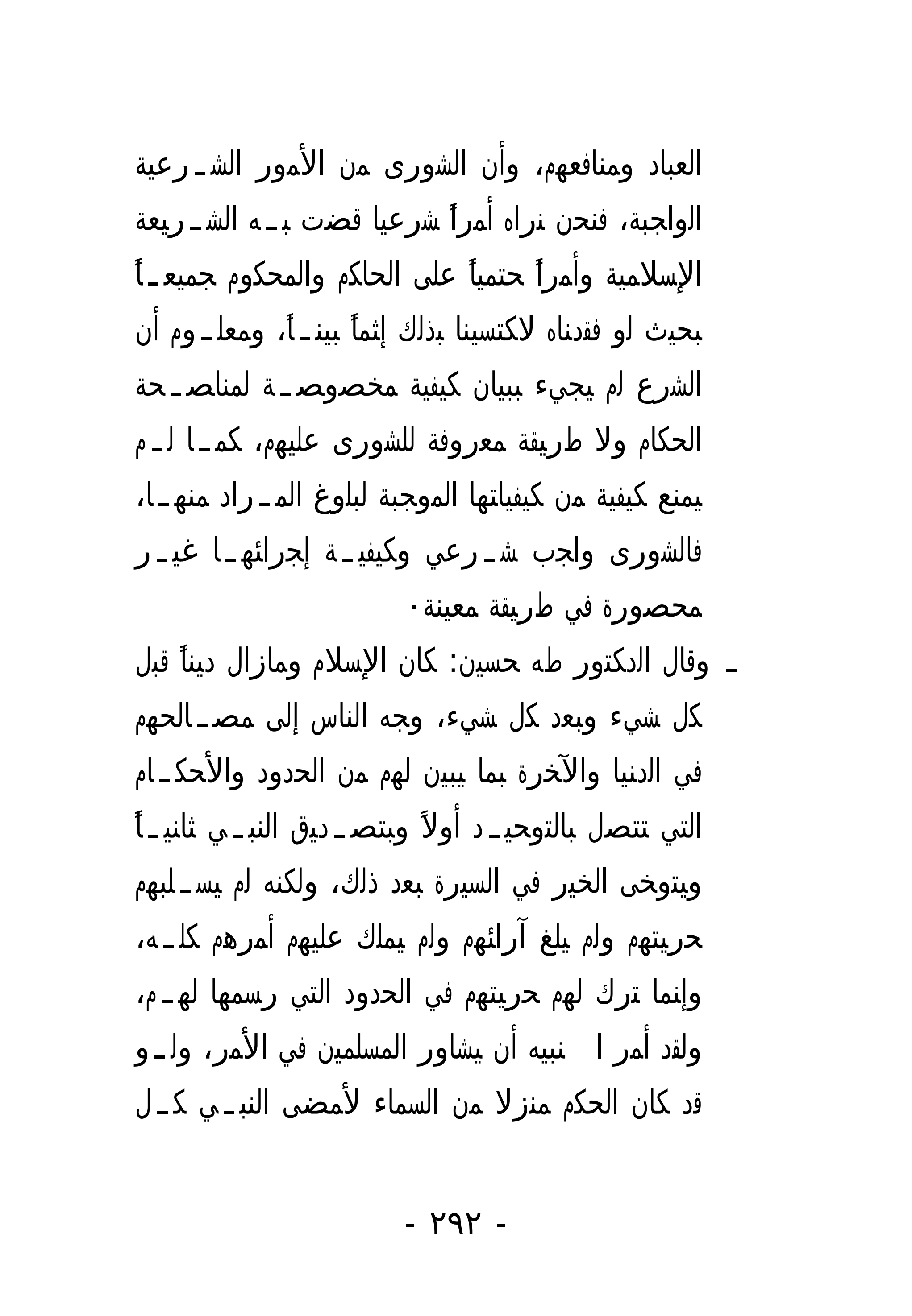
ـ وعن محمد بن سلام يعني البيكندي قال: عمـرو بـن معد يكرب له في الجاهلية وقائع وقد أدرك الإسـلام، قدم على النبي صلي ا عليه وسلم،ووجهه عمر بـن الخطاب إلي سعد بن أبي وقاص إلي القادسية وكان له هناك بلاء حسن، كتب عمر إلي سعد: قـد وجهـت إليك أو أمددتك بألفي رجل عمرو بن معـد يكـرب وطليحة ابن خويلد – رضي ا عنهم جميعاً – وهـو طليحة بن خويلد الأسدي فشاورهما في الحـرب ولا تولهما شيئاً(١٢٠).

ـ وقال الإمام على رضي ا عنه في وصـيته لـوالي مصر مالك بن الأشتر" لا تدخلن في مشورتك بخـيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعهـا سـوء الظن با ، وإن شر وزرائك من كان للأشرار وزيراً

ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة" [١٢١].

أراء في الشورى:

- قال الماوردي" في أمره بالمشاورة أربعة أقاويل: أحدها أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، قال الحسن: ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم، والثاني: أنه أمره بمشاورتهم تأليفاً لهم وتطييباً لأنفسهم، والثالث: أنه أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل ولتتأسى أمته بذلك بعده صلى الله عليه وسلم، والرابع: أنه أمره بمشاورتهم ليتسنن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنياً[١٢٢]- قال محمد عبده عن الشورى: إذا علمت أن مناصحة الأمراء أمر واجب على الرعية كما تدل الآيات القرآنية والأحاديث، وجب على ولاة الأمر أن ألا يمنعوهم من قضاء هذا الواجب، فدل ذلك على الأمر في قوله تعالى﴿ **وشَاورهم فِي الأمر**﴾ للوجوب لا للندب، ولذا يجب على الولاة استشارة ذوي الرأي في مصالح


العباد ومنافعهم، وأن الشورى من الأمور الشـرعية الواجبة، فنحن نراه أمراً شرعيا قضت بـه الشـريعة الإسلامية وأمراً حتمياً على الحاكم والمحكوم جميعـاً بحيث لو فقدناه لاكتسينا بذلك إثماً بينـاً، ومعلـوم أن الشرع لم يجيء ببيان كيفية مخصوصـة لمناصـحة الحكام ولا طريقة معروفة للشورى عليهم، كمـا لـم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المـراد منهـا، فالشورى واجب شـرعي وكيفيـة إجرائهـا غيـر محصورة في طريقة معينة.

ـ وقال الدكتور طه حسين: كان الإسلام ومازال ديناً قبل كل شيء وبعد كل شيء، وجه الناس إلى مصـالحهم في الدنيا والآخرة بما يبين لهم من الحدود والأحكـام التي تتصل بالتوحيـد أولاً وبتصـديق النبـي ثانيـاً ويتوخى الخير في السيرة بعد ذلك، ولكنه لم يسـلبهم حريتهم ولم يلغ آرائهم ولم يملك عليهم أمرهم كلـه، وإنما ترك لهم حريتهم في الحدود التي رسمها لهـم، ولقد أمر ا نبيه أن يشاور المسلمين في الأمر، ولـو قد كان الحكم منزلا من السماء لأمضى النبـي كـل

شيء بأمر ربه، فلم يشاور به أحد ولم يؤامر فيه ولياً من أوليائه، وفي أحداث السيرة ما يكفي لإثبـات أن الحكم في أيام النبي لم يكن ينزل من السماء في جملته وتفصيله، وإنما كان الوحي يوجه النبي وأصحابه إلى مصالحهم العامة والخاصة دون أن يحول بينهم وبين هذه الحرية التي تتيح لهم أن يرتبوا أمرهم على مـا يحبون في حدود الحق والخير والعدل[١٢٣].

- ويذكر صاحب كتاب الفخري آداب المشاورة وحكمة فرضها على النبي قبل غيره من المسلمين فيقول" إن الملك ينبغي ألا يستبد برأيه وأن يشاور في الملمـات خواص الناس وعقلائهم، ومن يتفـرس فيـه الـذكاء والعقل وجودة الرأي وصحة التمييز ومعرفة الأمور، ولا ينبغي أن تمنعه عزة الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستمالة قلبه، حتى يمحضه النصيحة، فـإن أحـداً لا ينصـح بالقسـر ولا يعطـي نصـيحة إلا بالرغبة،وما أحسن قول الشاعر:

أهان وأقصى ثم يستنصحونني

ومن ذا الذي يعطي نصيحتهم قسراً

واختلاف المتكلمون في كون ا أمر رسوله بالاستشـارة مع أنه أيده ووفقه، وفي ذلك أربعة وجوه: أحدهما أنه عليـه السلام أمر بمشاورة الصـحابة اسـتمالة لقلـوبهم وتطييبـاً لنفوسهم، والثاني أنه أمر بمشورتهم في الحرب ليسـتقر لـه الرأي الصحيح فيعمل به، والثالث أنه أُمر بمشـاورتهم لمـا فيها من النفع والمصلحة، والرابع أنه إنما أُمر بمشـاورتهم ليقتدي الناس به، وهذا عندي أحسن الوجوه وأصلحها، قالوا: الخطأ مع المشورة أصـلح مـن الصـواب مـع الانفـراد والاستبداد، وقال صاحب كليلة ودمنـة: لابـد للملـك مـن مستشار مأمون يفضي ليه بسره ويعاونـه علـى رأيـه.. المستشير وإن كان أفضل من المستشار وأكمل عقلاً وأصح رأياً فقد يزداد برأي المشير رأياً كما تـزداد النـار بالـدهن ضوءاً ونوراً"

- ومما يروى أنه لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعدما صالحه وكتب كتباً وأشهد شهوداً، قال عبد الملك لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر: ما رأيك في الذي كان مني؟، قال الرجـل: أمر فات دركه !، قال: لتقولن !، قال الرجل: حزم لو

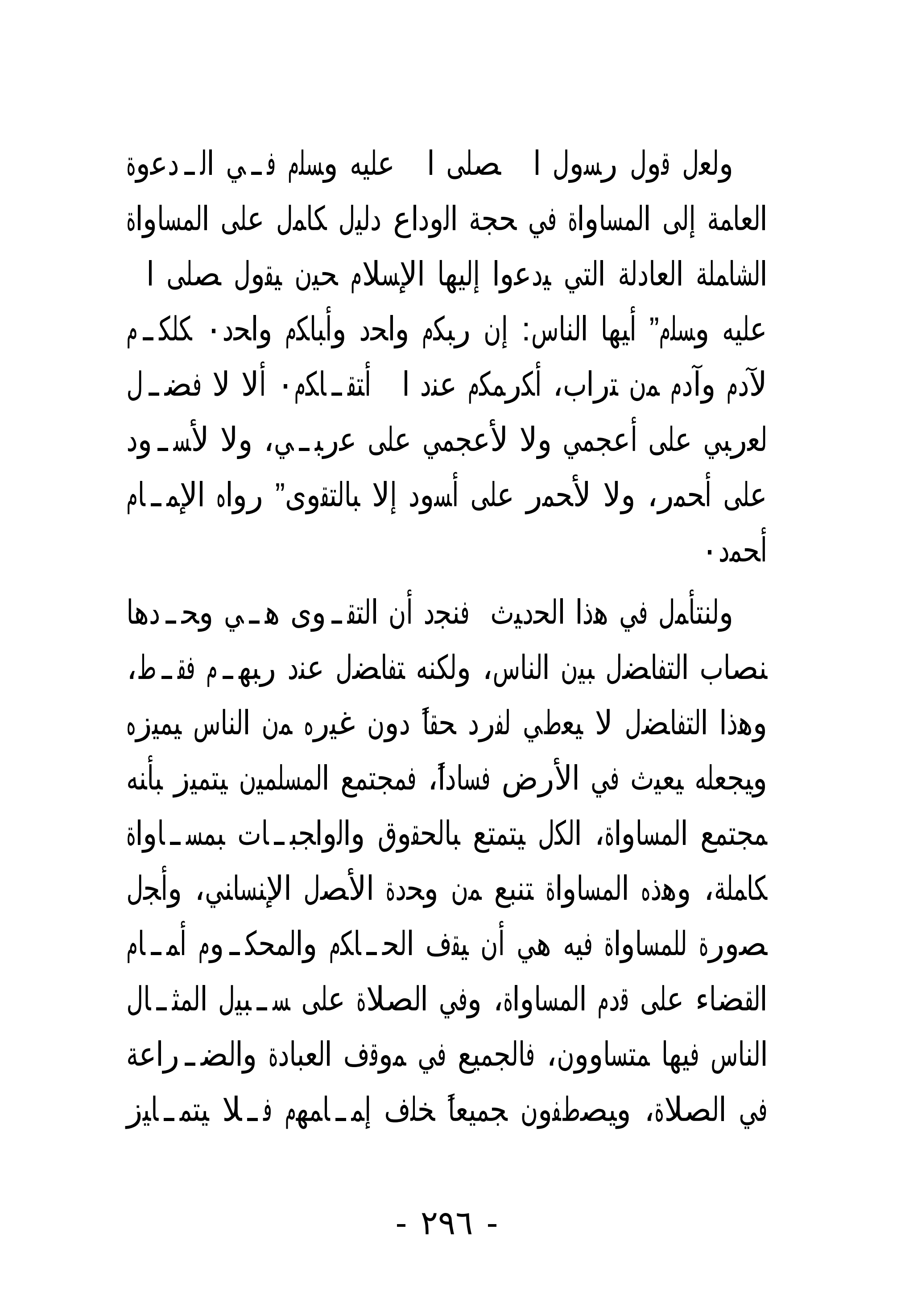
قتلته وحييت، قال عبد الملك: أو لست بحي؟، فقـال الرجل: مات من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق له بعهـد ولا بعقد !، فقال عبد الملك: كلام لو سـبق سـماعه فعلي لأمسكت !! [(١٢٤)]

٤- قيمة المساواة

قيمة من القيم الإسلامية الأصيلة التي تنبثق مـن العـدل وهى قيمة سياسية اجتماعية إنسانية، فهي تتشـكل بالعـدل وتنبع منه، فالمساواة من أهم المبادئ الإسلامية التي جـاءت بصورة مطلقة، وهى من أهم الأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية.

مفهوم المساواة في الإسلام:

والمساواة لغة المماثلة والمعادلة، سوا: المساواة المعادلـة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل.. وقد يعتبر بالكيفية نحـو هذا السواد مساو لذلك السواد، وإن كان تحقيقه راجعاً إلـى اعتبار مكانه دون ذاته ولا اعتبار المعادلة التي فيه اسـتعمل استعمال العدل، لأن المساواة تستعمل اسـتعمال العـدل وأن العدل يستعمل استعمال المساواة.



ولعل قول رسول ا صلى ا عليه وسلم في الدعوة العامة إلى المساواة في حجة الوداع دليل كامل على المساواة الشاملة العادلة التي يدعوا إليها الإسلام حين يقول صلى ا عليه وسلم" أيها الناس: إن ربكم واحد وأباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند ا أتقاكم. ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى" رواه الإمام أحمد.

ولنتأمل في هذا الحديث فنجد أن التقوى هي وحدها نصاب التفاضل بين الناس، ولكنه تفاضل عند ربهم فقط، وهذا التفاضل لا يعطي لفرد حقاً دون غيره من الناس يميزه ويجعله يعيث في الأرض فساداً، فمجتمع المسلمين يتميز بأنه مجتمع المساواة، الكل يتمتع بالحقوق والواجبات بمساواة كاملة، وهذه المساواة تنبع من وحدة الأصل الإنساني، وأجل صورة للمساواة فيه هي أن يقف الحاكم والمحكوم أمام القضاء على قدم المساواة، وفي الصلاة على سبيل المثال الناس فيها متساوون، فالجميع في موقف العبادة والضراعة في الصلاة، ويصطفون جميعاً خلف إمامهم فلا يتمايز

شخص عن شخص، والصف الأول لمن سبق، ترى في الصفوف الأمير والتجار وأساتذة الجامعة والسوقة والغني والفقير فتتجلى المساواة بينهم في أروع معانيها، وكذلك الصيام، فالكل يمتنع عن الطعام والشراب في وقت واحد بلا تمايز، ويفطرون في ميقات واحد، وكذلك في الزكاة، فأصحاب البلايين يخرجون الزكاة، ومن عنده الآلاف يخرج نفس القيمة ٢٠٥% بلا تمايز، وفي الحج الكل بلباس واحد وفي وقت واحد وفي مكان واحد ويمارسون نفس الشعائر، إنها صور بليغة من المساواة الإسلامية التامة

تأصيل الإسلام لقيمة المساواة:-

فلقد جاء الإسلام في وقت كان فيه التفريق بين طبقات الناس هي الأصل في النظام الاجتماعي والنظام السياسي على السواء، وكانت شريعة أوما المطبقة وقت بعث الرسول في بلاد الشام المجاورة لجزيرة العرب تقسم الناس إلى أحرار وغير أحرار، وهؤلاء الأفراد كانوا أيضاً طبقتين: الأحرار الأُصلاء وهم الرومانيون وغير الأصلاء وهم اللاتينيون، أما غير الأحرار فكانوا أربعة أنواع: الأرقاء، المعتقون، وأنصاف الأحرار، والأقنان التابعون، وكان الرق

أصلاً من أصول الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة في جزيرة العرب قبل الإسلام. وجاء الإسلام في هذا الجـو الذي يسوده التمييز بين الناس فدعا إلى المساواة بين النـاس كافة، وإذا كان قد أبقى على الرق فلهذا الإبقاء أسباب كثيرة، ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الأسباب التـي تـؤدي إلـى تحرير الرق التي جاء بها الإسلام لم تعرفهـا أيـة شـريعة أخرى، وإلى أن المساواة بين الأحرار والأرقاء في العبادات والمعاملات كانت تامة خلافاً لما كان معروفاً فـي الشـرائع الأخرى، وإلى أن الرقيق كان يكتسب جميع حقوق الأحـرار وتترتب عليه جميع واجباتهم منذ اللحظة التي يقع فيها العتق، وكانت الأمم تتفاخر أيام البعثة وحتى يومنا هـذا بـالأعراق والأجناس، وكان العرب يتفاخرون بالألقـاب والأحسـاب ن فجاء الإسلام هادماً لهذا كلية في نصوص القرآن والسنة وفي سيرة الخلفاء في الصدر الأول، كما سنرى فيما بعد.

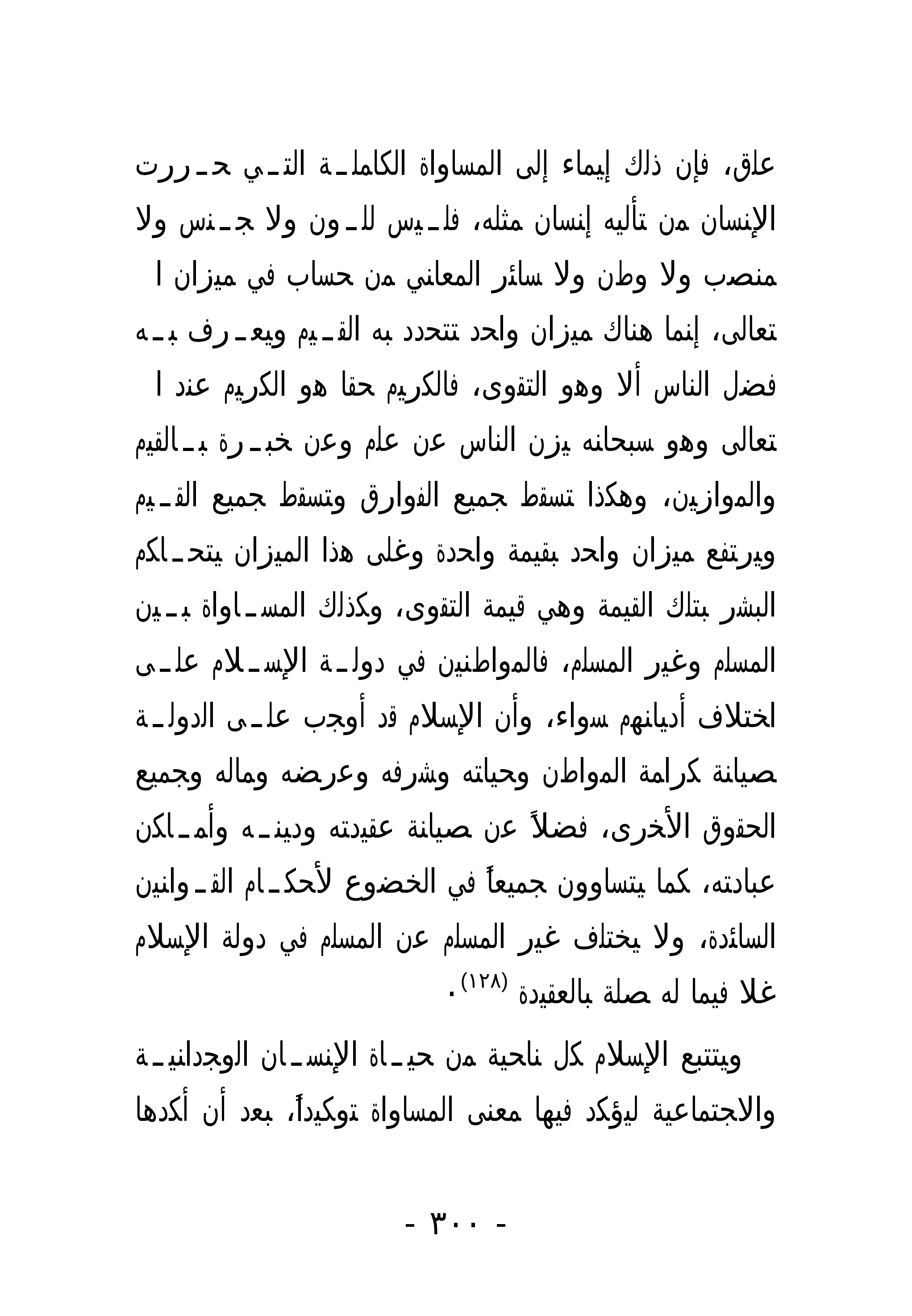
ويكفي أن نستشهد من نصوص القرآن الكريم قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقاكم)[١٢٥]، وظاهر الآية

يدل على أن الخطاب فيها جاء للناس كافة وأن هـذه الآيـة أُريد بها عدم التمايز بين البشر لأي سبب كان.

أما السنة المطهرة فالشواهد كثيرة على المسـاواة ولعـل أبلغها قول الرسول في خطبة الوداع، ومساواته في الأسـفار بكل المسلمين[١٢٦].

فالمساواة تعني التساوي أمام ديان واحد، الكل لـه عبيـد والكل أمامه سواء، وشهادة أن لا إله إلا ا وهـي الـركن الاعتقادي الأول في الدين الإسلامي تعني منهجاً كاملاً للحياة يقوم على التحرير المطلق وجدانياً وعملياً من عبودية غيـر ا ، هذا التحرر هو الخطوة الأولى الأساسية لتحقيق مجتمع صالح كريم الكل فيه متساوون.

ودعا الإسلام إلى المساواة منذ يومه الأول، ولكنها دعوة إلى المساواة الكاملة الفاضلة الحقة بـين الإنسـان وأخيـه الإنسان، كما دعا إلى نبذ الكبرياء والاستعلاء، إنه مبدأ جليل جاء به الإسلام، فكانت دعوته للمساواة بين البشر: ففي قوله تعالى (إقرأ باسم ربك الذي خلـق. خلـق الإنسـان مـن علق)[١٢٧]، وتعلن أن كل إنسان مهما كـان عرقـه ولونـه وجنسه وجاهه ومواهبه وثرواته قد خلقه ا عز وجل مـن



علق، فإن ذلك إيماء إلى المساواة الكاملـة التـي حـررت الإنسان من تأليه إنسان مثله، فلـيس للـون ولا جـنس ولا منصب ولا وطن ولا سائر المعاني من حساب في ميزان ا تعالى، إنما هناك ميزان واحد تتحدد به القـيم ويعـرف بـه فضل الناس ألا وهو التقوى، فالكريم حقا هو الكريم عند ا تعالى وهو سبحانه يزن الناس عن علم وعن خبـرة بـالقيم والموازين، وهكذا تسقط جميع الفوارق وتسقط جميع القـيم ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة وغلى هذا الميزان يتحـاكم البشر بتلك القيمة وهي قيمة التقوى، وكذلك المسـاواة بـين المسلم وغير المسلم، فالمواطنين في دولـة الإسـلام علـى اختلاف أديانهم سواء، وأن الإسلام قد أوجب علـى الدولـة صيانة كرامة المواطن وحياته وشرفه وعرضه وماله وجميع الحقوق الأخرى، فضلاً عن صيانة عقيدته ودينـه وأمـاكن عبادته، كما يتساوون جميعاً في الخضوع لأحكـام القـوانين السائدة، ولا يختلف غير المسلم عن المسلم في دولة الإسلام غلا فيما له صلة بالعقيدة [١٢٨].

ويتتبع الإسلام كل ناحية من حيـاة الإنسـان الوجدانيـة والاجتماعية ليؤكد فيها معنى المساواة توكيداً، بعد أن أكدها

لفظاً وصورة، فأكد الإسلام هذه المسـاواة روحـاً ومعنـى وبالتحرر الوجداني الكامل من جميع القيم وجميع الملابسات وجميع الضرورات، وكفل لها في عالم الواقع كل الضمانات، ولكنه يحرص على المساواة حرصاً شديداً ويريدها مسـاواة إنسانية كاملة غير محدودة بعصر ولا بقبيلة ولا ببيـت ولا مركز، كما يريدها أبعد مدى من دائرة الاقتصاديات وحدها، مما وقفت عنده المذاهب المادية العلمية.

والإسلام يعطى اهتماما خاصا لقيمـة المسـاواة كقيمـة سياسية في المجتمع الإسلامي وفى الفكر الإسلامي الإنساني النبيل، وسوف نستعرض هنا بعضا من نصـوص القـرآن والسنة النبوية المطهرة في هذا المجال:

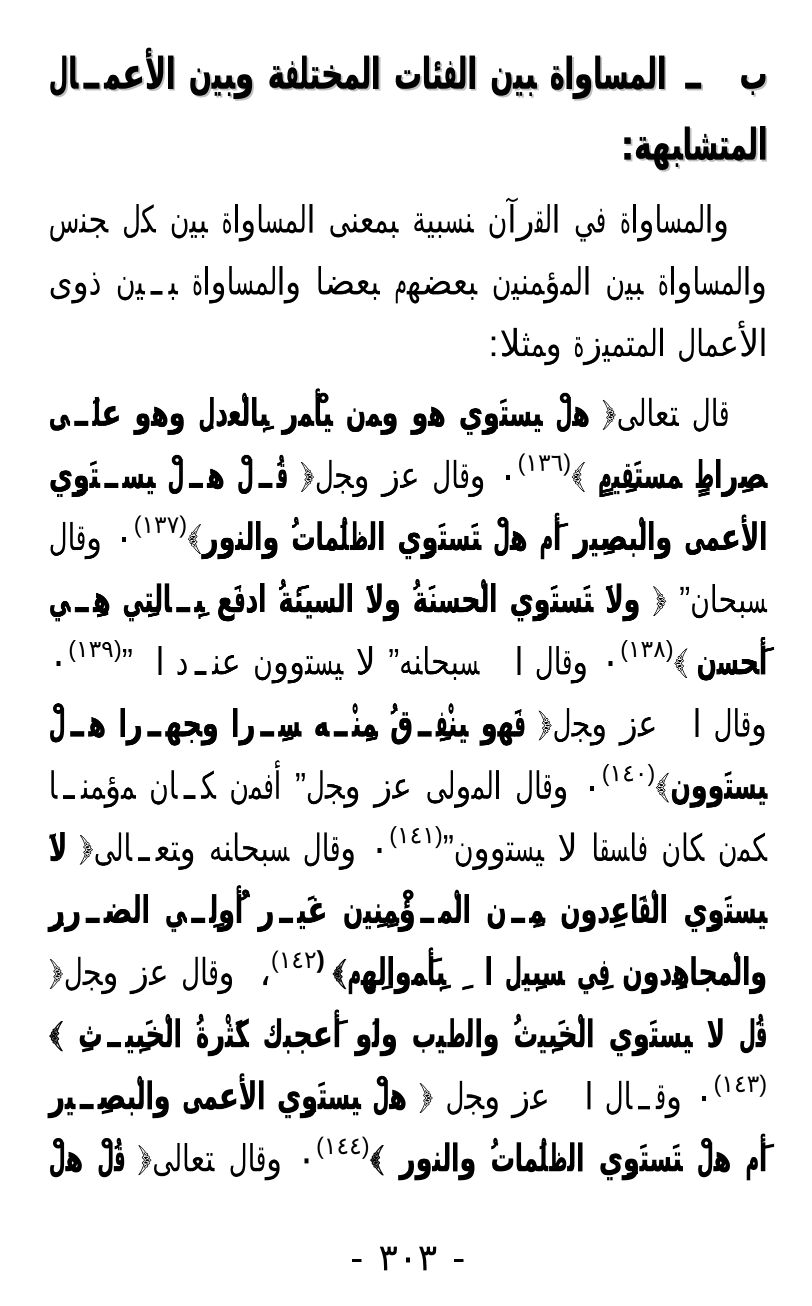
القرآن الكريم وقيمة المساواة:

المساواة في القرآن قيمة نسبية تعتمد على العدالة وتتشكل من خلالها ونستعرض النصوص القرآنية التي تتحدث عـن المساواة ومن هذه النصوص:

أ ـ المساواة مرتبطة بالعدالة:

قال تعالى:﴿ **فَأَوفُوا الْكَيلَ والْمِيزان ولاَ تَبخَسوا النـاس أَشْياءهم**﴾ [١٢٩]، وقال سبحانه" فهم فيه سـواء أفبنعمـة ا

يجحدون"[١٣٠]، وقال سبحانه" الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد"[١٣١]، وقال عز وجل﴿ **فَاحكُم بينَنَا بِالْحق ولاَ تُشْطِطْ واهدِنَا إِلَى سواءِ الصراطِ** ﴾[١٣٢]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **لاَ يسخَر قَوم من قَومٍ عسى أَن يكُونُوا خَيرا منْهم ولاَ نِساء من نساءٍ عسى أَن يكُن خَيرا منْهن** ﴾[١٣٣]، ووحدة الأصل الإنساني تجعلنا نعتز بعظمة الإسلام في المساواة، قال تعالى" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا ا الذي تساءلون به والأرحام)[١٣٤]، فالآية تؤكد أن الناس جميعاً من نسل آدم من تراب حتى الرسل لا يتميزون في ذلك، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **إِن مثَلَ عِيسى عِنْد ا كَمثَلِ آدم خَلَقَه مِن تُرابٍ ثُم قَالَ لَه كُن فَيكُون** ﴾[١٣٥]، وهكذا، فغن الناس جميعاً خلوا من ذكر وأنثى وينسلون من مصدر واحد فليس ثمة ما يبرر أن يدعي بعضهم السمو على بعض بانتسابه إلى جنس أعلى، قال سبحانه ﴿ **يا أَيها الناس إِنا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلْنَاكُم شُعوبا وقَبائِلَ لِتَعارفُوا إِن أَكْرمكُم عِنْد ا أَتْقَاكُم إِن ا عِلِيم خَبِير** ﴾ (الآية ١٣ سورة الحجرات٠)

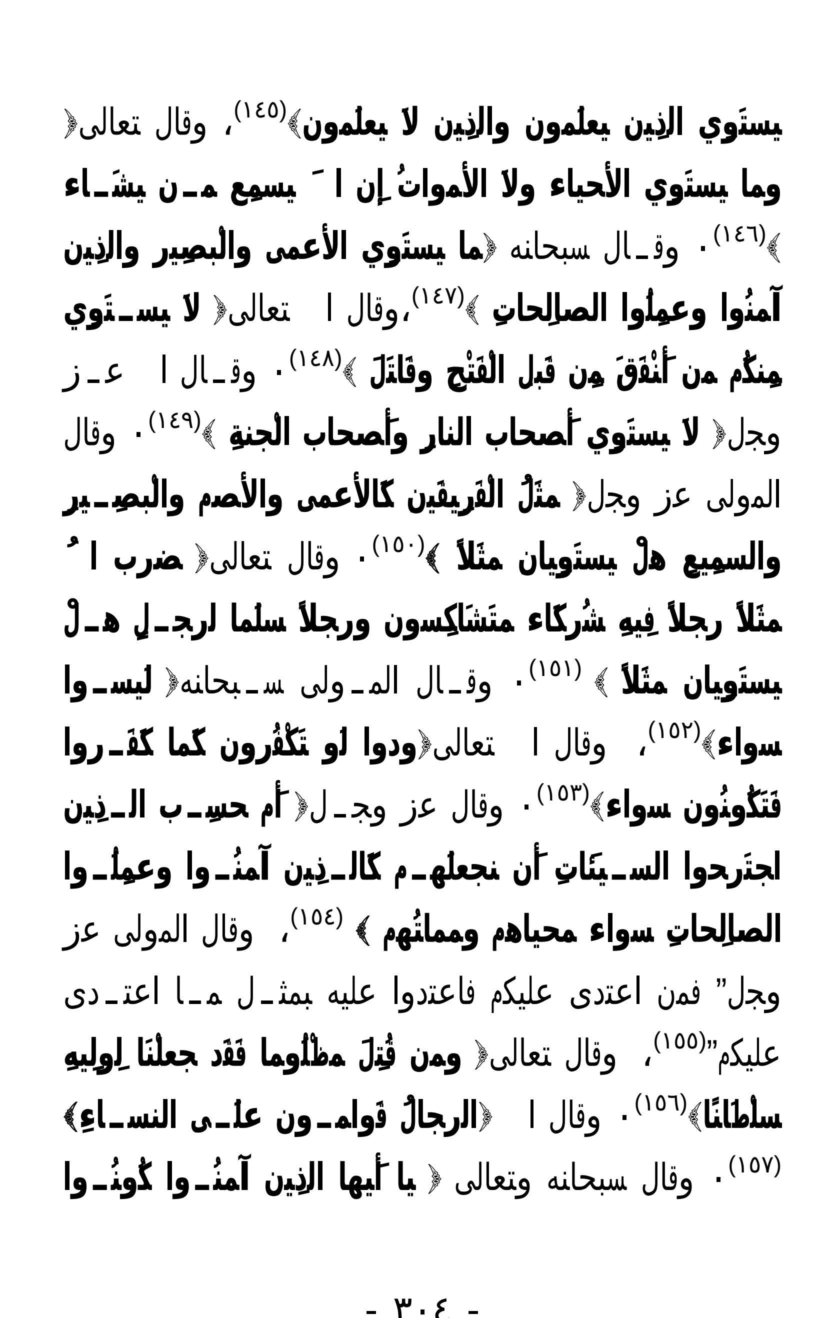


ب ـ المساواة بين الفئات المختلفة وبين الأعمـال المتشابهة:

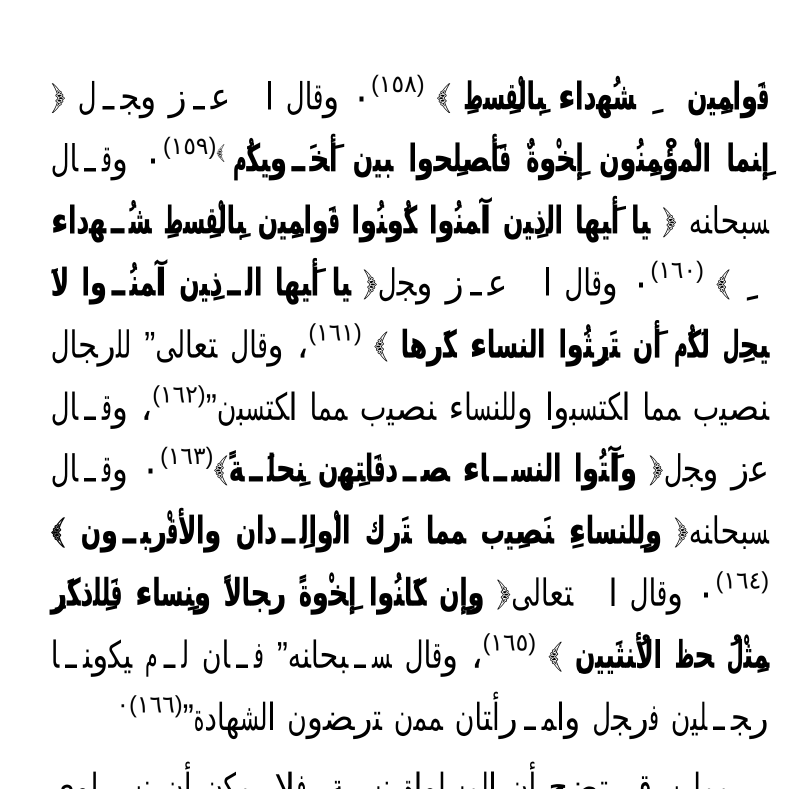
والمساواة في القرآن نسبية بمعنى المساواة بين كل جنس والمساواة بين المؤمنين بعضهم بعضا والمساواة بـين ذوى الأعمال المتميزة ومثلا:

قال تعالى﴿ **هلْ يستَوِي هو ومن يأْمر بِالْعدل وهو علَـى صراط مستَقيم** ﴾[١٣٦]. وقال عز وجل﴿ **قُـلْ هـلْ يسـتَوِي الأعمى والْبصير أَم هلْ تَستَوِي الظُلُماتُ والنور**﴾[١٣٧]. وقال سبحان" ﴿ **ولاَ تَستَوِي الْحسنَةُ ولاَ السيئَةُ ادفَع بِـالَتِي هِـي أَحسن** ﴾[١٣٨]. وقال ا سبحانه" لا يستوون عنـد ا "[١٣٩].

وقال ا عز وجل﴿ **فَهو ينْفِـقُ مِنْـه سِـرا وجهـرا هـلْ يستَوون**﴾[١٤٠]. وقال المولى عز وجل" أفمن كـان مؤمنـا كمن كان فاسقا لا يستوون"[١٤١]. وقال سبحانه وتعـالى﴿ **لاَ يستَوِي الْقَاعِدون مِـن الْمـؤْمِنِين غَيـر أُولِـي الضـرر والْمجاهِدون فِي سبِيل ا ـ بِأَموالِهم**﴾[١٤٢]، وقال عز وجل﴿ **قُل لا يستَوِي الْخَبِيثُ والطيب ولَو أَعجبك كَثْْرةُ الْخَبِيـثِ** ﴾[١٤٣]. وقـال ا عز وجل ﴿ **هلْ يستَوِي الأعمى والْبصِـير أَم هلْ تَستَوِي الظُلُماتُ والنور** ﴾[١٤٤]. وقال تعالى﴿ **قُلْ هلْ**



يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١٤٥]، وقال تعالى﴿ **وما يستوي الأحياء ولا الأمواتُ إن ا يسمع من يشاء** ﴾[١٤٦]. وقال سبحانه ﴿**ما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ** ﴾[١٤٧]،وقال ا تعالى﴿ **لا يستوي منكم من أنفقَ من قبل الفتْح وقاتلَ** ﴾[١٤٨]. وقال ا عز وجل﴿ **لا يستوي أصحاب النارِ وأصحاب الجنةِ** ﴾[١٤٩]. وقال المولى عز وجل﴿ **مثَلُ الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هلْ يستويان مثَلاً** ﴾[١٥٠]. وقال تعالى﴿ **ضرب ا مثَلاً رجلاً فيهِ شُركاء متَشاكِسون ورجلاً سلما لرجلٍ هلْ يستويان مثَلاً** ﴾[١٥١]. وقال المولى سبحانه﴿ **ليسوا سواء**﴾[١٥٢]، وقال ا تعالى﴿**ودوا لو تكْفُرون كما كفَروا فتَكُونُون سواء**﴾[١٥٣]. وقال عز وجل﴿ **أم حسِب الذِين اجترحوا السيئاتِ أن نجعلهم كالذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ سواء محياهم ومماتُهم** ﴾[١٥٤]، وقال المولى عز وجل" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[١٥٥]، وقال تعالى﴿ **ومن قُتِلَ مظلُوما فقَد جعلْنَا لِوليهِ سلْطَانًا**﴾[١٥٦]. وقال ا ﴿**الرجالُ قوامون على النساءِ**﴾[١٥٧]. وقال سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنُوا كُونُوا**



﴿ **قَوامِين ـِ شُهداء ِبِالْقِسطِ** ﴾[١٥٨]. وقال ا عـز وجـل ﴿ **ِإنما الْمؤْمِنُون ِإخْوةٌ فَأَصلِحوا بين َأخَـويكُم** ﴾[١٥٩]. وقـال سبحانه ﴿ **يا َأيها الَذِين آمنُوا كُونُوا قَوامِين ِبِالْقِسطِ شُـهداء ـِ** ﴾[١٦٠]. وقال ا عـز وجل﴿ **يا َأيها الـَذِين آمنُـوا لاَ يحِلُ لَكُم َأن تَرِثُوا النساء كَرها** ﴾[١٦١]، وقال تعالى" للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن"[١٦٢]، وقـال عز وجل﴿ **وآَتُوا النسـاء صـدقَاتِهِن ِنحلَـةً**﴾[١٦٣]. وقـال سبحانه﴿ **وِللنساءِ نَصِيب مما تَرك الْواِلـدان والأَقْربـون** ﴾[١٦٤]. وقال ا تعالى﴿ **وِإن كَانُوا ِإخْوةً رجالاً وِنساء فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حظ الْأُنثَيين** ﴾[١٦٥]، وقال سـبحانه" فـان لـم يكونـا رجـلين فرجل وامـرأتان ممن ترضون الشهادة"[١٦٦].

مما سبق يتضح أن المساواة نسبية، فلا يمكن أن نسـاوي بين المتضادات أو المختلفـين فـي الشـكل أو الطبـاع أو المضمون، لأنها حينذاك لا يمكن أن تكون مساواة، فالمساواة في المفهوم الإسلامي تكون بين الأسوياء والمتشابهين.

المساواة في السنة الشريفة المطهرة:

فنجد أن صور المساواة تتجلى في أروع صـورها عنـد رسول ا صلى ا عليه وسلم، فلقد طبقها النبـي الكـريم

أعظم تطبيق حين قال في حديثه الشريف" والذي نفسي بيـده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها" (١٦٧).

وفي أحاديث النبي صلى ا عليه وسلم وأقواله ما يفيـد المساواة الكاملة، حيث قال" يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من ا شيئاً، يا بني عبد مناف: لا أغني عنكم من ا شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك مـن ا شيئا، يا فاطمة بنت محمد: سليني ما شئت من مـالي، لا أغني عنك من ا شيئاً." وفي الحديث بهذا المعنـي" لـي عملي ولكم عملكم"، وهو عليه الصلاة والسلام يقول" إنه لا فضل لعربي على أعجمـي ولا لقرشـي علـى حبشـي إلا بالتقوى"، وقد سمع عليه السلام أبا ذر الغفاري يقول: يا ابن السوداء، فغضب وقال: طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح" (١٦٨).

ومن أفعال الرسول صلى ا عليه وسـلم التـي تؤيـد المساواة أن عقبة بن عار كان صاحب بغلة الرسـول التـي يقودها في الأسفار، قال عقبة: قدت برسول ا وهـو علـى راحلته رتوة وسويعة من الزمان من الليل، وأن رسـول ا

قال: أنخ، فأنخت، فنزل عن راحلته، ثم قال: اركب يا عقبة، فقلت: سبحان ا أعلى مركبك يا رسول ا وعلى راحلتك؟، فأمرني فقال: اركب، فقلت أيضاً مثـل ذلـك ورددت ذلـك مراراً حتى خفت أن أعصي رسول ا ، فركبـت راحلتـه ورحله ثم زجر الناقة فقامت وقادني رسول ا .

صور من المساواة في عهد الخلفاء:

ـ لعل أروع النماذج والمظاهر للمسـاواة فـي تـاريخ الخلفاء الراشدين أن أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقد درعه وهو متوجه إلى صفين، وبحث عنها طويلاً فلم يجدها، وبعد أيام وجدها في يد يهودي، فقال لـه على: الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال على وهو الحاكم العام: نحتكم إلى القاضي، وتوجها إلى القاضي شريح، الذي قـال لأمير المؤمنين: ألك بينة على أن الدرع ملكك؟، فقال على: نعم قُنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعـي، فقال له القاضي شريح: شهادة الابن لا تجوز لـلأب، فقال على: الحسن رجل من أهـل الجنـة لا تجـوز شهادته !!، قال القاضي: هو ولدك، وحكـم القاضـي

لليهودي، وبعد الحكم وقف اليهـودي وقـال: أميـر المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه حكم ضده، أشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً رسول ا .

وهذا مثل إلى حرص الإسلام في المساواة بين الخصـوم أمام القضاء، لقد كان في إمكان الحاكم على غبن أبي طالب أن يلجأ إلى ما يسمى بحالة الضرورة ويأخذ الـدرع بـالقوة لأنه مقدم على معركة، ولكنه لجـأ للقاضـي، الـذي حكـم بالمساواة التامة.فالمساواة قيمة من قيم العدالة وتتشكل مـن خلالها..

- فلقد روى الطبري أنه قد أصابت الناس في إمارة عمر بن الخطاب سنة جدب بالمدينة وما حولهـا، فكانـت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد فسمى ذلك العام عـام الرمادة، فآلى (أي حلف) عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيي الناس من أول الحيـا (المطـر ومعنى الجملة نبات العشب) فكان بذلك حتـى أحيـا الناس من أول الحيا، فقدمت السوق (عكة) من سـمن ووطب لبن فاشتراها غلام لعمر بأربعين ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر ا بيمينك وعظّم أجرك

قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهمـا بأربعين، فقال عمر: أغليت بهما فتصدق بهما فغنـي أكره أن آكل إسرافاً، وقال عمر: كيف يعنيني شـأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم؟!. وقال ابن الجوزي في فعل عمر هذا العام (كان عمر يصوم الدهر، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخير قد ثرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جـزوراً" ناقـة" فأطعمهـا الناس وغرفوا له طيبها فأتي به، فذ قديد من سـنام ومن كبده، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المـؤمنين من الجزور التي نحرناها اليوم، فقال: بخ بخ، بـئس الولي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كرادسـها، ارفع هذه الجفنه وهات لي غير هذا الطعام، فأُتى لـه بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز.

- ويروى ابن الجوزي أنه قد أصاب الناس سنة غـلاء فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت فيقرقـر بطنـه فيقول: كركر ما شئت فوا لا تأكل السمن حتى يأكله الناس.

ـ كما روى أيضاً أن عمر خرج حاجاً فصنع له صفوان بن أُمية طعاماً فجاءوا بجفنه يحملها أربعة، فوضعت بين يدي القوم يأكلون، وقام الخدام، فقال عمر: مالي لا أرى خدامكم يأكلون معكم، أترغبون عنهم؟، فقـال أحد القوم: لا وا يا أمير المؤمنين، ولكنـا نسـتأثر عليهم، فغضب عمر غضباً شديداً ثم قال: مـا لقـوم يستأثرون على خدامهم فعل ا بهم ما فعل، ثم قـال للخدام: أجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون ولم يأكـل أمير المؤمنين.

ـ ولما قدم عتبة بن فرقد من أذربيجان أتى بـالحنبيص، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً فقال: وا لو وضـعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين ثم حملها على بعيره مع رحلته فسرج بهما إلى عمـر، فلما قدما عليه فتحهمـا فقـال: أي شـيء؟، قـالوا: حنبيص، فذاقه، فإذا هو شـيء حلـو، فقـال: أَكُـل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟، فقالوا: لا، قـال: أما لا فأردهما، ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس مـن

كد أبيك ولا من كد أمك، أشبع المسلمين مما تشبع في رحلك !!

- ويروى عن مساواة عمر، أنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان ا في الأرض فأحببت أن أُعلمك أن سلطان ا لن يهابك، وكان سعد أحد العشرة المبشرين بالجنة وفاتح العراق وأحد الستة الذين عينهم عمر للشورى لاختيار الخليفة من بعده.

- ويروى أن عمر بن العاص أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب يوم كان عامله على مصر، ومن المألوف أن يقام الحد في الساحة العامة للمدينة لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، ولكن عمرو بن العاص أقام الحد على ابن الخليفة في البيت، فلما بلغ الخبر عمر، كتب إلى عمرو بن العاص يقول: من عبد ا أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص، عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك على وخلاف

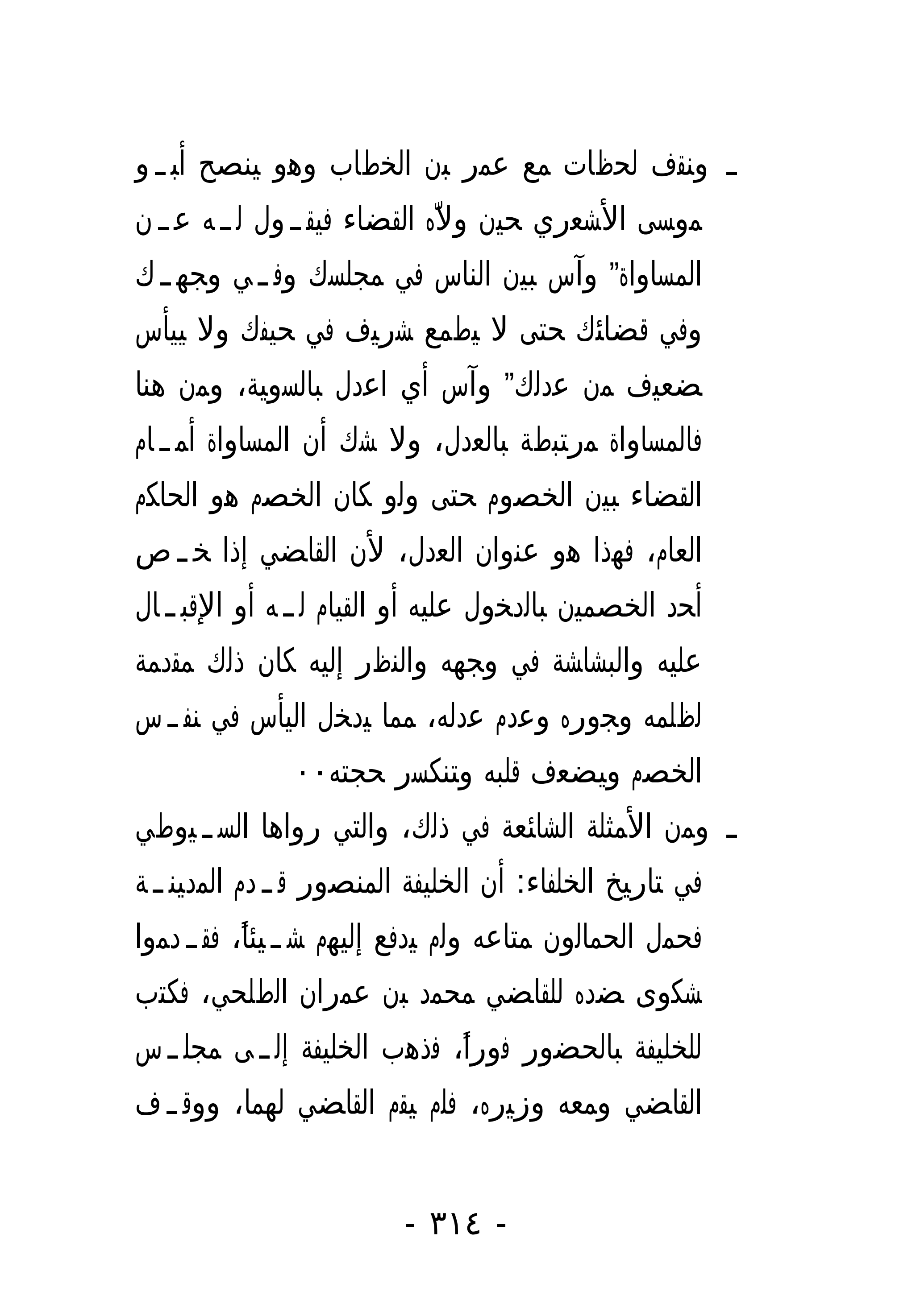
عهدي، أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هـو خير منك واخترتك لجدالك عني وإنفاذ عهدي فـأراك قد تلوثت بما قد تلوثت، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجـل مـن رعيتـك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلـت: هو وا ولد أمير المؤمنين !، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب عليـه، فـإذا جاءك كتابي هذا فأبعث به في عباءة عليه حتى يعرف سوء ما صنع)[١٦٩].

ـ ومن نماذج المساواة أيضاً: أن عمـر بـن الخطـاب رضي ا عنه كان في مجلسه، ودخل عليه إعرابـي من عامة الناس وتقدم بشكوى ضد جبلة بـن الأيهـم الملك الغساني، وخلاصة الشكوى أن الإعرابـي داس على طرف رداء جبلة فلطمه على خده، فأرسل عمر في استدعاء الملك، ولما حضر سأله: أتعـرف هـذا الإعرابي؟، فقال: نعم، قال عمر: ألطمته على خده؟، قال: نعم.، فقال عمر: ما أن ترضيه وإما أن يقـتص

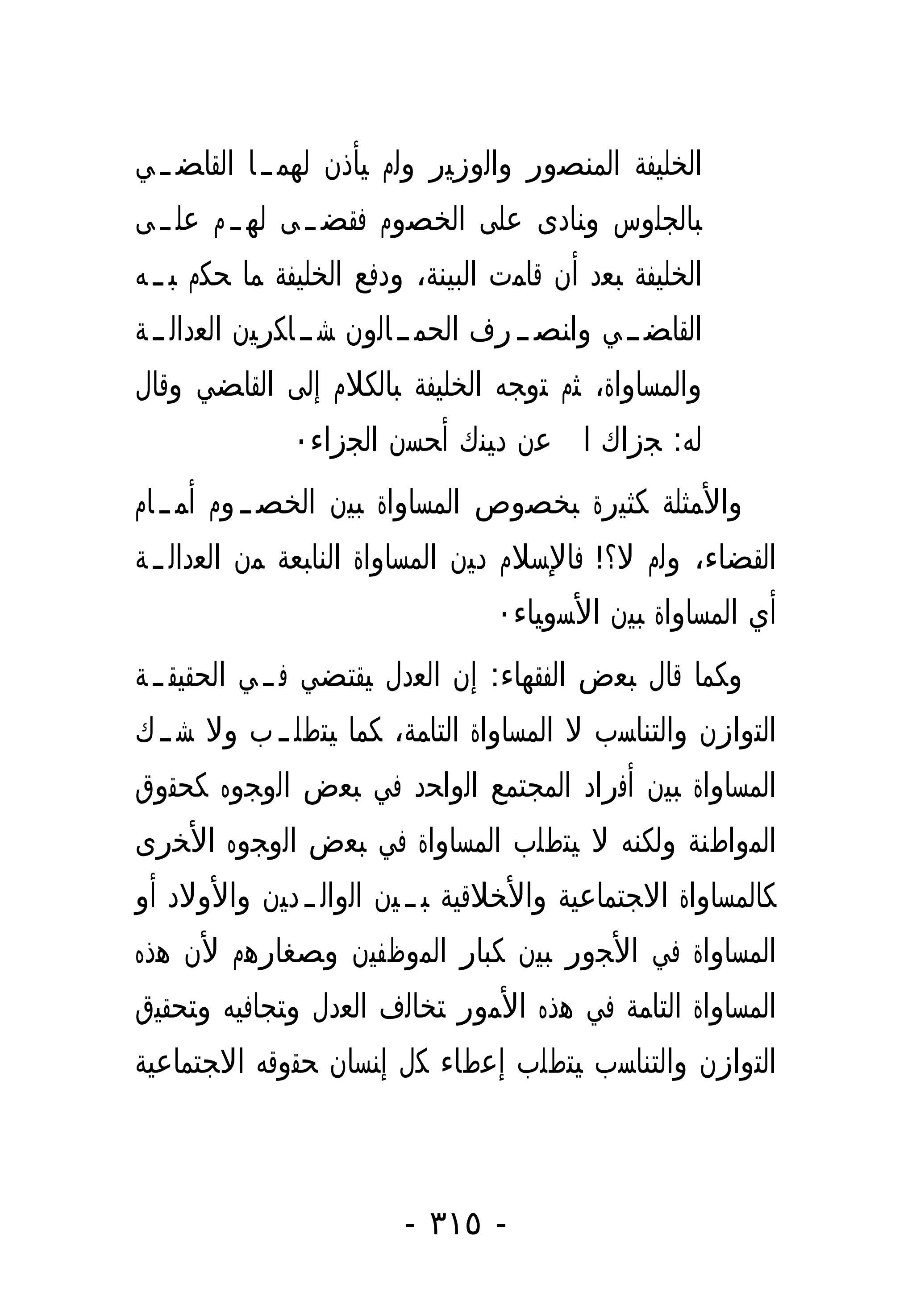
منك. فقال جبلة: كيف وأنا ملك وهو سوقة؟، فقـال عمر قولته الخالدة: لقد سوى الإسلام بينكما !!

وهنا تتجلى أروع صور الشريعة الإسلامية التي سـاوت بين الولاة والرعية، فهذا عمر بن الخطاب أميـر المـؤمنين يحذر ولاة الأقاليم من أن تأخذهم نشوة السلطة فتصدر منهم المخالفات في حق ا أو في حق الناس، لذلك كان يكثر فـي خطبه أمام الناس ويقول" إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم إليكم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيأكم بينكم، من فعل به غير ذلك فليقم" فقام رجـل فقال: إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط، فقال عمر للرجل: قم فاقتص منه".

- كما قام عمر بالخطبة ذات يوم فقال" من ظلمه عاملـه بمظلمة فلا إذن له على، أي سياسية ما يسمى بالباب المفتوح، ليرفعها غلى حتى أقُصها منه، فيقول عمرو بن العاص حاكم مصر: أرأيت إن أدب أمير المؤمنين رجلاً من رعيته أتقصه منه؟، فيقول عمر: ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول ا صلى ا عليه وسـلم يقص من نفسه" ابن كثير في البداية والنهاية ج٢٠



- ونقف لحظات مع عمر بن الخطاب وهو ينصح أبـو موسى الأشعري حين ولاّه القضاء فيقـول لـه عـن المساواة" وآس بين الناس في مجلسك وفـي وجهـك وفي قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك" وآس أي اعدل بالسوية، ومن هنا فالمساواة مرتبطة بالعدل، ولا شك أن المساواة أمـام القضاء بين الخصوم حتى ولو كان الخصم هو الحاكم العام، فهذا هو عنوان العدل، لأن القاضي إذا خـص أحد الخصمين بالدخول عليه أو القيام لـه أو الإقبـال عليه والبشاشة في وجهه والنظر إليه كان ذلك مقدمة لظلمه وجوره وعدم عدله، مما يدخل اليأس في نفـس الخصم ويضعف قلبه وتنكسر حجته..
- ومن الأمثلة الشائعة في ذلك، والتي رواها السـيوطي في تاريخ الخلفاء: أن الخليفة المنصور قـدم المدينـة فحمل الحمالون متاعه ولم يدفع إليهم شـيئاً، فقـدموا شكوى ضده للقاضي محمد بن عمران الطلحي، فكتب للخليفة بالحضور فوراً، فذهب الخليفة إلـى مجلـس القاضي ومعه وزيره، فلم يقم القاضي لهما، ووقـف



الخليفة المنصور والوزير ولم يأذن لهما القاضي بالجلوس ونادى على الخصوم فقضى لهم على الخليفة بعد أن قامت البينة، ودفع الخليفة ما حكم به القاضي وانصرف الحمالون شاكرين العدالة والمساواة، ثم توجه الخليفة بالكلام إلى القاضي وقال له: جزاك ا عن دينك أحسن الجزاء.

والأمثلة كثيرة بخصوص المساواة بين الخصوم أمام القضاء، ولم لا؟! فالإسلام دين المساواة النابعة من العدالة أي المساواة بين الأسوياء.

وكما قال بعض الفقهاء: إن العدل يقتضي في الحقيقة التوازن والتناسب لا المساواة التامة، كما يتطلب ولا شك المساواة بين أفراد المجتمع الواحد في بعض الوجوه كحقوق المواطنة ولكنه لا يتطلب المساواة في بعض الوجوه الأخرى كالمساواة الاجتماعية والأخلاقية بين الوالدين والأولاد أو المساواة في الأجور بين كبار الموظفين وصغارهم لأن هذه المساواة التامة في هذه الأمور تخالف العدل وتجافيه وتحقيق التوازن والتناسب يتطلب إعطاء كل إنسان حقوقه الاجتماعية

والسياسية والقانونية والاقتصادية والأخلاقية بأمانة تامة وهذا هو قمة العدل وما ينتج عنه من المساواة(١٧٠).

المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام

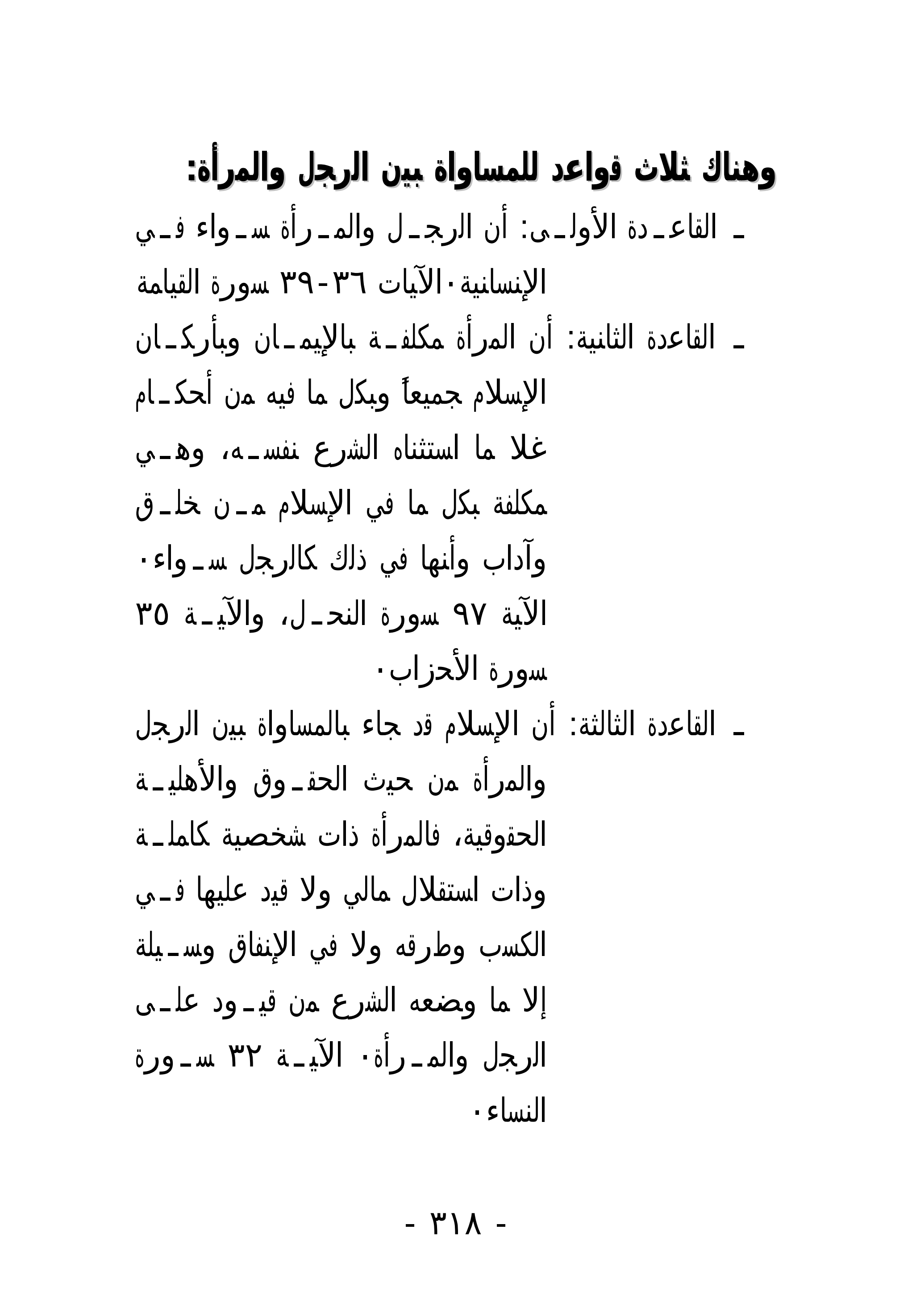
الرجل والمرأة سواء في أصل الإنسانية، لذلك فن الإسلام يسوي بينهما في الحقوق المدنية، فـالمرأة لهـا شخصـيتها المتكاملة واستقلالها المالي، والمرأة في الإسلام لها وظيفـة معينة وهي رعاية بيتها والقيام على شئون زوجها ومراعـاة أولادها، والرجل له ميدان عمله في السعي علـى المعـاش وتدبير المال للنفقة اللازمة على البيت، ومن حق المـرأة أن تعمل خارج بيتها بشرط مراعاة الأخـلاق الدينيـة والآداب الإسلامية والقيم الاجتماعية الفاضلة.

والإسلام أوجب على الرجل النفقة على المرأة سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجة أو بنتاً، والإسلام عندما وضـع هـذه القواعد نص على أن المرأة مكلفة بأركان الإيمـان وأحكـام الشرع غلا ما استثناه لها في ظروف طارئة تتناسـب مـع طبيعتها، فهي مكلفة بكل ما في الإسلام مثلها مثـل الرجـل تماماً، فلها حق التصويت في الانتخاب وأن تُبدي رأيها فـي الأمور العامة وأن تشارك في الأعمـال الاجتماعيـة، وأن

تحضر إلى المسجد تصلي وتتعلم وتحضر الجمعة والجماعة، كل ذلك في حدود ما يوافق طبيعتها ويتواءم مع شخصيتها.

وهكذا وضع الإسلام بنظم دقيقة قواعد المساواة حتـى لا يكون هناك اضطراب، ثم على المرأة أن تعلم ما شرعه ا لها لأن في ذلك مصلحتها وسعادتها، قال تعـالى﴿ **الرجـالُ قَوامون علَى النساءِ بِما فَضلَ ا ُ بعضهم علَى بعضٍ وبِمـا أَنْفَقُوا مِن أَموالِهم** ﴾ (١٧١).

والأسرة مسـئولية مشـتركة بـين الرجـل والمـرأة والاختصاصات في هذه المؤسسة الأسـرية موزعـة بـين أطرافها من أجل النهوض بها كأسـاس للمجتمـع المسـلم، فالرجل له اختصاصه والمرأة لا تشاركه في اختصاصه لأنها لا تقدر على حمل هذا الاختصاص وإنما لها اختصاصـات أخرى داخل الأسرة لا يقدر الرجل علـى تحملهـا، ولـذلك فالمساواة تتجلى في أروع صورها بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، ومحاولة التداخل في الاختصاصـات لكـل طـرف تكون بمثابة معول الهدم في كيان الأسرة.. فالمساواة بـين الرجل والمـرأة مسـاواة حسـب الاختصـاص والطبيعـة الإنسانية.



وهناك ثلاث قواعد للمساواة بين الرجل والمرأة:

ـ القاعـدة الأولـى: أن الرجـل والمـرأة سـواء فـي الإنسانية. الآيات ٣٦-٣٩ سورة القيامة

ـ القاعدة الثانية: أن المرأة مكلفـة بالإيمـان وبأركـان الإسلام جميعاً وبكل ما فيه من أحكـام غلا ما استثناه الشرع نفسـه، وهـي مكلفة بكل ما في الإسلام مـن خلـق وآداب وأنها في ذلك كالرجل سـواء. الآية ٩٧ سورة النحـل، والآيـة ٣٥ سورة الأحزاب.

ـ القاعدة الثالثة: أن الإسلام قد جاء بالمساواة بين الرجل والمرأة من حيث الحقـوق والأهليـة الحقوقية، فالمرأة ذات شخصية كاملـة وذات استقلال مالي ولا قيد عليها فـي الكسب وطرقه ولا في الإنفاق وسـيلة إلا ما وضعه الشرع من قيـود علـى الرجل والمـرأة. الآيـة ٣٢ سـورة النساء.

فالمساواة كاملة بين الرجل والمرأة وحتى في شخصـيتها الحقوقية فهي كاملة كالرجل ولا فرق في حقـوق الإنسـان بينهما (١٧٢).

وجوه المساواة:

جاء الإسلام بالمساواة، حيث سوى بين المسـلمين فـي التكاليف الشرعية وفي الواجبات وما أباحه من مباحات وما نهى عنه من محظورات ومكروهات وما أنذر به من عقاب في الدنيا والآخرة، فسوى بين المسلمين في كل ذلك ولم يميز أحد على أحد ولم ينقص من واجب أو يزد فيـه،، فـأوامر الإسلام ونواهيه موجهة إلى الناس كافة لا إلى أمة بعينها أو جنساً بعينه دون النظر إلى الفروق الشخصية أو الاجتماعية، قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)[١٧٣].

حتى أن كاتباً كبيراً ومفكراً مثل الدكتور طه حسين يرى في كتابه الفتنة الكبرى ج ١ ص ١٠ (أن الإسلام إنما جـاء قبل كل شيء بقضيتين أولاهما التوحيد وثانيهما المساواة بين الناس، وكان أغيظ ما غاظ قريشاً من النبي ودعوته أنه كان يدعوها إلى هذه المساواة ولم يكن يفّرق بين السيد والمسـود

ولا بين الحر والعبد ولا بين القوي والضعيف ولا بين الغني والفقير، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعـاً سـواء كأسنان المشط، لا يمتاز بعضهم على بعـض ولا يسـتعلي بعضهم على بعض، وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفـه على النبي صلى ا   عليه وسلم لما أظهر من ذلـك، حتـى لأكاد أعتقد لو أنه قد دعاها إلى التوحيـد دون أن يعـرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ودون أن يسوي بـين الحـر والعبد وبين الغني والفقير وبين القوي والضعيف، لأجابتـه كثرتهم في غير مشقة أو جهد أو لأجابه من قريش من أجاب ولمنع عليه منها من منع دون أن يلقى في ذلـك مشـقة أو عنتا، ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريشاً علـى النبـي الكريم لأنه عرض نظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعـا من العدل من خلال هذه المساواة لا يلائـم منـافع سـادتها وكبرائها)[١٧٤]

ويقول ابن المقفع فيما يبتغيه السلطان من رضا الرعيـة" إنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك، وكيف ينفق لك رضا المخالفين؟ أم ما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور، وإلى موافقة من وافقته الضلالة والجهالـة؟ فعليـك

التماس رضا الأخيار وذوي العقول فإنك متى تصب ذلك تضع عنك مؤنة ما سواه"[175].

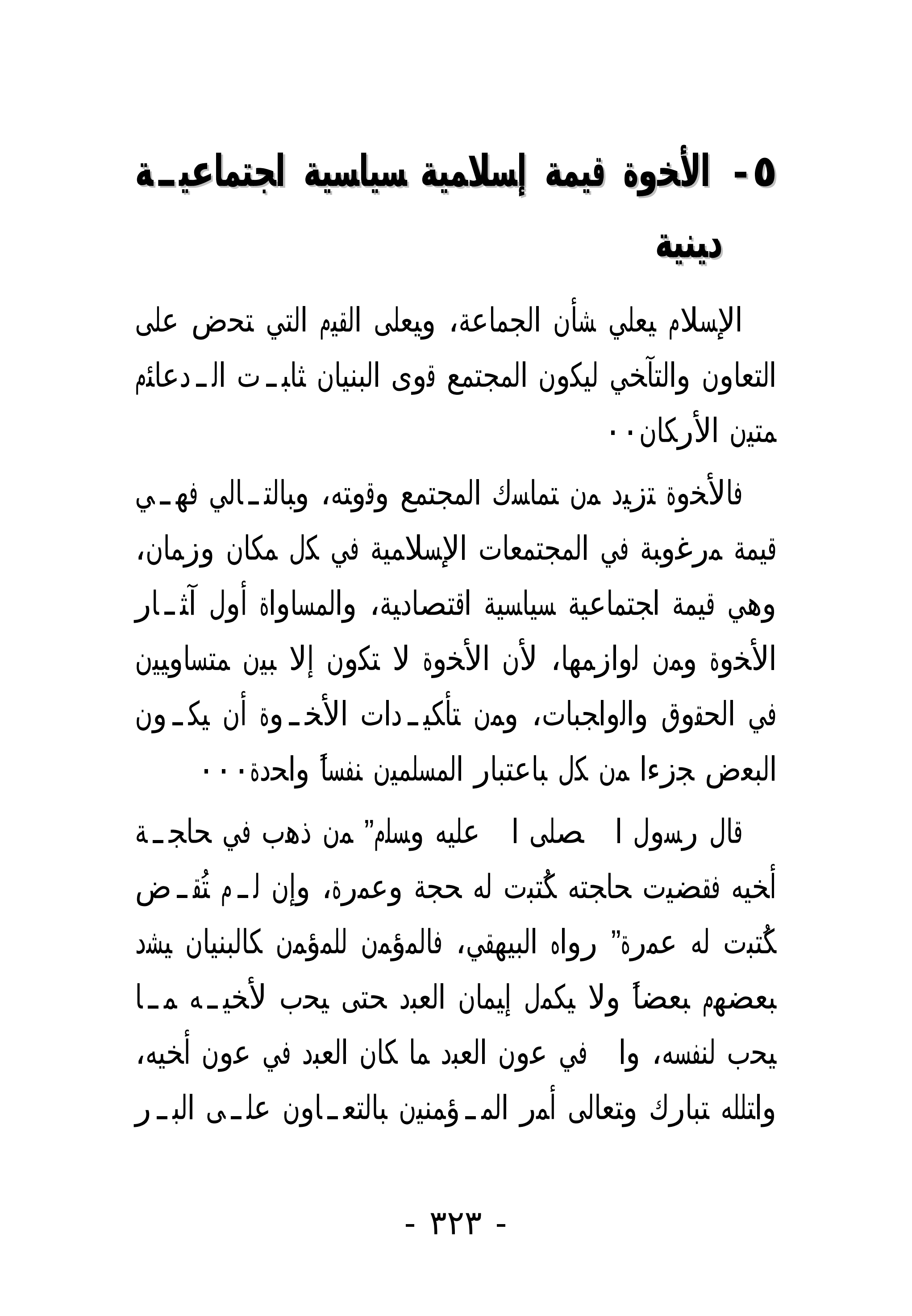
هل العدل هو المساواة؟، أجاب على ذلك عباس محمود العقاد فيقول" بعض المساواة عدل لاشك فيه وبعضها كذلك ظلم لا شك فيه، لأن مساواة من يستحق بمن لا يستحق هي الظلم بعينه، والمساواة بين جميع الأشياء هي العدم المطلق، إذا لابد من اختلاف ليقال هذا شيء وذلك شيء، فإن لم يكن اختلاف لم يكن شيء، وإنما هو العدم المطلق الذي لا محل فيه لموجود، والإسلام يشيد بالعدل ويوجبه ويكرر الدعوة إليه، يوجبه بين العدو وعدوه، ويوجبه بين القريب والغريب وبين الغني والفقير، ويوجبه في المعاملات والأحكام، ويوجبه في دعوة الأنبياء والهداة، ولا يسوي بين جائر وعادل.

والعدل مفهوم إذا تساوى الناس في أمور، ولم يتساووا في أمور أخرى، ولكنه غير مفهوم إذا عمت المساواة في جميع الأمور وجميع الحالات، لأنه لا معنى في هذه الحالة للموازنة بين القيم والأقدار، أما الأمور التي يتساوى فيها الناس جميعاً فهي الحقوق العامة التي تحمي كل إنسان من أن يبغي عليه أحد، أما المساواة التي فيها الغبن فهي المساواة

التي تبطل مزايا العمـل وفضـائل الرجحـان وتقعـد ذوي المساعي عن مساعيهم، فالعدل هو المفهوم الشـامل ويتقـدم على المساواة في الإسلام"[١٧٦]

ولبيان العلاقة بين الحرية والمساواة، فلا تعارض بينهما، نعم، فلا تعارض بين اعتماد الملك على الغلبـة والعصـبية وبين قيام الملك على مبادئ الحرية والديمقراطية بإلهام مـن العقيدة الروحية والآداب الدينية كما يقول ابن خلدون، فـإن إقامة الأحكام على المساواة تحتاج إلى الغلبة، بل هي أحوج إليها من إقامة الأحكام على التفاوت، لأن المسـاواة تكلـف كثيراً من الأقوياء وتحرس كثراً من الضعفاء، وليس الحكـم على التفاوت والجور بمحتاج إلى كل هذه الحيطة وكل هـذا القمع لمن يستطيع الطمع والاعتداء.

وهكذا فإن مبدأ المساواة في الإسلام يشمل مختلف نواحي الحياة، أمام الشرع وأمام القضاء وفي تولي الوظائف العامة والانتفاع بالمرافق العامة وغير ذلك من صور المساواة. مثل المساواة في العطاء والمساواة في التكاليف الاجتماعية وفـي الحقوق والواجبات. وهكذا تكون قيمة المساواة في الإسـلام من القيم الرئيسية في المجتمع الإسلامي.

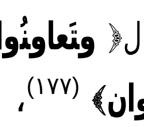


٥- الأخوة قيمة إسلامية سياسية اجتماعيـة دينية

الإسلام يعلي شأن الجماعة، ويعلى القيم التي تحض على التعاون والتآخي ليكون المجتمع قوى البنيان ثابـت الـدعائم متين الأركان٠٠

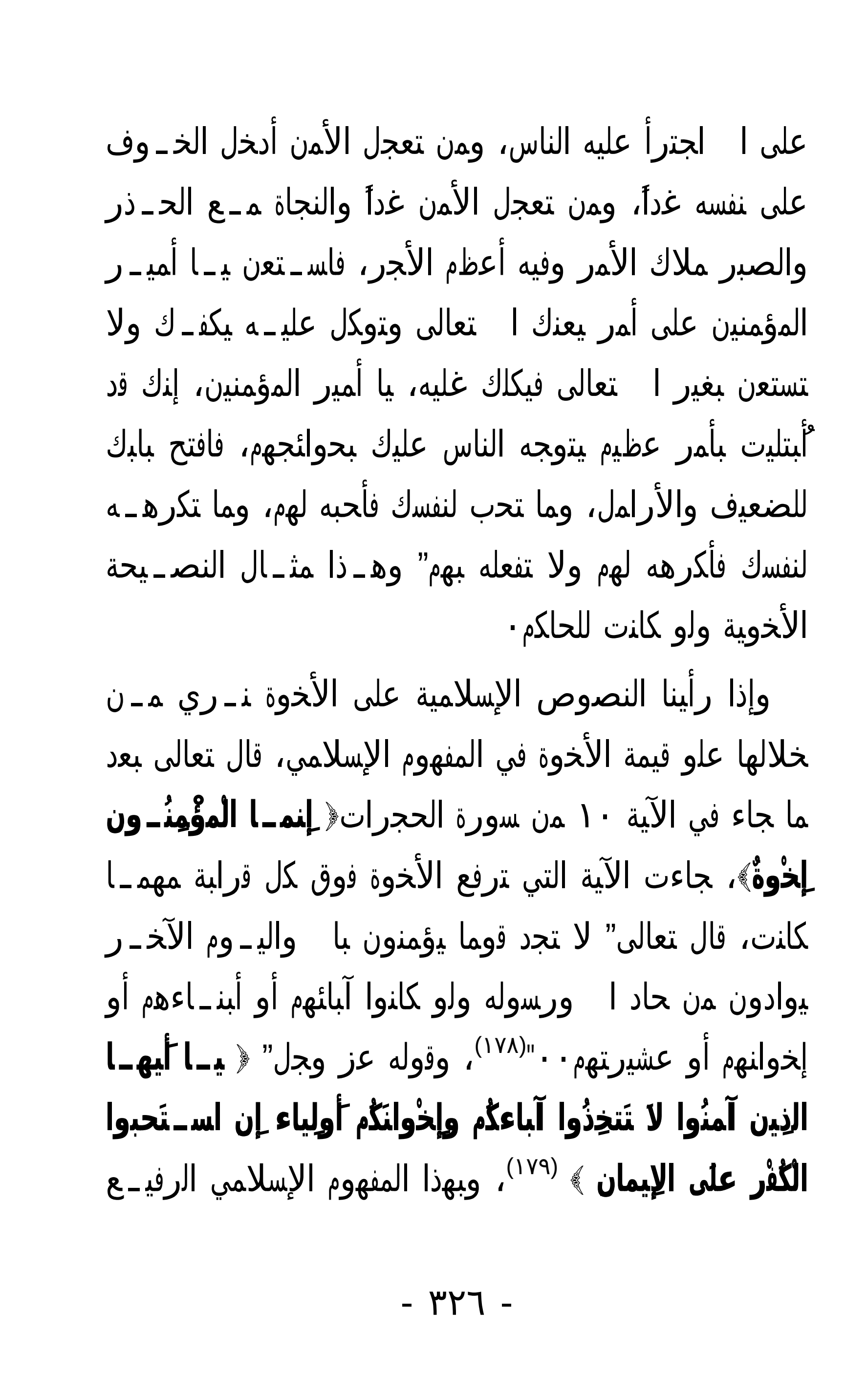
فالأخوة تزيد من تماسك المجتمع وقوته، وبالتـالي فهـي قيمة مرغوبة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان وزمان، وهي قيمة اجتماعية سياسية اقتصادية، والمساواة أول آثـار الأخوة ومن لوازمها، لأن الأخوة لا تكون إلا بين متساويين في الحقوق والواجبات، ومن تأكيـدات الأخـوة أن يكـون البعض جزءا من كل باعتبار المسلمين نفساً واحدة٠٠٠

قال رسول ا صلى ا عليه وسلم" من ذهب في حاجـة أخيه فقضيت حاجته كُتبت له حجة وعمرة، وإن لـم تُقـض كُتبت له عمرة" رواه البيهقي، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ولا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيـه مـا يحب لنفسه، وا في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، واتلله تبارك وتعالى أمر المـؤمنين بالتعـاون علـى البـر

والتقوى فقال﴿ **وتَعاونُوا علىٰ الْبر والتقْوىٰ ولاَ تَعاونُوا علىٰ الإِثْمِ والْعدوان﴾** [١٧٧]، وينبغي للمسـلم أن يسـارع لقضـاء حوائج الناس وإغاثة الملهوف، فإن من فعل ذلك كان له من ا الجزاء الأوفى، ولما لقضاء حوائج المسلمين من فضـل ومنزلة عند ا وعند رسوله، فلقد أخبر الرسول صـلى ا عليه وسلم بأن من ذهب في قضاء حاجة أخيه المسلم حتـى قضاها ا تعالى على يديه كتب ا له ثواب حجة وعمـرة وإن لم يحج ولم يعتمر، ولكنه أدخل السرور على أخ مسـلم وقضى له حاجته، ولكم لهذا الفعل عند ا تعالى من ثـواب عظيم، وإن ذهب المرء في قضاء حاجة أخيه المسلم، ولكنها لم تقض فإن ا لن يحرم الساعي من الخير من الثواب، بل يعطيه ثواب العمرة، وذلك فضل من ا يؤتيه لمن اهتمـوا بأمر المسلمين وتألموا لآلامهم وفرحوا لفرحهم، وليعلم الذين يسعون لقضاء حوائج المسلمين أن التوفيق من ا عز وجل، وقد منحهم ا تعالى هذه النعمة العظيمة ليردوا المظالم إلى أصحابها، فإن قصروا في قضاء حوائج المسلمين سـلب ا منهم هذه النعمة وأودعها في غيرهم حتى يتحملوا عبء هذه الرسالة ويساعدوا المسلمين بقدر ما يستطيعون، يقول نبينـا

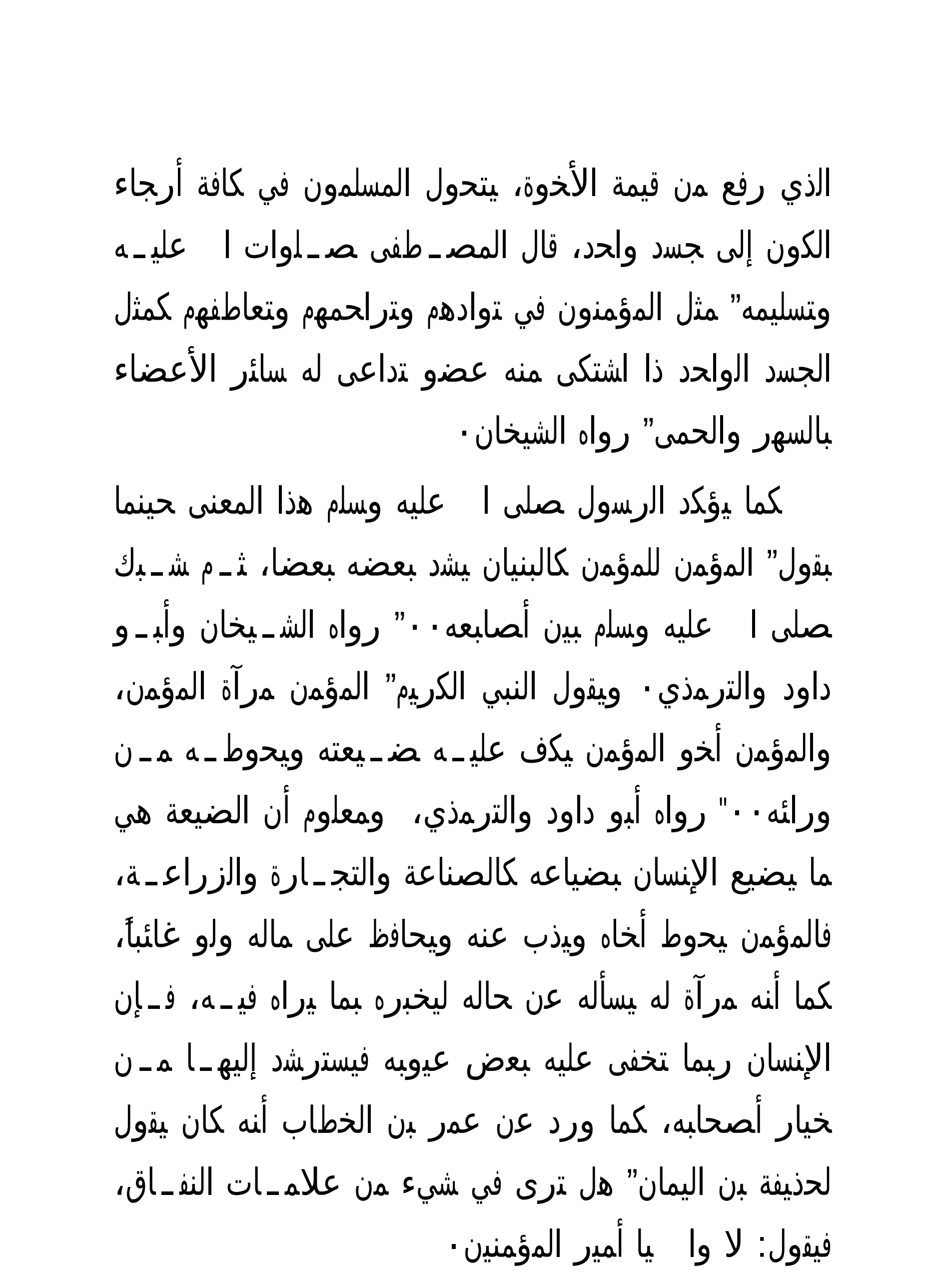
صلى ا عليه وسلم" إذا أراد ا بعبد خيراً صـير حـوائج الناس غليه" رواه الديلمي، كما روى الإمام أحمد في مسـنده أن الرسول صلى ا عليه وسلم قال" **من أراد أن تسـتجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفّرج عن معسر**".

ومن أهم ما تقتضيه الأخوة الإسلامية أن يقـدم المسـلم النصح لأخيه المسلم، فإن الدين النصيحة، ولقد ورد أنه لمـا أستخاف عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن البصري" بسم ا الرحمن الرحيم، من عبد ا أمير المؤمنين إلى الحسـن البصري، سلام عليك، أما بعد: فإني ابتليت بأمر عظيم وقـد شغلني عن كل ما أنا فيه، فإن لـم يتـداركني ا برحمتـه هلكت، ولا أرى كيف الخلاص منه، فعظني بموعظة موجزة لعل ا تعالى أن ينفعني بها، وأنا أسأل ا التوفيق لما يحب ويرضى وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برحمته، والسـلام" فكتب الحسن البصري" بسم ا الرحمن الرحيم، من الحسن بن أبي الحسن إلى عبد ا أمير المؤمنين، سلام ا عليـك، أما بعد، فقد فهمت ما كتبت به إلى، فاعلم يا أمير المـؤمنين أن من اتقى ا تعالى اتقاه الناس، ومن خاف ا تعالى خافه الناس، ومن استحيا من ا استحيا منه الناس، ومن اجتـرأ



على ا   اجترأ عليه الناس، ومن تعجل الأمن أدخل الخـوف على نفسه غداً، ومن تعجل الأمن غداً والنجاة مـع الحـذر والصبر ملاك الأمر وفيه أعظم الأجر، فاسـتعن يـا أميـر المؤمنين على أمر يعنك ا   تعالى وتوكل عليـه يكفـك ولا تستعن بغير ا   تعالى فيكلك غليه، يا أمير المؤمنين، إنك قد أُبتليت بأمر عظيم يتوجه الناس عليك بحوائجهم، فافتح بابك للضعيف والأرامل، وما تحب لنفسك فأحبه لهم، وما تكرهـه لنفسك فأكرهه لهم ولا تفعله بهم" وهـذا مثـال النصـيحة الأخوية ولو كانت للحاكم.

وإذا رأينا النصوص الإسلامية على الأخوة نـري مـن خلالها علو قيمة الأخوة في المفهوم الإسلامي، قال تعالى بعد ما جاء في الآية ١٠ من سورة الحجرات﴿ **إنمـا المؤْمِنُـون إِخْوةٌ**﴾، جاءت الآية التي ترفع الأخوة فوق كل قرابة مهمـا كانت، قال تعالى" لا تجد قوما يؤمنون با   واليـوم الآخـر يوادون من حاد ا   ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنـاءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.."[١٧٨]، وقوله عز وجل" ﴿ **يـا أَيهـا الذِين آمنُوا لاَ تَتخِذُوا آباءكُم وإِخْوانَكُم أَولِياء إِن اسـتَحبوا الْكُفْر علَى الإِيمان** ﴾[١٧٩]، وبهذا المفهوم الإسلامي الرفيـع



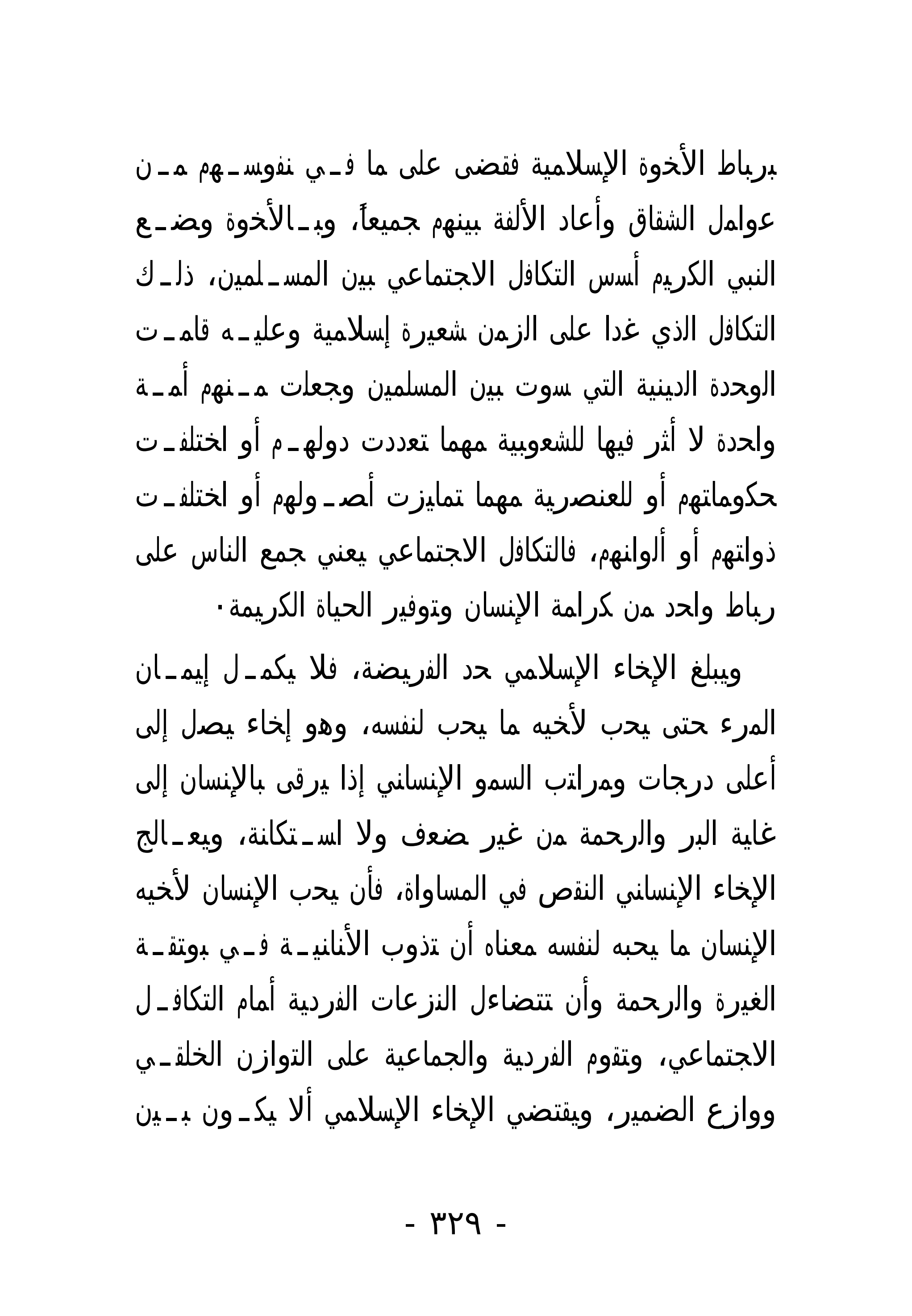
الذي رفع من قيمة الأخوة، يتحول المسلمون في كافة أرجاء الكون إلى جسد واحد، قال المصـطفى صـلوات ا عليـه وتسليمه" مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" رواه الشيخان.

كما يؤكد الرسول صلى ا عليه وسلم هذا المعنى حينما يقول" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثـم شـبك صلى ا عليه وسلم بين أصابعه.." رواه الشـيخان وأبـو داود والترمذي. ويقول النبي الكريم" المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليـه ضـيعته ويحوطـه مـن ورائه.." رواه أبو داود والترمذي، ومعلوم أن الضيعة هي ما يضيع الإنسان بضياعه كالصناعة والتجـارة والزراعـة، فالمؤمن يحوط أخاه ويذب عنه ويحافظ على ماله ولو غائباً، كما أنه مرآة له يسأله عن حاله ليخبره بما يراه فيـه، فـإن الإنسان ربما تخفى عليه بعض عيوبه فيسترشد إليهـا مـن خيار أصحابه، كما ورد عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لحذيفة بن اليمان" هل ترى في شيء من علامـات النفـاق، فيقول: لا وا يا أمير المؤمنين.

فما أسمى الأخوة الإسلامية كقيمة رئيسية من قيم المجتمع الإسلامي، ويتمثل هذا السمو في كلمات النبي صلى ا عليه وسلم" ما من امرئ يخذل امرءا مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله ا فـي موضـع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضـع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمته إلا نصره ا في موطن يحب فيه نصرته" رواه أبو داود، بيـد أن هـذه النصرة التي أو جبها الإسلام لا نظير لهـا لأنهـا بـالحق وللحق، فلقد أخبرنا النبي ووصانا بذلك" ولينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصـر،وإن كـان مظلوماً فلينصره"رواه البخاري ومسلم والترمذي.

وما أسمى هذا المفهوم الإنساني الإسلامي العميق المعاني والمتعدد الوجوه للأخوة الصادقة والرابطة الأخوية العظيمـة بين البشر جميعاً [(١٨٠)].

فبالإخاء تحاب المسلمون عند الهجرة وفي كل مراحل نمو الدولة الإسلامية، فلقد دعا رسـول ا إلـى التـآخي بـين المهاجرين والأنصار فتآخي كل واحد من المهـاجرين مـع واحد من الأنصار، وربط رسول ا بين الأوس والخـزرج



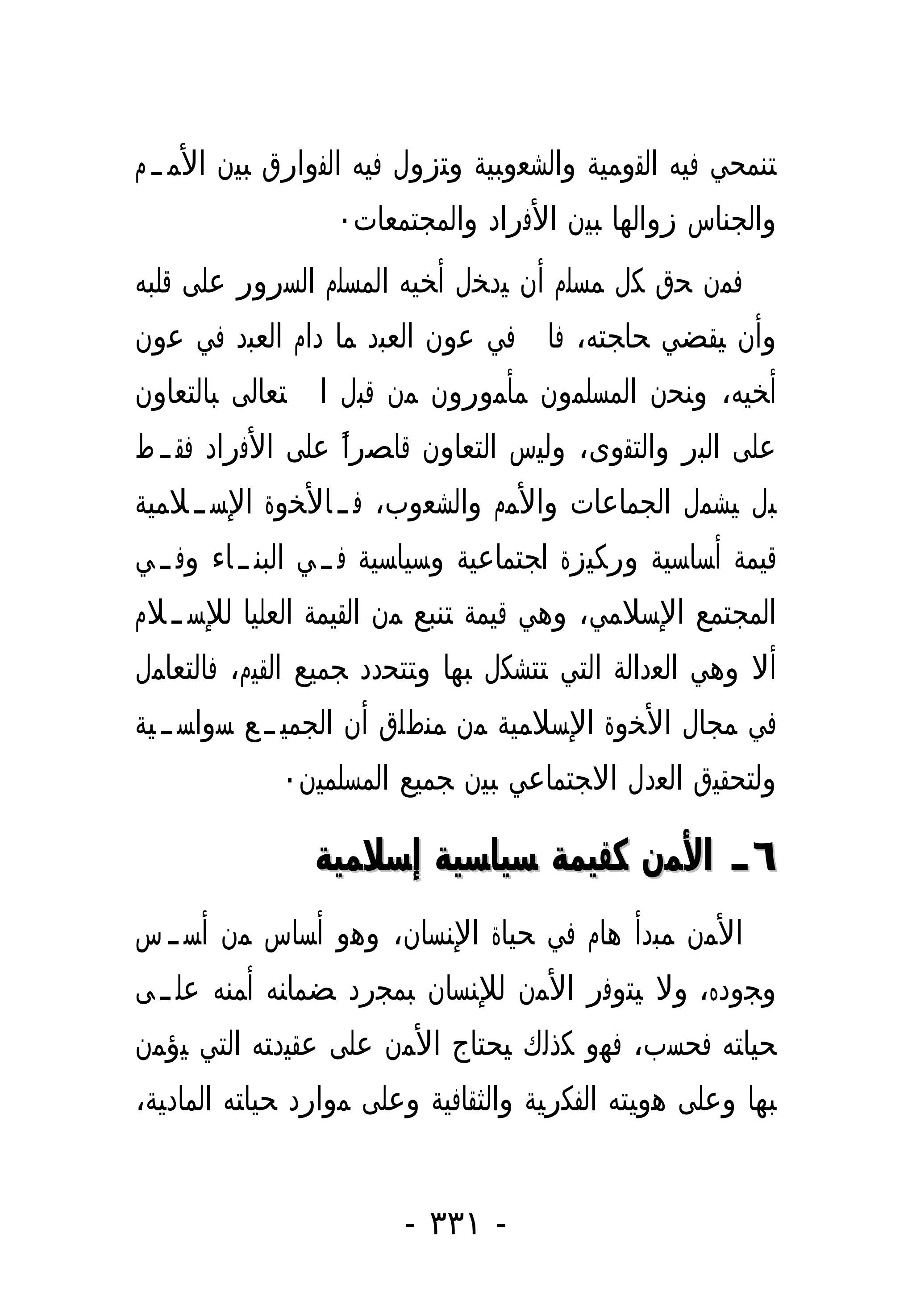
برباط الأخوة الإسلامية فقضى على ما فـي نفوسـهم مـن عوامل الشقاق وأعاد الألفة بينهم جميعاً، وبـالأخوة وضـع النبي الكريم أسس التكافل الاجتماعي بين المسـلمين، ذلـك التكافل الذي غدا على الزمن شعيرة إسلامية وعليـه قامـت الوحدة الدينية التي سوت بين المسلمين وجعلت مـنهم أمـة واحدة لا أثر فيها للشعوبية مهما تعددت دولهـم أو اختلفـت حكوماتهم أو للعنصرية مهما تمايزت أصـولهم أو اختلفـت ذواتهم أو ألوانهم، فالتكافل الاجتماعي يعني جمع الناس على رباط واحد من كرامة الإنسان وتوفير الحياة الكريمة.

ويبلغ الإخاء الإسلامي حد الفريضة، فلا يكمـل إيمـان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهو إخاء يصل إلى أعلى درجات ومراتب السمو الإنساني إذا يرقى بالإنسان إلى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا اسـتكانة، ويعـالج الإخاء الإنساني النقص في المساواة، فأن يحب الإنسان لأخيه الإنسان ما يحبه لنفسه معناه أن تذوب الأنانيـة فـي بوتقـة الغيرة والرحمة وأن تتضاءل النزعات الفردية أمام التكافـل الاجتماعي، وتقوم الفردية والجماعية على التوازن الخلقـي ووازع الضمير، ويقتضي الإخاء الإسلامي ألا يكـون بـين

الناس تمايز في الجاه والسلطان أو استعلاء فرد على فرد، أو حق لإنسان على إنسان غير ما يوجبه الضمير والخلق، كما أن الرحمة كالتواضع والبر من مقومات الإخاء الإسـلامي، فالراحمون يرحمهم ا ، وارحموا من في الأرض يـرحمكم من في السماء [181].

بل إن الإخاء في الإسلام من عوامل السعادة فـي الـدنيا والآخرة، ففي حديث أبي هريرة رضي ا عنه عن النبـي صلى ا عليه وسلم أن قال" سبعة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظله،... ومنهم رجلان تحابا في ا اجتمعا عليـه وتفرقا عليه..." [182]

فالإخاء الإسلامي لا يقف بمدلوله عند الحـدود المألوفـة للمعنى الدارج من حيث التكافل والتعاون بين النـاس علـى السواء، ولكن يتخطاه إلى المعنى الرحب الفسيح في الأخـوة البشرية على المستوى الإنساني العام، وهو ما يقتضيه معنى عموم الرسالة وأن الدين عند ا الإسلام، فذا كان الإسلام قد أنكر العنصرية وقضى على التمايز بين معتنقيه ومنح غيـر المسلمين من الحقوق ما للمسلمين وكفل لهم الرعاية والبر ما للمسلمين، فقد وضع الأساس القويم لمجتمع إنساني عـالمي



تنمحي فيه القومية والشعوبية وتزول فيه الفوارق بين الأمـم والجناس زوالها بين الأفراد والمجتمعات.

فمن حق كل مسلم أن يدخل أخيه المسلم السرور على قلبه وأن يقضي حاجته، فا في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ونحن المسلمون مأمورون من قبل ا تعالى بالتعاون على البر والتقوى، وليس التعاون قاصراً على الأفراد فقـط بل يشمل الجماعات والأمم والشعوب، فـالأخوة الإسـلامية قيمة أساسية وركيزة اجتماعية وسياسية فـي البنـاء وفـي المجتمع الإسلامي، وهي قيمة تنبع من القيمة العليا للإسـلام ألا وهي العدالة التي تتشكل بها وتتحدد جميع القيم، فالتعامل في مجال الأخوة الإسلامية من منطلق أن الجميـع سواسـية ولتحقيق العدل الاجتماعي بين جميع المسلمين.

٦ـ الأمن كقيمة سياسية إسلامية

الأمن مبدأ هام في حياة الإنسان، وهو أساس من أسـس وجوده، ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمانه أمنه علـى حياته فحسب، فهو كذلك يحتاج الأمن على عقيدته التي يؤمن بها وعلى هويته الفكرية والثقافية وعلى موارد حياته المادية،

وعلى استقراره وسعادته وأولاده، كما أن الشـعوب تحتـاج للأمن الداخلي والخارجي لضـمان الاسـتقرار الاجتمـاعي والسياسي والاقتصادي والاستقلال السياسي أيضـا، فـالأمن سواء أكان داخلياً أو خارجياً ضروري للفـرد وللمجتمـع، ولذلك تأصل كمبدأ وكقيمة في نفس الوقـت، فسـيادة قيمـة الأمن وتكامل عناصره في المجتمع يدفع الفرد والمجتمع إلى الطمأنينة والاستقرار والتخطيط والعمل للمستقبل، وهو يمثل في الإسلام عقيدة وشريعة وأصولاً اجتماعية هامة.

فالإسلام ينظر إلى الأمن بمفهومه الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع، ولقد وردت كلمة الأمن وما يشتق منها فـي القرآن الكريم في مواضع عديدة، بمعنى الأمن الذي يضـمن السلامة والاطمئنان النفسي وانتفاء الخوف على حياة الإنسان أو على ما تقوم به حياته من مصـالح وأهـداف وأسـباب ووسائل، أي ما يشمل أمن الفرد والمجتمع.

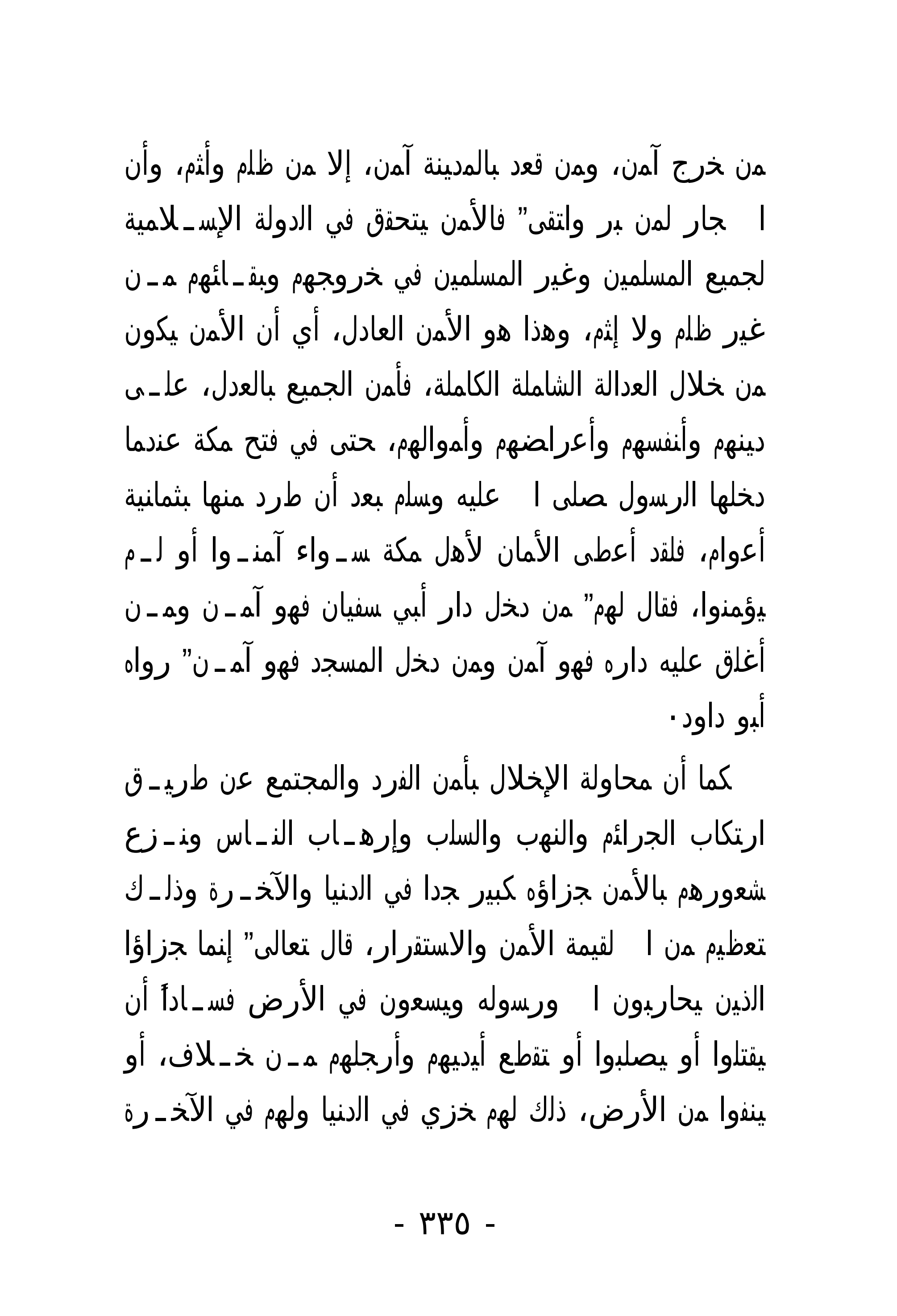
يقول ا عز وجل عن الأمن داخل الحرم الشريف كمثال للأمن" فيه آيات بينات مقـام إبـراهيم ومـن دخلـه كـان آمناً"[(١٨٣)]، ومثل قوله سبحانه" ادخلوا مصـر إن شـاء ا آمنين"[(١٨٤)]، وقال ا تعالى عن الأمن بمعنى الأمـان مـن

الخوف" لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[185]. بل وجعل الأمن نعمة كبرى يجنيها الإنسان بالإيمان ويجب أن يشكر ا عليها، قال سبحانه" وضرب ا مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم ا فأذاقها ا لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"[186]، وقال عز وجل أيضاً" وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا"[187].

وفي السنة النبوية الشريفة ما يؤكد أهمية الأمن في حياة الإنسان وفي الجماعة التي يعيش فيها، يقول صلى ا عليه وسلم" من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا، رواه البخاري والترمذي وابن ماجه والطبراني، وهذا هو المفهوم الشامل للأمن، الأمن على نفس الإنسان وعلى سلامة بدنه من العلل والأمن على الرزق، فجعل الرسول الكريم والنبي العظيم تحقيق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه لا يستطيع الانتفاع به إلا إذا كان آمنا على نفسه ورزقه، ولقد دعا الرسول صلى ا عليه وسلم إلى كل

عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين ونهى عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه، على اعتبار أن الأمن نعمة من أجل النعم على الإنسان، فنهي عن أن يروع المسلم أخاه المسلم، فقال" لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" رواه الإمام أحمد وأبو داود، كما نهي عن أن يشهر السلاح من المسلم على أخيـه المسلم حتى لو كان مزاحا وليس حربا أو عدوانا، فقـال" لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحـدكم لعـل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" متفق عليـه، كما نهى عن أن يخفي الإنسان مالا أو متاعـاً لأخيـه ولـو بقصد الهزار والتسلية وليس بقصد الاستيلاء عليه، قـال" لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً" رواه الإمام أحمـد وأبو داود، وكان من دعائه صلى ا عليه وسلم" اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي" رواه الإمام أحمد وأبو داود وابـن ماجه والحاكم.

وفي الوثيقة التـي كتبهـا رسـول ا لأهـل المدينـة والمهاجرين واليهود يوم قيـام الدولـة الإسـلامية، نصـت صراحة على الأمن بمختلف أوجهه وأشكاله، فقالت الوثيقة"



من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن، إلا من ظلم وأثم، وأن ا جار لمن بر واتقى" فالأمن يتحقق في الدولة الإسلامية لجميع المسلمين وغير المسلمين في خروجهم وبقائهم من غير ظلم ولا إثم، وهذا هو الأمن العادل، أي أن الأمن يكون من خلال العدالة الشاملة الكاملة، فأمن الجميع بالعدل، على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، حتى في فتح مكة عندما دخلها الرسول صلى ا عليه وسلم بعد أن طرد منها بثمانية أعوام، فلقد أعطى الأمان لأهل مكة سواء آمنوا أو لم يؤمنوا، فقال لهم" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن" رواه أبو داود.

كما أن محاولة الإخلال بأمن الفرد والمجتمع عن طريق ارتكاب الجرائم والنهب والسلب وإرهاب الناس ونزع شعورهم بالأمن جزاؤه كبير جدا في الدنيا والآخرة وذلك تعظيم من ا لقيمة الأمن والاستقرار، قال تعالى" إنما جزاؤا الذين يحاربون ا ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة

عذاب عظيم" الآية ٣٣ سورة المائدة، فذلك الحد يكفل الأمن للفرد والمجتمع.

فالأمن في الإسلام قيمة شاملة تشمل الأمـن الاجتمـاعي والأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الوطني والأمـن للدولة والأمن للفرد والمجتمع، والأمن الثقافي والفكري وأمن المسلم وير المسلم، إنه دعوة شاملة وقيمة عليا نحـو إقامـة الأمن في مجتمع يسـوده العـدل والطمأنينـة والاسـتقرار والحب[١٨٨].

والأمان والأمن قيمة رئيسية في الإسلام ليس للمسـلمين فقط بل لكل من يعيش على أرض الإسلام، بل يؤكد ا عز وجل على هذا الأمر بالنسبة لكل السابقين من أهل الأديـان جميعا، قال تعالى" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصـارى والصابئين من آمن با واليوم الآخر وعمل صـالحاً فلهـم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [١٨٩].

وفي هذا السياق نلاحظ أن العهد الذي كتبـه عمـر بـن الخطاب لأهل القدس قال فيه ما يعني الأمان التام" أعطـاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها

ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وأن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلوا مأمنهم" وهذا العهد يوضح منتهى الأمان لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مما يعلى من قيمة الأمن(١٩٠).

٧- النصيحة قيمة عظيمة في الإسلام

النصيحة والنصح والتوصية والوصية من القيم السياسية الإسلامية التي يشار إليها بالبنان، فالدين التصدق بهذه النصيحة، والنصيحة قد تكون التذكير بما جاء بالكتاب أو السنة، أو التذكير بالحلال والحرام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التذكير بمواقف الصحابة أو بالعلم النافع والعمل الصالح والسلوك القويم.

فمجال النصيحة متسع وكبير، وهي واجبة نحو المسلمين عامة ونحو أخوك المسلم بصفة خاصة، وكمـا قـال عليـه الصلاة والسلام" الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول ا ؟ قال: ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعـامتهم"(١٩١)، فهـي إذن قيمة كبيرة في المجتمع ولها حكم كبير فهي في درجـة الجهاد وهو أعلى درجة، كما جاء في حديث نبوي شـريف آخر" أفضل الجهاد كلمة حق عنـد سـلطان جـائر" (١٩٢)، فالنصيحة من القيم الإسلامية السياسية الهامة.

وأوصانا الحـق بالتواصـي بـالحق والصـبر وعمـل الصالحات حتى أن الناس جميعاً في خسر إلا من يتواصـى بالحق والصبر، قال تعالى" والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"(١٩٣)

والنصيحة تفرض على كل أفراد الشـعب فـي المفهـوم الإسلامي، فيفرض على كل مجتمع أن يسـمع فيـه الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر سـواء مـن الحـاكمين أو المحكومين، قال تعالى" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخيـر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (١٩٤)، ولا تكـون

الأمة الإسلامية خير أمة على وجه الأرض إلا بهذه الفضيلة، قال تعالى" كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"[(١٩٥)]، حتى إذا وجب الجهاد فالنصـيحة والتذكير واجبة في جميع الأحيان، فـلا تتوقـف النصـيحة لوجود الجهاد، بل إن النصيحة تعتبر جهاد لأن أصحابها هم جند ينفرون للجهاد في سبيل التبشير والإنـذار والتبصـير، وعلماء الأمة هم الذين يقومون بالنصح والتذكير في الأمور الفقهية، قال تعالى" وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قـومهم إذا رجعوا إليها لعلهم يحذرون" [(١٩٦)].

وقال تعالى﴿ **أُبلغُكُم رِسالاَتِ ربي وأَنصح لكُم وأَعلَم مِـن اللهِ ما لاَ تَعلَمون**﴾(١٩٧)،على لسان سيدنا نوح عليه السلام، وعلى لسان سيدنا هود عليه السلام قال المولى عز وجل في النصيحة" أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين" الآيـة ٦٨ سورة الأعراف.

كما ارتبطت النصيحة بالإيمان والمبايعة علـى الإسـلام والدخول فيه، فلقد روي عن جرير بن عبـد الله رضـي الله عنه قال" بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على قامـة

الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم" متفق عليه، وفـي هذا السياق قال الحبيب المصطفى" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه. ومعنـى النصـيحة فـي الإسلام أن عماد الدين وقوامه النصيحة لأنها كلمـة جامعـة معناها حيازة الخير للمنصوح له.

كما أن النصيحة ليست قاصرة على الرعية فقط، بل هي للحاكم ولكل مسلم، فقال الرسول صلى ا عليه وسلم" ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يجهد لهم" أي لا يتعب لهـم" وينصح لهم، إلا لم يدخل معهم الجنـة" رواه مسـلم، ولـم لا..؟!، فالجميع في الإسلام راع ومسؤول لا فـرق بـين مواطن عادي وحاكم، فالجميع مأمور بالنصـيحة ومـأمور بتحمل المسؤولية، فعن ابن عمر رضـي ا عنهمـا قـال" سمعت رسول ا صلى ا عليه وسـلم يقـول" كلكـم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيـة في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" متفق عليه.

٨- قيمة التعاون والتكافل

قيمة إسلامية رئيسية لها جوانب سياسية عديدة، والتعاون والتكافل همت وجهان من أوجه الإنسانية والكرامة البشـرية في الإسلام، فقبل أن تنشأ في الأمة الحريـة والديمقراطيـة يجب أن يسبقها العلاقات الاجتماعية (أو ما يسميها الـبعض بالديمقراطية الاجتماعية) والتي تتمثل في التعاون: التعـاون بالفكر والشعور على قضاء حقوق المجتمع وأداء فروضـه وواجباته، وأن تكون وظائف المجتمع عملا لا يتوقف علـى إرادة الحاكم أو نظام الحكومة ولا يستأثر به أحد دون أحـد ولا طائفة دون طائفة، بل موزع بين أبناء الأمة بأثرها.

ولقد رأينا في العدالة الاجتماعية والمسـاواة الاقتصـادية والأخوة الإسلامية وغيرها من القيم الإسلامية الخالـدة مـا يجسد التعاون والتكافل في الإسلام.. ونشير هنا فقط إلـى أهمية هذه القيمة في حياة المسلمين..

والتكافل الاجتماعي جزء من الأخوة الإسلامية، فالإسلام يقرر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله، فهناك التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيـال المتعاقبـة، كمـا

يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشـكاله تمشياً مع نظرته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكليـة للفـرد الجماعة، وفي تناسق الحياة وتكاملها، فيدع للفـرد حريتـه الكاملة في الحدود التي لا تؤذيه ولا تأخـذ علـى الجماعـة الطريق، ويجعل للجماعة حقوقها ويكلفها من التبعـات فـي الوقت ذاته، كفاء هذه الحقوق، لتسير الحيـاة فـي طريقهـا السوي القديم، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخـدمها الفـرد وتحترمها الجماعة سواء[198]

والتعاون في المنظور الإسلامي له عدة جوانب متكاملـة مثل: التعاون بالرأي والعمل والخلق والشعور وهو فريضـة على كل فرد في الجماعة الإسلامية، يقوم المجتمع بقيامهـا ويزول بزوالها، وما هلكت أمة يتواصـى أبناؤهـا بـالحق ويتناهون عن الباطل، وقد زالت الدول كما جاء في القـرآن الكريم لهذا السبب، قال تعالى ﴿ **كَانُوا لاَ يَتَنَاهون عن منكـرٍ فَعلُوه لَبِئْس ما كَانُوا يفْعلُون**﴾ الآية ٧٩ سورة المائدة، بـل جعل ا عز وجل نجاة الإنسان في التعاون والتكافل واقتحام عقبة الإيمان بالعطف على الضعفاء واليتامى والمساكين، قال تعالى﴿ **وما أَدراك ما الْعقَبةُ** * **فَك رقَبةٍ** * **أَو إِطْعام فِي يومٍ**

ذِي مسغَبةٍ * يتِيما ذَا مقْربةٍ * أَو مِسكِينًا ذَا متْربـةٍ* ثُـم كَان مِن الَذِين آمنُوا وتَواصوا بِالصبرِ وتَواصوا بِالْمرحمةِ﴾ الآيات ١٢-١٧ سورة البلد ٠ كمـا يتسـاوى التعـاون بالإحسان والتعاون بالوصية، وعلى الناس جميعا أن يتعاونوا على جلب الخير ودفع الأذى، قال تعالى﴿ **وتَعاونُوا علَى الْبر والتقْوى ولاَ تَعاونُوا علَى الإِثْمِ والْعدوان واتقُوا ا** ﴾ الآيـة الثانية سورة المائدة ٠

ويوجب الإسلام الإحسان، لأن الإحسان جزء من التكافل والتعاون، كما يوجب العمل، لأن الغني مـأمور بالإنفـاق، كقوله عز وجل" لينفق ذو سعة من سـعته" الآيـة٧ سـورة الطلاق،

كما يكون التكافل الاجتماعي مع الأعداء والذميين، كنوع من التكامل الإسلامي في بلاد المسلمين، فلقد أمرنا رسـول ا برعاية كل المواطنين داخل الدولة الإسلامية، فقال عليـه الصلاة والسلام" من قذف ذميا حد له يوم القيامة ببساط مـن نار" وقال" من آذى ذميا فقد آذاني" ويقول في موضع آخر" من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا خصمه يـوم القيامـة" ولذلك، لا ينسي الفاروق عمر هذه الأحاديث وهـو يكتـب

وصاياه لولاته، فيقول لعمرو بن العاص" إن معك أهل الذمة والعهد.. فاحذر يا عمر أن يكون رسول ا خصمك".

ولما ذهب عمر بن الخطاب إلى الشام عند مقدمة الجابية من أرض الشام من أرض الشام مر بقـوم مجـذوبين مـن النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري علـيهم القوت.

ورأى عمر شيخاً يهوديا يتكفف، فأمر له برزق بجريـه عليه من بيت المال وقال له" ما أنصفناك يا هذا أخذنا منـك الجزية فتى وأضعناك شيخاً"

الهوامش والمراجع للفصل الثالث

١- راجع: د. حسني درويـش عبـد الحميـد، القضـاء حصـن الحريات، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقـرأ، العـدد ٥٢٩، ١٩٨٦، ص ٢٦، ٢٧، ١٥٥.

٢- راجع: د. سمير فرج، الولاء بين علم النفس والقرآن، القاهرة، المتحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

٣ - راجع: أبو الأعلى المودودي: مفاهيم إسلامية حـول الـدين والدولة، الكويت، دار القلم، ١٩٧٧م، ص ص ٩٢ - ٩٣.

٤ - راجع: د. فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسـلام، مرجع سابق، ص ص ٢٥٤-٢٥٨.

٥- البقرة الآية ١٥٦

٦ - راجع: السيد أحمد المخزنجي، العدل والتسامح الإسلامي، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحـق، العـدد ٦٧، يونيو ١٩٨٧م، ص ص ٢٥ - ٢٦.

٧ - الآية ١٢٥ سورة النحل.

٨ - راجع: د. زكريا البري، حقوق الإنسان في الإسلام، القاهرة، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسـلامية، ١٩٨١م، ص ١٣.

٩ - راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم فـي الشـريعة والتـاريخ الإسلامي،مرجع سابق، ص ص ٥٣ - ٥٧.



١٠- متفق عليه٠

١١- راجع: سعدي أبو حبيب، الوجيز في المبادئ السياسـية فـي الإسلام، جدة، كتاب النادي الأدبي الثقافي، رقـم ٦، ١٩٨٢، ص ص ١٢٥-١٢٦٠

١٢- الآية ١٤٨ سورة النساء٠

١٣- الآيتان ١٩٠، ١٩١ سورة آل عمران٠

١٤- راجع: زكريا البري، حقوق الإنسان في الإسـلام، مرجـع سابق، ص ص ٤١-٤٣٠

١٥ - راجع: د٠ حسين فوزي النجار، الإسلام والسياسة، مرجـع سابق، ص ١٠١٠

١٦- الآية ١٩٣ سورة البقرة٠

١٧- رواه ابن ماجه عن أبي هريرة

١٨- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسـلام، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠ - ٢٨٦٠وأيضاً: د٠ محمد توفيق رمزي، علم السياسة أو مقدمة في أصول الحكـم، القـاهرة، مكتبة النهضـة المصـرية، ١٩٥٧، ط ٢، ص ص ١٣١ - ١٣٩٠

١٩- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٧٤٢ -٧٤٤

٢٠- رواه الطبراني

٢١- أخرجه الإمام مسلم٠

٢٢- راجع: د. حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص ص ١٠١ - ١٠٢.

٢٣- الفاتحة الآية ٥

٢٤- الآية ٢٨٣ سورة البقرة

٢٥- الآية ٢٧ سورة الأنفال

٢٦- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص ص ٧١١-٧١٢.

٢٧- الآية ١١٠ سورة آل عمران

٢٨- رواه مسلم في صحيحه

٢٩- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي مرجع سابق، ص ص ١٠١ - ١٠٦.

٣٠- سورة الإسراء الآية ٧٠

٣١- الآية ١٥٢ سورة آل عمران

٣٢- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٦٨٣-٦٨٧

٣٣- راجع: د. فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسـلام، مرجع سابق، ص ص ١٥٥ - ١٥٦.

٣٤- راجع: السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت، منشورات المعارف، بدون تـاريخ، ص ٤٥٥.

٣٥- الآية ٢٩ سورة الكهف

٣٦- الآية ٢٥٦ سورة البقرة

٣٧- الآية ٩٩ سورة يونس
٣٨- الآية ١٧٨ سورة البقرة
٣٩- الآية ١٩ سورة النساء٠
٤٠- الآية ٢٣٢ البقرة٠
٤١- الآية ١٨ سورة لقمان٠
٤٢ - الآية ٣٧ من سورة الإسراء٠
٤٣ - الآية ٩١ سورة التوبة٠
٤٤ - الآية ١٠ سورة الفتح٠
٤٥ - الآية ٦٠ سورة الرحمن٠
٤٦ - الآية ٢٥ سورة النمل٠
٤٧ - الآية ٤٥ سورة الروم٠
٤٨ - الايه ٢٤ سورة الحجر٠
٤٩- راجع: أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية، مرجع سابق، ص ص ٩٧ - ٩٨ ٠
٥٠- د٠ محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسـلامية، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٠، ص ٤٥، وأيضاً: راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم،، أصول نظام الحكم في الإسـلام، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨٠
٥١- رواه الطبري
٥٢- راجع: أبو الأعلى المودودي: مفاهيم إسلامية حـول الـدين والدولة، الكويت، دار القلم، ١٩٧٧م، ص ١٠٣٠

٥٣- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ، مرجع سابق، ص ص ٥٧ ٦٢٠

٥٤- راجع: محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي فـي الإسـلام، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٤م، ص ص ٢٠ - ٢١٠

٥٥- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسـلام، مرجع سابق، ص ٢٥١

٥٦- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٤٤٩-٤٥٠، و ص ٤٩٥، ص ٥١٢٠

٥٧- الآية الأولى سورة الفرقان

٥٨- الآية ١٠٧ سورة الأنبياء

٥٩- الآية ١٢٥ سورة النحل

٦٠ - الآيات ٦٢-٦٣ الأنفال

٦١- الآية ٢٨ ١سورة البقرة٠

٦٢ - الآية ١٣٤ سورة البقرة وكذلك الآية ١٤١ سورة البقرة٠

٦٣ - الآية ١٤٣ سورة البقرة

٦٤ - الآية ١٠٤ سور آل عمران٠

٦٥ - الآية ١١٠سورة آل عمران٠

٦٦ - الآية ١١٣ سورة آل عمران٠

٦٧ - الآية ٤٨ سورة المائدة

٦٨ - الآية ٦٦ سورة المائدة٠

٦٩ - الآية ١١٨ سورة هود٠

٧٠ - الآية ٣٠ سورة الرعد٠



٧١ - الآية ٩٢ سورة النحل٠

٧٢ - الآية ٩٣ سورة النحل٠

٧٣ - الآيتان ٩٢، ٩٨ سورة الأنبياء٠

٧٤ - الآية ٨ سورة الشورى٠

٧٥ - الآية ٥٢ سورة المؤمنون٠

٧٦- الآية ٤٦ سورة الأنفال

٧٧- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم،، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص٩٢، ص ٩٥٠

٧٨- رواه البخاري والترمذي

٧٩- رواه الإمام أحمد في مسنده

٨٠- رواه الترمذي وأبو داود

٨١- رواه الإمام أحمد

٨٢- رواه البخاري وأحمد والترمذي

٨٣ - الآية ٦٠ سورة النحل٠

٨٤ - الآية ١٦١ سورة الأنعام٠

٨٥ - الآية ٥ سورة البينة٠

٨٦ - الآية ٣ سورة البينة٠

٨٧ - الآية ٣٦ سورة النوبة٠

٨٨ - الآية ٤٠ سورة يوسف٠

٨٩ - الآية ٣٠ سورة الروم٠

٩٠ - الآية ٤٣ سورة الروم٠

٩١ - الآية ٢ سورة الكهف٠

٩٢- الآية ٩ سورة الأنعام

٩٣- الآية ٨١ سورة الأعراف

٩٤ - د٠ محمد على أبو ريان، الإسلام السياسي فـي الميـزان، مرجع سابق، ص ٥٠٠

٩٥ - الآية ٣٨ سورة الشورى٠

٩٦ - الآية ٥٩ سورة آل عمران٠

٩٧- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٥٨٩-٥٩٣

٩٨- رواه الطبري٠

٩٩- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي مرجع سابق، ص ص ٦٣-٦٩٠

١٠٠- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١١

١٠١- راجع: أبو الأعلى المودودي: مفاهيم إسلامية حول الـدين والدولة، مرجع سابق، ص ١٩٠٠

١٠٢- أخرجه أحمد ومسلم، حياة الصحابة ج- ٢ ص ٢٩، ٣٠٠

١٠٣- أخرجه الإمام أحمد، المرجع السابق ص ٣٠٠

١٠٤- رواه الترمذي والحاكم والإمام أحمـد، المرجـع السـابق ص ٣١٠

١٠٥ - أخرجه ابن إسحاق، المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢٠

١٠٦ - رواه البزار، المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣٠

١٠٧- رواه الطبري٠

١٠٨- أيضاً راجع نماذج من الشورى الإسلامية في عهد النبـي في: أبو الأعلى المودودي: مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، مرجع سابق، ص ص ٩٨ - ١٠٠٠

١٠٩ - أخرجه ابن سعد، المرجع السابق ص ٣٣٠

١١٠ - أخرجه ابن أبى شيبه وابن عساكر والبيهقـى، المرجـع السابق ص ٣٣، ٣٤٠

١١١ - أخرجه السيف وابن عساكر، المرجع السابق، ص ٣٤٠

١١٢ - أخرجه الطبرانى، المرجع السابق ص ٣٤٠

١١٣- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨

١١٤- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٦٩-٧٠٠

١١٥ - أخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور، المرجع السابق ص ٣٥٠

١١٦- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٢٠

١١٧ - أخرجه ابن سعد، المرجع السابق ص ٣٥٠

١١٨ - رواه البيهقي، المرجع السابق ص ٣٦٠

١١٩ - أخرجه ابن جرير، المرجع السابق ص ص ٣٦ – ٣٧٠

١٢٠ - أخرجه الطبراني، المرجع السابق ص ٣٧٠

١٢١- راجع: راجع في مواقف الشورى في التـاريخ الإسـلامي: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجـع

سابق، ص ص ٦١٣ - ٦٣٩٠وأيضاً: عباس محمود العقـاد:
الديمقراطية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٦١٠
١٢٢- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام،
مرجع سابق، ص ٢٠٦٠
١٢٣- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ
الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٧٤-٧٦
١٢٤- راجع: عباس محمود العقاد: الديمقراطيـة فـي الإسـلام،
مرجع سابق، ص ص ١٦٣-١٦٥، و ص ص ١٦٧-١٦٨٠
١٢٥- الآية ١٣ سورة الحجرات
١٢٦- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ
الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٨٤-٨٥
١٢٧- الآيتان ١،٢ من سورة العلق
١٢٨- راجع: سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، مرجـع
سابق، ص ١٠، وأيضاً سعدي أبو حبيب، دراسة في منهـاج
الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٥٣٩ - ٥٦٠٠
١٢٩- الآية ٨٥ سورة الأعراف٠
١٣٠ - الآية ١٧١ سورة النحل٠
١٣١ - الآية ٢٥ سورة الحج٠
١٣٢ - الآية ٢٢ سورة ص٠
١٣٣ - الآية ١١ سورة الحجرات٠
١٣٤- الآية الأولى سورة النساء
١٣٥- الآية ٥٩ سورة آل عمران



١٣٦ - الآية ٧٦ سورة النحل٠

١٣٧ - الآية ١٦ سورة الرعد٠

١٣٨ - الآية ٣٤ سورة فصلت٠

١٣٩ - الآية ١٩ سورة النور٠

١٤٠ - الآية ٧٥ سورة النحل٠

١٤١ - الآية ١٨ سورة السجدة٠

١٤٢ - الآية ٩٥ سورة النساء٠

١٤٣ - الآية ١٠٠ سورة المائدة٠

١٤٤ - الآية ١٩ سورة فاطر٠

١٤٥ - الآية ٩ سورة الزمر٠

١٤٦ - الآية ٢٢ سورة فاطر٠

١٤٧ - الآية ٥٨ سورة غافر٠

١٤٨ - الآية ١٠ سورة الحديد٠

١٤٩ - الآية ٢٠ سورة الحشر٠

١٥٠ - الآية ٢٤ سورة هود٠

١٥١ - الآية ٢٩ سورة الزمر٠

١٥٢ - الآية ١١٣ سورة آل عمران٠

١٥٣ - الآية ٨٩ سورة النساء٠

١٥٤ - الآية ٢١ سورة الجاثية٠

١٥٥ - الآية ١٩٤ سورة البقرة٠

١٥٦ - الآية ٣٣ سورة الإسراء٠

١٥٧ - الآية ٣٤ سورة النساء٠



١٥٨ - الآية ٨ سورة المائدة٠

١٥٩ - الآية ١٠ سورة الحجرات٠

١٦٠ - الآية ١٣٥ سورة النساء٠

١٦١ - الآية ١٩ سورة النساء٠

١٦٢ - الآية ٣٢ سورة النساء٠

١٦٣ - الآية ٤ سورة النساء

١٦٤ - الآية ٧ سورة النساء٠

١٦٥ - الآية ١٧٦ سورة النساء٠

١٦٦ - الآية ٢٨٢ سورة البقرة٠

١٦٧- رواه البخاري٠

١٦٨- عباس محمود العقاد، الديمقراطية في الإسلام، مرجع سابق، ط٤، ص ٤٤٠

١٦٩- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٨٦-٨٩٠

١٧٠- راجع: د٠ فؤاد عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٢٤٠

١٧١- الآية ٣٤ سورة النساء

١٧٢- راجع: سعدي أبو حبيب، دراسـة فـي منهـاج الإسـلام السياسي، مرجع سابق، ص ص ٥٦٣-٥٦٦

١٧٣- الآية ١٣٤ سورة النساء

١٧٤- راجع: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشـريعة والتـاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٢٠

١٧٥- راجع: عباس محمود العقاد: الديمقراطيـة فـي الإسـلام، مرجع سابق، ص ١٦٠٠

١٧٦- المرجع السابق، ص ٩٠-٩٢٠

١٧٧- الآية٢ سورة المائدة

١٧٨- الآية ٨٥ سورة المجادلة

١٧٩- الآية ٢٣ سورة التوبة٠

١٨٠- راجع: سعدي أبو حبيب، الوجيز في المبادئ السياسية فـي الإسلام مرجع سابق، ص ٦١، ٦٢٠ ١٨١- راجع: د٠ حسين فوزي النجار، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص ص ٧٩-٨٢٠

١٨٢- متفق عليه٠

١٨٣- الآية ٩٧ سورة آل عمران

١٨٤- الآية ٩٩ سورة يوسف

١٨٥- سورة قريش الآيات ١-٤

١٨٦- الآية ١١٢ سورة النحل

١٨٧- الآية ٥٥ سورة النور

١٨٨- راجع د٠ عبد ا بن عبد المحسن التركي، الأمن في حيـاة الناس وأهميته في الإسلام، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٩٩٧م ص ١٧، ٢٣،٢٤، ٣١، ٣٢، ٤٩ وما بعدها٠

١٨٩- الآية ٦٢ سورة البقرة

١٩٠- راجع: عباس العقاد: الديمقراطية في الإسلام، مرجع سابق، ص ص ١٢٠ - ١٢١

١٩١- رواه مسلم٠

١٩٢- رواه النسائي بإسناد صحيح

١٩٣- الآيات ١- ٣ سورة العصر

١٩٤- الآية ١٠٤ سورة آل عمران

١٩٥- الآية١١٠ سورة آل عمران

١٩٦- الآية١٢٢ سورة التوبة

١٩٧- الآية ٦٢ سورة الأعراف

١٩٨- راجع: سيد قطب، العدالة الاجتماعية، دار الشـروق، ٧٤، ص ٦٢، ٧٥ ٠

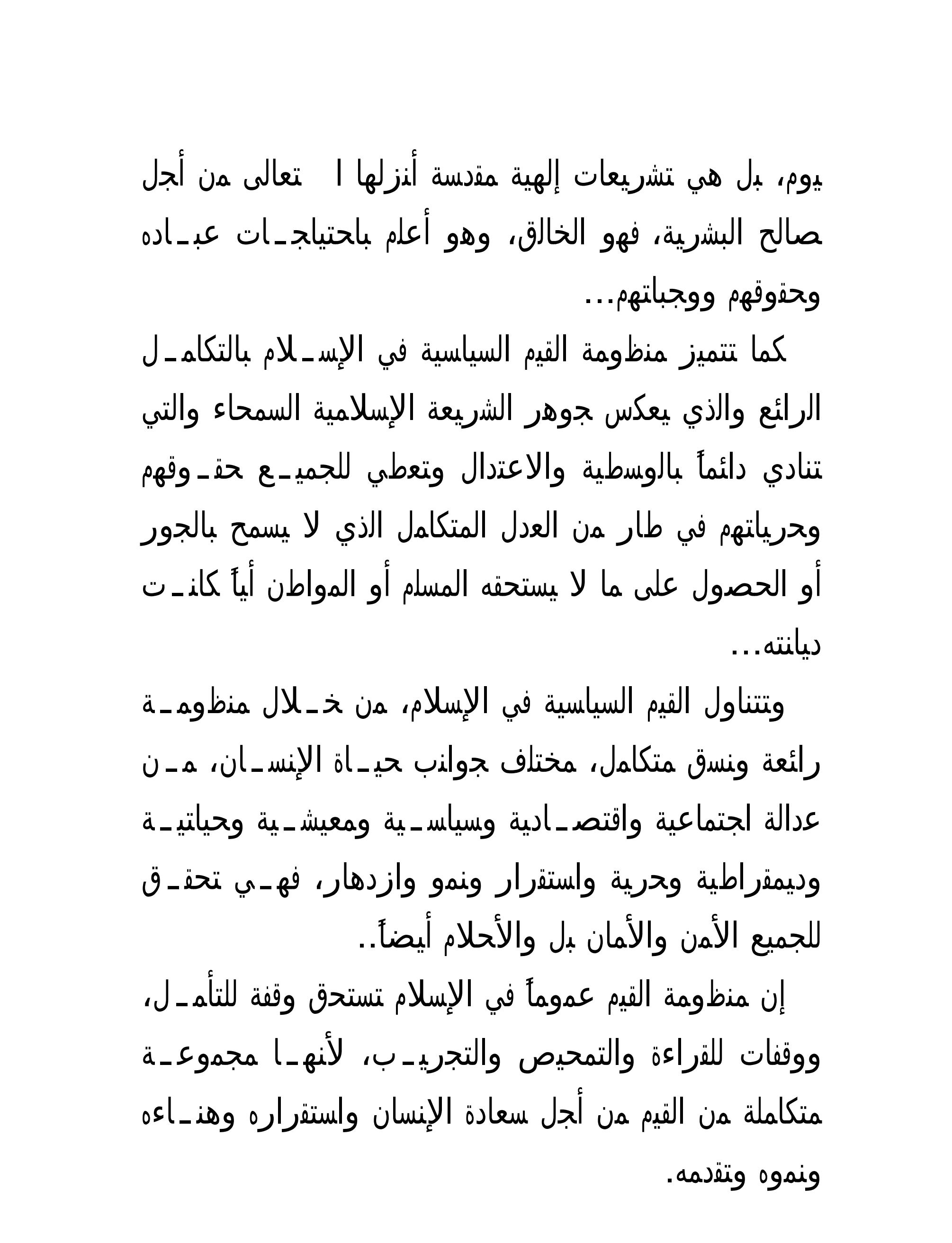
الخاتمة

الحمد   الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا ا والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي تشرف بحمل الأمانة والرسالة: رسالة التوحيد والنور إلى العالمين، وبعد...

فلقد عشنا لحظات طيبة مباركة مع القيم السياسية المتعمقة والمتشعبة والتي تشكل جوهر الحياة الإنسانية ولُب الشريعة والنظام الإسلامي، والتي لا غنى لأحد عنها في كل زمان ومكان...

ولكن جاءت هذه القيم السياسية الإسلامية بسمو كبير ومعاني عظيمة جسدت الحقوق الإنسانية من حيث التكامل والتفاعل مع ما تعيشه البشرية من حقائق كونية ثابته، وتحت رعاية ا رب العالمين خالق ومسير كل شيء في هذا الكون، ولم لا؟.. فهو ا الإله الواحد الذي لم يكن له شريك في الملك..

وتتميز هذه القيم السياسية الإسلامية بأنها منزلة من السماء.. نعم..فهي ليست هبات بشرية ينتقص منها يوما بعد

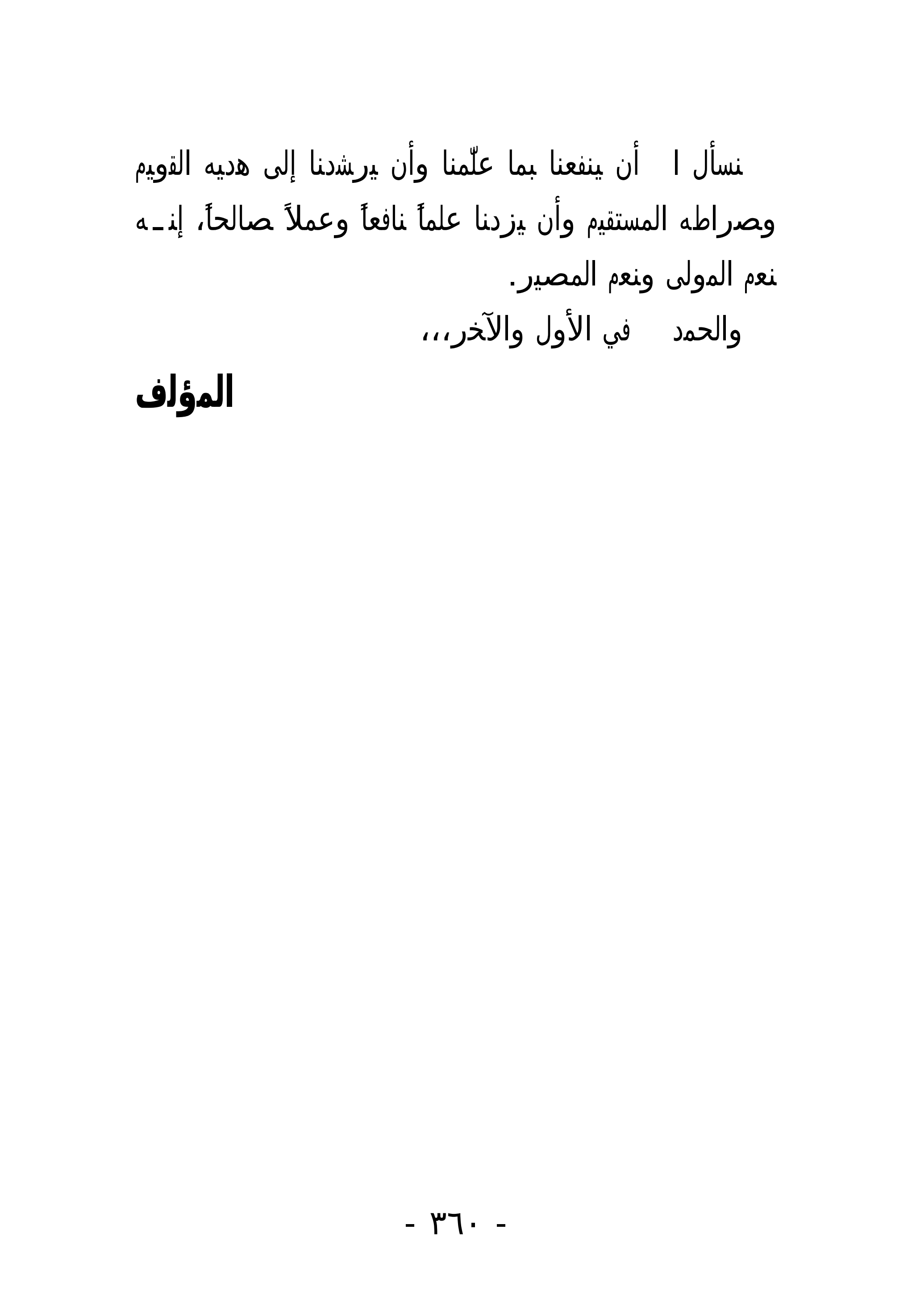


يوم، بل هي تشريعات إلهية مقدسة أنزلها ا تعالى من أجل صالح البشرية، فهو الخالق، وهو أعلم باحتياجات عباده وحقوقهم ووجباتهم...

كما تتميز منظومة القيم السياسية في الإسلام بالتكامل الرائع والذي يعكس جوهر الشريعة الإسلامية السمحاء والتي تنادي دائماً بالوسطية والاعتدال وتعطي للجميع حقوقهم وحرياتهم في طار من العدل المتكامل الذي لا يسمح بالجور أو الحصول على ما لا يستحقه المسلم أو المواطن أياً كانت ديانته...

وتتناول القيم السياسية في الإسلام، من خلال منظومة رائعة ونسق متكامل، مختلف جوانب حياة الإنسان، من عدالة اجتماعية واقتصادية وسياسية ومعيشية وحياتية وديمقراطية وحرية واستقرار ونمو وازدهار، فهي تحقق للجميع الأمن والأمان بل والأحلام أيضاً..

إن منظومة القيم عموماً في الإسلام تستحق وقفة للتأمل، ووقفات للقراءة والتمحيص والتجريب، لأنها مجموعة متكاملة من القيم من أجل سعادة الإنسان واستقراره وهناءه ونموه وتقدمه.



نسأل ا أن ينفعنا بما علّمنا وأن يرشدنا إلى هديه القويم وصراطه المستقيم وأن يزدنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً، إنـه نعم المولى ونعم المصير.

والحمد في الأول والآخر،،،

المؤلف